ح سليمان الصادق البيرة، ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البيرة، سليمان الصادق.
الرزق في القرآن الكريم - مكة المكرمة
١٨٧ ص، ١٧ × ٢٤.
ردمك ٦ - ٨٨٠ - ٣٤ - ٩٩٦٠
١ - كسب الرزق. ٢ - الوعظ والإرشاد
أ - العنوان.
ديوي ٢١٢.٥ ١٩/٠٥٨٩

**حقوق الطبع محفوظة للمؤلف**

**الطبعة الأولى**

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

i j k

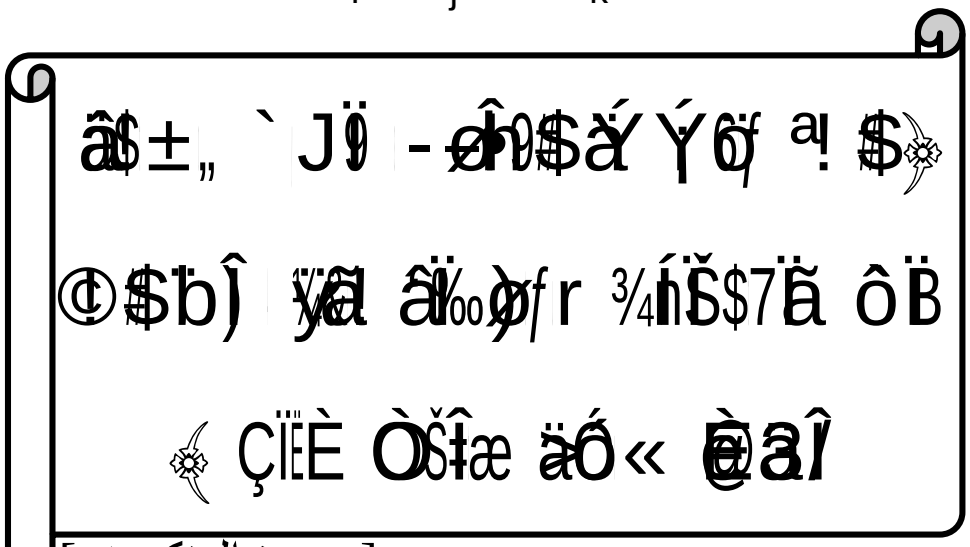

[ سورة العنكبوت ]

# الـرزق
# فـي القرآن الكريم

**تأليف**

**الدكتور/ سليمان الصادق البيرة**

**مكة المكرمة**

## مقدمـــة

الحمد لله الذي خلق خَلْقه فأحصاهم عددا، وقدر أرزاقهم فلم يَنْسَ أحداً "موسع الخلائق فضلاً وإفضالاً، ومُبْدع السَّوابِق واللواحق على غير مثال عدلاً واعتدالاً، رزق من شاء باكتساب وجهْدٍ، ورفق بآخرين فتكفل برزقهم دون كدٍ، إلى منتهى أجلهم ومن المهد، علماً منه بحال الجميع، ورغماً لشيطانهم الشنيع، حيث حجبه عمّا يتوصل به منهم إلى التضليل والتبديع" (١) ، وصلاة ربنا وسلامه على نبي الرحمة والخير، سيدنا محمد "سيد الناس، وأزهد العالَم بدون إلْباس، من كان لا يَدَّخر شيئاً لغدٍ، ولا يُقَتِّر (٢) على السائل، بل يسعفه بما لا يدخل تحت حصر ولا عدٍّ، وعلى أصحابه الذين كانوا أغنياء بالمال والنفس، وأولياء في كلا الحالين باليقين لا الحَدْس، صلاة وسلاماً تكفينا ما أهمنا من جميع الأمور، وتشفينا بالجواب المخلِّص من فِتْنة القبور" (٣).

وبعد: فهذا بحث بعنوان (الرزق في القرآن الكريم) حاولتُ من خلاله أن أبرز معالم الهدي القرآني في موضوع الرزق، وهو الموضوع الذي يمس حياة كل إنسان، ويأخذ اهتماماً واسعاً منه، وهو موضوع له خَطَرُهُ وأثره في حياة الناس

---

(١) ما بين المعكوفتين من مقدمة السخاوي لكتابه "رجحان الكفة "، ص: (٨٧، ٨٩).

(٢ ) قتَّر يقتِّر على عياله: ضيَّق عليهم في النفقة . المعجم الوسيط ( ٢/ ٧١٤ ).

(٣) رجحان الكفة ،ص: (٨٧،٨٩).

جميعاً، ولذلك كان بيان القرآن الكريم له بياناً شافياً تناول حقائقه ودقائقه، وأبعاده وأسبابه توسعة وتضييقا، فلم يترك فيه شاردة ولا واردة إلاَّ بينها أتم بيان وأكمله.

والرزق هو الجدار الضعيف عند غير المؤمنين، والذي يدق عليه شياطين الجن والإنس بأدوات التضليل والتشكيك والتخويف للنَّاس، فيخوفونهم الفقر والعَوَز، ويوهمونهم أن التصحر سيأتي على الأخضر من الأرض، وأن الفقر سيتفاقم أمره وينتشر انتشاراً واسعاً، وأن ندرة السلعة أو توفرها، وحركة النقد العالمي هي التي تؤثر في معاش النَّاس زيادة ونقصاً.

والقرآن الكريم قد كشف هذا الزيف والضلال للمؤمنين منذ أربعة عشر قرناً، حتى يكونوا على بينة من مخططات هؤلاء الشياطين، قال تعالى: @Ö ~ ¨Ð- ÝIÐ Ý ÝÅW ÝVW ÝÌÝ@ÝS[ ÝÆÝW ÝÝ@ÝS[ ÝØÝ ÝÉÝ™ WÝ Ýt Ý« الآية[٤]، وقال سبحانه: ¼ÝÝ ÝHÝÝ ÝÝ @ÝX ß,ÝX ÝÝ ÝÝ ÝÝ ÝÝ Ý ÝØÝ Ý Ý Ý Ý Ý Ý ÝÝ ÝÝÝS ÝéÝÝÝ _ Ý« الآيـــة[٥]،

وقطع القرآن الكريم الطريق على هؤلاء الشياطين ببيانٍ واضح ونصٍ قاطعٍ في آيات تسع من السور القرآنية بأنَّ بَسْطَ الرزق وتضييقَه بيد الله تعالى وحده؛ كما جاءت السنة النبوية في موضوع الرزق مُبَيِّنَةً – على جهة التفصيل- أمرَ الرزق، ومصدرَه، وأنواعَه، وأسبابَه بسطاً وتضييقاً، وموقفَ المسلم فيه تناولاً وسعياً،

---

(٤) سورة البقرة: (٢٦٨).
(٥) سورة الأنعام: (١١٢).

وأخذاً بالأسباب. والسنة النبوية مِنَ القرآن بمنزلة الرأس مِنَ الجسد، وهي تمثل فَهْم الرسول e للقرآن. وحياته – عليه الصلاة والسلام – هي التطبيق الموافق لمراد الله تعالى من هدي القرآن الكريم.

والهدف من بيان الهدي القرآني والسنة النبوية في موضوع الرزق، هو ألا يكون في حسِّ المؤمنين أدنى غبش في أنَّ الله تعالى هو مقدر الأرزاق وخالق الأسباب لها، وعلى ذلك فإن المؤمنين في كل زمان ومكان هم أسعد الناس بحقائق القرآن القاطعة الخالدة في موضوع الرزق، وبما جاء فيه من السنة النبوية المطهرة، فقلوبهم بذلك مطمئنة، وصدورهم منشرحة، ونفوسهم مطمئنة إلى أمر الله تعالى في موضوع الرزق فهم بناء على ذلك تجد حركتهم في الحياة عاقلة واعية هادفة، يسيرون في حياتهم نحو تلمس أسباب رزقهم سيراً راشداً، يعكس مدى إيمانهم بالله تعالى، وتعلقهم به، فهم لا يخشون الفقر، ولكنهم يخشون من بيده ملكوت السماوات والأرض، وخزائن الأرزاق فيهما، ولا يعتزون بشيءٍ من حطام هذه الدنيا الفاني، ولكنهم يعتزون بمن له العزة والملكوت: بالله تعالى جل جلاله وتعاظمت كبرياؤه، وهم لا يغفلون عن سننه الثابتة في كونه، فلا ينامون عن تطوير أسباب الرزق نحو الأحسن، واستثمارها نحو الأفضل، مع يقينهم بأنَّ الأمر في موضوع الرزق مرده إلى الله تعالى.

وغير المؤمنين تعساء أشقياء بما في أيديهم، وبما غاب عنها، ويزدادون كل يوم تعاسة وشقاء، بما تصغى إليه قلوبهم من التخويف بالفقر والعَوَز، بما تنطلق به ألسنة شياطين الجن والإنس كذباً وبهتاناً.

ويجيء هذا البحث كمحاولة للوقوف على حقائق القرآن الخالدة، في موضوع الرزق؛ ليهتدي الحيارى والتعساء إلى أنوارها، فيزول بذلك شقاؤهم وتتلاشى تعاستهم، وتذهب حيرتهم، ويلتحقوا بالجموع المؤمنة السائرة على درب الإيمان بالله تعالى واليقين بأمره – في موضوع الرزق – والاطمئنان إلى موعوده، وليزداد المؤمنون يقيناً، وبالله التوفيق.

ومادة هذا البحث كانت في أصلها محاضراتٍ ألقيت على طلاب الدراسات العليا بالسنة المنهجية للماجستير بقسم الكتاب والسنة، بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى في مادة (التفسير الموضوعي) الذي أقوم بتدريسه؛ وهو بحث يعتريه كثير من القصور، فللقارئ غُنْمه، وعلى كاتبه غُرْمه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

والحمد لله رب العالمين.

**وكتبه الفقير إلى الله**
**سليمان الصادق البيرة**
**العزيزية - مكة المكرمة**
**في ١٤٢٦/٥/٢٥هـ**

# الرزق في القرآن

## تعريف الرزق

والـرِّزْق: مصـدر رَزَقَ يَـرْزُقُ رَزْقـاً (فـالرَّزْقُ بـالفتح: المصـدر، وبالكسـر: الاسـم) وجمعه أرزاق[٦]. والـرِّزق: العطـاء. وقـال ابـن السِّـكِّيْت: الـرزق بلغـة أَزْد شَنُوءَة: الشكر، وهو قول الله عز وجل: ¼ÜVéSĩPÑŠØÑÑKØÑÑŴYÜVéSŴèV« [٧] أي شكركم التكذيب، ويقال: رزقني، أي شكرني[٨].

كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقرأ هذه الآية ¼ÜVéSŴèVYŴÑÑØ ÜVéSĩPÑŠØÑÑK« ثم قـال: "مـا مطـر النـاس ليلـة قـط إلا أصـبح بعـض النـاس مشـركين يقولـون : مطرنـا بنـوء كـذا وكـذا، قـال: وقـال : وتجعلـون شـكركم أنكـم تكذبون" [٩].

قال الراغب الأصفهاني: "الرزق يقال للعطاء الجاري تارةً - دنيوياً كان أم أخروياً - وللنصيب تارةً، ولِمَا يصل إلى الجوف ويُتَغَذَّى به تارة"[١٠] أ.هـ.

---

(٦) لسان العرب: (١١٥/١٠).

(٧) سورة الواقعة: (٨٢).

(٨) تفسير القرطبي (٢٢٨/١٧).

(٩) أخرجه أبـو عبيـد في فضـائل القـرآن (١٨٥)، وابـن جريـر في التفسـير (٦٦٢/١١ رقـم ٣٣٥٥٨، و٣٣٥٥٩).
وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (٣٢٠/٤) والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٢٢/٢).

(١٠) المفردات (٣٥١).

وقال ابن الجوزي – رحمه الله -: ذكر أهل التفسير أن الرزق في القرآن على عشرة أوجه:

أحدها: العطاء، ومنه قوله تعالى: ¼ ÙéSÝÉ¦ßØSÑÂÛ¦ Ý¦ÙÛëÂ « [١١].

والثاني: الطعام، ومنه قوله تعالى ¼ ÙÐSÙYÝÝ †ãçÝ ÙÑSÛS †ÙÜS Î¦ÝÏÂ¦ « [١٢].

والثالث: الغداء والعشاء، ومنه قوله تعالى ¼ ÛÐÂÝØSÑ¦ ÝØSÏÜÂ †ãçÝ ÙÑSÛS áÝ
†ÏÝÝÂ « [١٣].

والرابع: المطر، ومنه قوله تعالى ¼ ÙÜÂ ÛÝ ÝÑ ÙØ ÛÏ¦ÝÂ ÙÝÜS † ÛÝÝ Ý ë¦ « [١٤].

والخامس: النفقة، ومنه قوله تعالى ¼ ÙÜÂ ÛÛÝÝ ÛÝÝÝÝ Ý ÝÑÝÂÛÝ
ÙÝ Ý ÝÂÛÝÝ « [١٥].

والسادس: الفاكهة، ومنه قوله تعالى ¼ ÙÜÂ ÝÝÝ † ÝÝÝ Ý ¦ÎÝ† « [١٦].

والسابع: الثواب، ومنه قوله تعالى ¼ ÝÝÝÑÝÝ Ý ÝÝÝÝÝ ÝÝ † ÝÝ « [١٧].

(١١) سورة البقرة: (٣).
(١٢) سورة البقرة: (٢٥).
(١٣) سورة مريم: (٦٢).
(١٤) سورة الجاثية: (٥).
(١٥) سورة البقرة: (٢٣٣).
(١٦) سورة آل عمران: (٣٧).

والثامن: الجنة، ومنه قوله تعالى ¼ŴŠŽ ĐŴŽ ŇŴ ÑŴ ÜŴŽ øÓ» [١٨].

والتاسع: الحرث والأنعام، ومنه قوله تعالى ¼ $ŠÔŸ ŠÓ ŽŸ ŠŸ Ŏ@ ŠŽ 8
ŠŽŇ Û Ŵ ¦ŠŽ ŠŽŇŠŸ ŠŸ ŸŴ ŠŸ Ŏ _ŠŸ ŠŽ ¾» [١٩].

والعاشر: الشكر، ومنه قوله تعالى ¼ŴŠŽ ŠŸ ŠŸ ŠŸ ŠŸ ŠŸ ŠŸ ŠŸ ŠŸ ŠŸ
» [٢٠] أ.هـ[٢١].

وهذه المعاني والأوجه جاءت على حسب السياق؛ لأن "الراء والزاء والقاف أصل واحد يدل على عطاء لوقت ثمّ يحمل عليه غير الموقوت" [٢٢].

وحقيقة الرزق في جانبه المادي: ما يتغذى به الحي ويكون فيه بقاء روحه ونماء جسده[٢٣]، وذلك في المطعوم والمشروب. فالرزق في عمومه: كل ما أعطيه المخلوق[٢٤]، وفي خصوصه: الطعام والشراب.

---

(١٧) سورة غافر: (٤٠).

(١٨) سورة طه: (١٣١).

(١٩) سورة يونس: (٥٩).

(٢٠) سورة الواقعة: (٨٢).

(٢١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٣٢٤ - ٣٢٦). وانظر: الوجوه النظائر للدامغاني (٣٧٢ - ٣٧٣) ، والمفردات للراغب (٣٥١ - ٣٥٢) ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٦٥/٣ - ٦٧).

(٢٢) معجم مقاييس اللغة (٣٨٨/٢).

(٢٣) تفسير القرطبي: (٦/٩).

(٢٤) قال السمعاني في تفسيره (٤٤/١): "الرزق اسم لكل ما ينتفع به الخلق" اهـ.

قال القرطبي في تفسيره: "ولا يجوز أن يكون الرزق بمعنى المِلك؛ لأنَّ البهائم ترزق وليس يصح وصفها بأنها مالكة لعلفها؛ وهكذا الأطفال ترزق اللبن، ولا يقال: إن اللبن الذي في الشدي مِلك للطفل، وقال تعالى: ¼ W¥ÁÀ@0ÖÛÙtÑ ¡ŠÑÕÿ WV†ÚŠ¢ŠÅ¥Ÿ »[٢٥]، وليس لنا في السماءِ مِلك، ولأنَّ الرزق لو كان مِلكاً لكان إذا أكل الإنسان من مِلك غيره أن يكون قد أكل من رزق غيره وذلك محال؛ لأن العبد لا يأكل إلاَّ رزق نفسه"[٢٦].

## الرزق عند أهل السنة

والرزق عند أهل السنة: ما صح الانتفاع به حلالاً كان أو حراماً، وذلك أن الشيء إذا كان مأذوناً له في تناوله فهو حلال حكماً، وما كان غير مأذون له في تناوله فهو حرام حكماً، وجميع ذلك رزق[٢٧].

قال ابن منظور: "الأرزاق نوعان:

١ - ظاهرة للأبدان كالأقوات، ٢ - وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم، قال الله تعالى: ¼ WÙ†ÝÝWÔ€àÁ@ÈK¤ ³ ÀXK,VWÎÕ@ ØX ¡ŠÛW† »[٢٨]،

---

(٢٥) سورة الذاريات: (٢٢)

(٢٦) تفسير القرطبي (٦/٩).

(٢٧) نفس المصدر (١٧٧/١- ١٧٨).

(٢٨) سورة هود: (٦).

وأرزاق بني آدم مكتوبة مقدرة لهم وهي واصلة إليهم. قال تعالى: ŠÿXR†ÚW¼ ŸàŸÚŸØ¨ÝYÝ¦ ËWÝW†Ú ŸXRÝÚKS ÙSÚ ÙÕ ÌÚWÝ ÙÕ « [٢٩]. يقول: بل أنا رازقهم، ما خلقتهم إلا ليعبدوني[٣٠]، وقال تعالى: ¼WÝRÚ W ÙÕÚ Ÿ ÙÕÚ ŠÚ ÙÕÚ ÙÕÚŠÚ « [٣١].

(٢٩) سورة الذاريات: (٥٧).
(٣٠) لسان العرب: (١٠/١١٥).
(٣١) سورة الذاريات: (٥٨).

## أهمية الرزق

لو قيل: ما هو الشيء الذي يحتاجه الناس جميعاً، ويسعون من أجله؟ لكان الجواب: هو: الرزق، لأن به قوام الإنسان.

ولأهمية الرزق فقد اعتنى الله تعالى به في كتابه الكريم، وتمثل ذلك في الآيات الكريمة الكثيرة التي جاءت في موضوع الرزق، ووصف الله سبحانه نفسه صفة فعل وذات وسمى نفسه به فقال تعالى: [illegible] »[32].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعالى[33]. فأهمية الرزق أهمية قصوى وضرورية، وذلك لأنّ الإنسان بحكم جبلته لا تقوم حياته إلاَّ بالرزق الذي جعله الله تعالى سبب حركته في الحياة، فكان من تدبير الله تعالى لهذا الإنسان أن جعله جسداً لا يقوم إلاَّ بالأغذية ولا يستمر بقاؤه الظاهر إلاَّ بالأطعمة.

(٣٢) سورة الذاريات: (٥٨).

(٣٣) إحياء علوم الدين للغزالي: (٤/٢٦٧).

## حاجة الإنسان للرزق

إنَّ حاجة الإنسان للرزق حاجة ماسة، وضرورية لا يمكنه الاستغناء عنها، ولذلك قدر الله تعالى للإنسان رزقه وهو في بطن أمه، قال تعالى: @4 ÷ YW@5 ØÑÏWÿW ÿ ÑØÑÏWÿ « (٣٤) الآية. وجاء التعبير الكريم عن الخلق، والرزق بصيغة الفعل الماضي دليلاً على أن الله تعالى قد فرغ من تقدير أمر الرزق كما فرغ من تقدير أمر الخلق، كما سبق بذلك علمه، واقتضت إرادته ومشيئته، كما ورد في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله e ، وهو الصادق المصدوق قال:« إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد » (٣٥).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي e أنه قال:«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء » (٣٦).

---

(٣٤) سورة الروم: (٤٠).

(٣٥) أخرجه البخاري في الصحيح (١١٧٤/٣ رقم ٣٠٣٦) ومسلم في الصحيح (٢٠٣٦/٤ رقم٢٦٤٣) وهذا لفظ مسلم.

(٣٦) أخرجه مسلم في الصحيح ( ٢٠٤٤/٤ رقم ٢٦٥٣).

## رحمة الله للإنسان في رزقه

ولما كان الإنسان ضعيفاً أمام قضية الرزق بضعف نفسه الهلوعة الموصوفة بالطمع والشح إلاَّ من رحم الله، فقد تداركت رحمة الله تعالى هذا الإنسان الضعيف، فبين الله تعالى له أسباب الرزق، ودلَّه على طرقه، وأعلمه أنه سبحانه وحده المتكفل برزقه، وأن الرزق من عنده تعالى، وليس من عند غيره جلَّ جلاله، قال تعالى: ¼ [illegible] « (٣٧) الآية. فلو ترك الإنسان مع ضعفه بدون أن يعيَّن له مصدر رزقه وأسبابه، لتاه في غياهب الحيرة، وتذبذب في مجاهل الذلة والهوان لآخرين مثله، فلا يصلح بذلك لقيادة أو ريادة.

ولضعف الإنسان في قضية الرزق فإنه يمكن أن يُستعبد ويُذلَّ بلقمة العيش إذا ابتعد عن الهدي الإلهي المعصوم، وهو الهدي الذي يوجه الإنسان المسلم في قضية الرزق الوجهة الصحيحة التي تحفظ كرامته الإنسانية فيسير في طريق طلب الرزق سيراً كريماً متوازناً لا خلل فيه ولا اضطراب. وذلك من فضل الله تبارك وتعالى على أمة محمد e حيث أكرمها بدين الإسلام العظيم وهداها إلى هديه القويم.

---

(٣٧) سورة العنكبوت: (١٧).

## الإنسان لا يملك رزقه

ولما كان الإنسان لا يملك رزقه فقد كانت حركته ضرورية في الحياة لتحصيل رزقه، وتلمس أسبابه التي يسرها الله تعالى وبثها في كونه الواسع الفسيح، إن من رحمة الله تعالى بالإنسان أنه لا يملك رزقه، ومن ثم فهو شديد السعي في سبيل تحصيله، فلو ملك الإنسان رزقه لأَهْلَكَ نفسه بالكسل، وأهلك غيره، ولم يكن للحياة مذاق جميل ولطغى الإنسان وتمرد على خالقه، وأفسد في الأرض وملأها ظلماً وجوراً؛ ونحن نشاهد إنسان اليوم – مع أنه لا يملك رزقه، إلاَّ أنه في كثير من المواقع – يظلم ويجور، ويحاول أن يستعبد غيره، مع أنه أعطي أسباباً من التمكين، فكيف يكون الحال لو ملك رزقه؟ وقد شعر بهذه الحقيقة الإمام الزاهد الفضيل بن عياض حيث قال في قوله تعالى [illegible] «[٣٨]: "المخلوق يَرْزُق، فإذا سَخِط قطع رِزْقَه، والله تبارك وتعالى يَسْخَط ولا يَقْطَع رِزْقَه"[٣٩] اهـ.

فالحمد لله على لطفه بالإنسان حيث لم يملكه رزقه، بل جعله يتربَّى على طريق العبودية والحاجة لله جل جلاله فيتلمس أسباب رزقه، وفي ذلك الخير كل الخير له.

---

(٣٨) سورة الجمعة: (١١).

(٣٩) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٥٠/٤ رقم ١٣٢١).

## الرزق بيد الله وحده

ولما كان الرزق - في جانبه المادي- يمثل بقاء الإنسان في الحياة، فلم يجعل الله تعالى لأحد من خلقه التحكم في قضية الرزق، وذلك أنَّ النَّاس لو مُكِّنوا من ذلك، وتحكم بعضهم في رزق بعض، لأدى ذلك إلى انتشار الفساد والفوضى، والاضطراب والطغيان. فالرزق بيد الله وحده، والخلق خلقه، والرزق رزقه فهو وحده الخلاق الرزاق، والحِكَم في هذا الأمر كثيرة لا تحصى، ولعل منها ما يبدو أنه توجيه لعباد الله المؤمنين في أن يَعُوا الدرس العظيم، وهو: أن الخلق لم يُخلقوا لِيُكلَّفُوا رزق أنفسهم أو رزق غيرهم، ولكنهم خلقوا لغاية عظمى وهدف أسمى، وذلك عبادة الله تعالى ومعرفته، قال تعالى: ð ß,ÞÖÞÝÞ ¢@Œ ÍÎÞ†ÚÞ¼

ÞÈÈ ÞÝ@ÔÚ(٥٧) ÛéÒÅÞ ÞÜÈÞ ÞÈÉ ¦ÕÝÕØÅÞÍ ÞÈÉ ÞÝ (٥٦) ÛèÒÅÞ ÞÜ ÞÐÞ

@ŒŒ ÞÜ@ÔÕ ŒÈ (٥٨) «[٤٠]، وقال أبومعاوية الأسود: "لا تهتم بأرزاق من تُخَلِّفْ ، فلست بأرزاقهم تُكلَّفْ"[٤١]أهـ. فلا ينبغي للمؤمن بناء على ذلك، أن يرتع في هذه الحياة كما يرتع الغافلون، فيعطيها كل همه أو يسعى وراءها سعي البهائم لا يلوي على شيء، وذلك صنيع أهل السفه في كل زمان ومكان، وذلك أن الدنيا بما فيها هي: وسيلة لها زمنها المحدود، إلى غاية لها الوجود الممدود الذي

---

(٤٠) سورة الذاريات: (٥٦ - ٥٨).

(٤١) أخرجه ابن أبي الدنيا في العيال (٢/٦٥٤ رقم ٤٦٧).

لا نهاية له، وتلك الغاية هي الآخرة، ولا يليق بالعاقل أن يتلهى بالوسائل ويغفل عن غاياتها ولذلك فلا يمكن أن يتساوى في ميزان المؤمن أمر الدنيا والآخرة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه، وخرج منها ولم ينل منها إلاًّ ما قدره الله له منها. قال تعالى: ¼ WεŠW• y|ŲQbTZ Ð ŸWΛEWšW « (٤٢) ألا ما أَجَلَّ هذا القول الكريم وأشرفه، وأكرمه وأعظمه، وأجزله وأقواه، إنَّه يستأصل التردد والخوف في نفس المسلم تجاه قضية الرزق، ويقطع عروق الشك تجاهها، وإنَّ المؤمن لتطمئن نفسه إلى هذه الحقيقة القرآنية الخالدة الباقية فيغمر الاطمئنان وجدانه كله إلى هذا الموعود الإلهي الكريم فيحس باليقين يغمره كله، فينعكس ذلك على حركته في الحياة وهو يسعى متلمساً أسباب الرزق، سعياً راشداً يدل على عقل وحكمة وإيمان.

وإذا كانت العبادة هي غاية الخضوع، وكمال الذل للمعبود، فإنها لا ينبغي أن تكون إلاًّ لمن له غاية الاحتياج والافتقار، ومن عنده أرزاق خلقه أجمعين، وليس ذلك إلاّ لله الخلاق الرزاق، الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير محتاج إليه في كل شيء، ولذلك جاء قول الله تعالى: ¼ ŠŸSE@Wè¦ Q@Y @WY NSpt@V f û éSAŠTŠY TWMSVNŠjÑ® @V « (٤٣) وقد قرن فيه أمره - سبحانه وتعالى - بابتغاء الرزق عنده - جلَّ جلاله- بأمره عز وجل بعبادته وشكره، دليلاً على أن

(٤٢) سورة الزخرف: (٣٢).

(٤٣) سورة العنكبوت: (١٧).

من ملك الرزق فهو الحقيق بالعبادة والشكر.

والعالم الإنساني اليوم تحتوشه شياطينه من بني الإنسان محاولة أن تضله عن الهدي القرآني وحقائقه الخالدة في موضوع الرزق، وتوهمه أن عالم الإنسان مهدد بالفقر، والتصحر، والجفاف، فتوقعه بذلك في متاهات لا نهاية لها من الحيرة، والاضطراب، والتبعية المطلقة لأولئك الشياطين، ويقف المؤمنون في كل مكان يصارعون بقوة الحق باطل هؤلاء الشياطين، ويرفع الاقتصاد الإسلامي رأسه وسط هذه المعركة الرهيبة ويعلن عن هويته، وأنَّها هوية تستند إلى حقائق الوجود الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير، والتي فطر الله خلقه عليها، والتي لا يمكن لشياطين الإنس أن تلعب بها أو تتسور عليها، وتلك هي حقائق القرآن الخالدة الرائعة في قضية الرزق، والتي تنطلق من حقيقة أنَّ الله جلَّ جلاله هو خالق الخلق، وهو سبحانه مقدر الرزق، فالرزق ليس في يد الشرق أوْ الغرب، ولكنه بيد الله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء وهو جلَّ جلاله الرزاق ذو القوة المتين، وبأنوار حقائق القرآن الخالدة الباقية في هذا الموضوع تختفي سائر الشياطين التي تسيطر على اقتصاد العالم اليوم على أسس ربوية ظالمة، واحتكار جائرٍ، ونهب لثروات الأمم والشعوب، وتسلط فاضح من الأغنياء على الفقراء، وامتصاص لدمهم وجهدهم، ولذلك فلا سبيل إلى إنهاء هذا التسلط إلاَّ بالاعتصام بالمنهج الرباني الكريم، الذي بيّنته حقائق القرآن العظيم في موضوع الرزق، وبناء أسس الاقتصاد وقواعده على هذه الحقائق، إنّ الله تعالى حين بَـيَّن لخلقه أنَّ أمر الرزق بيده سبحانه لم يدعهم ينتظرون أن تمطرهم السماء ذهباً ولكنه عز وجل دعاهم إلى تلمس أسباب الرزق المبثوثة في كونه الفسيح وتعبدهم بذلك تربية لهم على طريق

العبودية له جلَّ جلاله، ومن ثم أمرهم بالتوكل عليه لا على الأسباب، وجاءت السُّنة الفعلية - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، وهي التفسير العملي لحقائق القرآن في موضوع الرزق- تُبين بكل جلاء ووضوح أنَّ التوكل على الله تعالى في هذا الأمر مِنْ علامات الإيمان، وتؤكد على حقيقة وضوح المنهج الإسلامي الرشيد الفريد، الذي يجعل من الرزق وتَلَمُّسَ أسبابه مدرسةً عالية، يتربى من خلالها المسلمون على معانٍ جليلة في التوكل لا التواكل؛ ومنها: الإيمان بالخالق الرزاق جلَّ جلاله، ومحبته، والإنابة إليه، وتعظيم أمره، والتجافي عمَّا حرمه وإنْ كان سهلاً كثيراً، والإقبال على الحلال في الكسب وإنْ كان قليلاً أو عسيراً، ولا شك أنَّ المؤمن يدرك قيمة ومعنى أنَّ الرزق بيد الله تعالى؛ لأنَّ ذلك مِنْ شأنه أنْ يتيح له الفرصة لعبادة الله وطاعته، والتسابق في ذلك والإقبال عليه تعالى بالذكر والإنابة والاستغفار، والمؤمن هو أسعد الخلق بهذه المعاني حيث يجد في طاعته لربه نفسَه، كما يجد سعادته وأُنْسَه. ولو كُلِّف الخلق أن يَرْزُقُوا أنفسَهم، أو يَرْزُقَ بعضهم بعضاً لاستحالت حياتهم إلى جحيم لا يطاق، فما أوسع وأجمل رحمة الله تعالى بخلقه، فسبحان من وسعت رحمته كل شيء.

ولذلك فإنَّ إدراك حقيقة قول الله تعالى: ¼KQ@VÂ SÑ@ PÈ ËÑ@ÉÑ@SÕ@ÌÖ@ÑÓ@ÔVÚ ÙÜ@ÖÝ « (٤٤) وتسليم القلب بها عن يقين يحتاج إلى قلوب مؤمنة، تعانق حقائق القرآن الخالدة وتصدق بموعود الله تعالى فيما أخبر به في كتابه، وعلى لسان نبيه

(٤٤) سورة الذاريات: (٥٨).

- عليه الصلاة والسلام - برغم كل ما يطفو على سطح الحياة من أباطيل شياطين الجن والإنس وأعوانهم وأذنابهم، فالمؤمنون - في قضية الرزق - هم أسعد الناس، وأهنؤهم؛ لأنَّ قلوبهم آمنت بموعود الله تعالى وصدقت به، فاطمأنت نفوسهم، وانشرحت به صدورهم في وقت ضاقت فيه صدور الكثير من الناس، فضاقت بذلك حياتهم برغم ما في أيديهم من حطام الدنيا، فانتهى بهم الأمر إلى الانتحار والبوار.

إنَّ التصديق بموعود الله تعالى في الرزق، والاطمئنان به، وتربية النفس على الصبر على تكاليف هذا التصديق، لهو السبيل الأقوم إلى الحياة الهادية الراشدة الحلال، التي لا تمتد يد الإنسان فيها إلى الكسب الحرام مهما كان ميسراً كثيراً، بل يرضى بالحلال ويُقْبِل عليه ويسعد به ولو كان قليلاً، أو عسيراً؛ إنَّ من المعاني التي يتربى عليها المؤمنون – على طريق الإيمان بأنَّ الرزق بيد الله تعالى، وأنَّه سبحانه متكفل بأرزاق خلقه جميعاً – هي ألا يتشابه المؤمنون في نظرتهم للحياة الدنيا مع نظرة الكفار الذين يرونها كل شيء، ويبذلون في سبيلها كل شيء. قال الله تعالى: ¼ VWeV• ×VVTS ØK S¥ ¯@ Ü† §gVW ÕøuV~ éá »[45] وفي تنكير الحياة في الآية الكريمة ما يدل على أنهم أحرص الناس على أحقر حياة وأقل لُبْث في الدنيا، فكيف بحياة كثيرة ولُبْث متطاول؟[46] فالدنيا في ميزان المؤمنين معْبَر إلى

(٤٥) سورة البقرة: (٩٦).

(٤٦) انظر: تفسير الشوكاني (١/ ١١٥).

الدار الآخرة الباقية ووسيلة إليها، ومع ذلك فإن موقف المؤمنين من الحياة الدنيا ليس موقف العداء والسلبية، بل هو موقف العمل فيها واستغلالها استغلالاً ناجحاً يؤدي إلى النجاح في الآخرة، فهم لا يعيشون فيها كسالى أو عالة على غيرهم[٤٧]، بل هم المتميزون والمتفوقون في كل ميدان من ميادينها المشروعة، يتركون آثارهم الطيبة التي تجعل الأجيال تشهد لهم بالنفع والفائدة والنجاح في دينهم ودنياهم، فهم فرسان أي ميدان حَلُّوا فيه، وهم في ذات الوقت رهبان الليل، والدنيا مهما أقبلت عليهم فهي في أيديهم فقط، والدِّين في قلوبهم، وهو ما يمثل التوازن والتكامل في شخصيتهم، وذلك نموذج الشخصية المؤمنة في الحياة التي تجعل للحياة معنىً شريفاً، حيث يحس النَّاس بقيمة هذه الحياة، ويسعدون بوجود المؤمنين فيها. إن القرآن الكريم يبين الصورة المتوازنة التي تعكس موقف المؤمنين وهم يتعاملون مع الحياة الدنيا في اعتدال، قال الله تعالى: ¼ ÂÁ Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ « الآية[٤٨].

وفي آيات كريمة أخرى بَـيَّن القرآن الكريم، أهمية السعي للدنيا والآخرة وعدم إهمال إحداهما على حساب الأخرى تربية للمؤمنين على طريق التوازن والاعتدال.

---

(٤٧) وكان الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - " يمر بالسوق ويقول: ما أحسن الاستغناء عن النَّاس" اهـ. أخرجه الخلال في الحث على التجارة والصناعة (٢٤ رقم ٤).

(٤٨) سورة القصص: (٧٧).

ومما يجدر ذكره والتنبيه عليه في هذا المقام، أنَّه لا ينبغي أن يفهم بحال أنَّ إيمان المؤمنين بأنَّ الرزق بيد الله تعالى، وأنَّه سبحانه متكفل بأرزاق خلقه، يعني نبذ الدنيا أو إهمالها، وهذا لا يتعارض مع ما جاء في آيات كثيرة كريمة في القرآن الكريم، تصف الحياة الدنيا بمتاع الغرور، وتندد بالذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، وتضرب الأمثال لهذه الحياة، ومصير ما فيها من متاع وزينة، وتنبه على عدم الاغترار بها، غير أنه بأدنى تأمُّل لهذه الآيات، وسياقها الذي وردتْ فيه، والمناسبة التي نزلتْ فيها يَتبيَّن " أنَّها إنما جاءتْ في سياق الحض على الجهاد بالمال والنَّفس الذي كان يدعى إليه المسلمون لدفع العدوان والبغي، وتوطيد الحرية للدعوة الإسلامية، وفتح الآفاق لها، أوْ في سياق تقريع الكفار الذين صمّوا آذانهم عن سماع الدعوة، ولم يؤمنوا بيوم البعث والجزاء، ولم يحسبوا حسابه، وتكالبوا على الدنيا ولذائذها دون تمييز بين الحق والباطل، والخير والشرّ، ودون تفكير في المصير المظلم الذي هم سائرون إليه بكفرهم وغوايتهم، واستغرقوا في عقائدهم، وتقاليدهم، وعصبياتهم الجاهلية؛ أوْ في سياق الحض على ابتغاء الخير والحق، وتحمل التضحيات في سبيلهما، وتسهيل الإقدام عليهما – على النّفوس التي كانتْ الأنانية والأثرة من أبرز وأقوى غرائزها – وذلك عن طريق تهوين أمر الدنيا، والتذكير بزوال ما فيها من متاع، وبمصير الإنسان إلى الموت عاجلاً أو آجلاً، وانقطاعه عن هذه الحياة، واستقباله الحياة الأخرى، وليس معه إلاَّ عمله فيها؛ أو

في سياق دعوة المسلم إلى عدم جعل الدنيا أكبر همه، وعدم استغراقه في متعها وشهواتها استغراقاً ينسيه واجباته نحو الله والناس" (٤٩).

(٤٩) الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة، لمحمد عزة دروزة (١/٣٠ - ٣١).

## الرزق نصيب محفوظ

إنَّ المِنْهج الإسلامي الرشيد السديد الذي حددتْ معالمه آية سورة القصص، والتي أوردناها قبل قليل يُبَيِّن التوازن والاعتدال في شخصية المؤمن وهو يتعامل مع الحياة، ويعمل في ذات الوقت لأُخْراه الباقية، و نُورد هذه الآية الكريمة هنا مرة أخرى حتى يكون القارئ الكريم على ذكر منها؛ ونحن نتحدث عنها مبرزين – مِنْ خلالها- سمات الشخصية المؤمنة وهي تعمل للدنيا، وتعمل للآخرة، قال الله تعالى: ð ÞÏŠ,ŸŸÝŸ›•@ÜŽ@Õ@ÖÞ †ÙÑÝÝ@ÿ ... †ÝÜÛÛ@ÝÖ ÐÞ ÝÜÝ « [٥٠] الآية. ويلحظ المتأمل في هذا النص القرآني الكريم مجيء الأمر الإلهي الكريم بالابتغاء للدار الآخرة على إطلاقه، ليشمل سائر أجزاء هذا الابتغاء في جميع الأحوال، والأزمنة والأمكنة، ابتغاءً متواصلاً متلاحقاً لا يستقل منه شيء مهما كان قليلاً، ابتغاء بالليل والنهار، والسر والجهار، ابتغاء يبذل فيه المؤمن جهده المستطاع، فعلى قدر ما يحصل من هذا الابتغاء في الدنيا على قدر ما يلقى في الآخرة، فقد جاء عن النبي e قوله:« يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » [٥١] ، فليست درجات من قرأ القرآن كله مثل من قرأ نصفه،

(٥٠) سورة القصص: (٧٧).

(٥١) أخرجه أحمد في المسند (١٩٢/٢) والترمذي في السنن (١٦٣/٥ رقم: ٢٩١٤) وأبوداود في السنن

أو ثلثه، أو ربعه، وهكذا سائر أنواع الأعمال التي تُبْتَغى بها الدار الآخرة.

واللفظ الكريم في الآية الكريمة (وابتغ) يشعر بالتكليف في الإقبال على هذا الابتغاء بنية وهمة، ورغبة وإقبال على كل ما يحققه، وذلك مقتض ترك ما يضاده ويقابله حساً ومعنىً، وقدم أمر الآخرة على أمر الدنيا، دليلاً على شأن الآخرة وأهميتها، وأنها الباقية، وتذكيراً للخلق بذلك، وذلك لأنَّهم - إلا من رحم الله - مولعون بالعاجل، متشوقون إليه، متعلقون به، قال تعالى: ¼ ÜÆSYé ŠÔÜ @ÜÆWWë@ÜÆ ÖÜ ü ÿ ¥ « [٥٢]، وفي سبيل ذلك فهم ينسون الأهم الآجل، فهم كما وصفهم خالقهم في كتابه بقوله تعالى: ¼ ÜÆSÜÂÿ ÜÆSÜÂÿ ÜÆ £ÆÜ ÖÜ @ÜÆWWë@ÜÆ ÖÜ ü ÿ ¥ ÜÆSÝÿHÆÆ ÿ Š ÆÆÿ ¸• @ÝÆÆØ ŠÆÆ « [٥٣].

أما ما سيحصله المخلوق في الدنيا مما سبق في علم الله تعالى وتقديره، فقد وُصِفَ في آية القصص بـ (النصيب) بياناً واضحاً، ودليلاً ساطعاً لكل من يعي ويعقل حقائق القرآن الخالدة الثابتة، بأنَّه لا أحد من المخلوقين يصل في هذه الدنيا إلى تحصيل شيءٍ منها بقوته – ماديةً كانتْ أو معنويةً - ولكنه يصل إلى ذلك بتقدير الله تعالى، وقدرته الغالبة، ومشيئته النافذة وحكمته البالغة، وعلمه المحيط، فما يصل إليه المخلوق من هذه الدنيا فهو من نصيبه المقدّر، والمعَدّ له،

---

(١٥٣/٢ رقم: ١٤٦٤) وحَسَّنَ إسناده الأرناؤط في تحقيق: جامع الأصول (٥٠٢/٨).

(٥٢) سورة الأعلى: (١٦).

(٥٣) سورة الروم: (٧).

بــأمر الله تعــالى: ¼ @ØV ÜÝYÈVØ ÙÈV}^ ÌKø ÌÜëV-àÈÚ ÌKØÕÎÏ †ÆØ@ØVV{ ÜVëSÙÅjVVVXS « [٥٤] ، فـاللهم اجعلنـا ممـن يـوقن بـذلك، وهـذا النصيب يصـل صـاحبه في زمـان ومكـان علمهمـا الله تعـالى وقـدرهما، وأخفاهمـا علـى خلقـه قبـل ظهورهمـا، تربيـةً للمؤمنين على طريق العبودية له جلَّ جلاله، وإنه لطريق طويل من التربية الإيمانية الراشـدة الـتي يـتربى عليهـا المـؤمن، وهـو يأخـذ نفسـه بالصـبر، والسـير علـى هـذا الطريـق، يتلمس أسباب هـذا النصيب الظـاهرة، مـع اليقـين التـام بـالموعود الإلهـي الكريم بأنَّ الرزق على الله تعالى. قـال سبحانه: ¼ †ÜVVÝÝ ÌÕÈÀ @ÏÆ ÌÆ³ ,ÊÌÆ ÜÈV @ØÖ ×Ø ÈÛ¦ÈV ÜÈ ÌÜÅ ÝÈÔ ÜÉVÍ ÜÈVÌÈV ÜÈVÍÈ† « [٥٥].

وإضافة (النصيب) في آية القصص إلى ضمير المخاطب، وهو (الكاف) - (نصيبك) - دليل بالغ ساطع لا يقبل النقض، بأنّ كل مخلوق إنما يأخذ وينال من هذه الدنيا مدة حياته فيها ما قدر له وحدد في علم الله تعالى، فهو لا يمكنه بحال أن يزيد فيه أو ينقص من نصيب غيره أو يمنعه عنه[٥٦]. فكل مخلوق يصله نصيبه في حياتـه، وهـو النصيب الـذي قـدره الله مـرتين: مـرة حـين كـان في الغيـب

---

(٥٤) سورة يوسف: (٢١).

(٥٥) سورة هود: (٦).

(٥٦) قال بعضهم:

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ... ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

أخرجه الدينوري في المجالسة (٣٤١/٧ رقم ٣٢٦٩). وانظر من المجالسة (١٥٤/٨).

المطلق الذي لم يُطلع عليه أحداً من خلقه وهو المدلول عليه بقول سيدنا رسول الله e: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يَخْلُق السَّماواتِ والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء » (٥٧). ومرة حين أَطْلع عليه الملك الموكل بالأرحام فكان في الغيب النسبي، وهو المدلول عليه بقول النبي e: «... ثم يُرسَل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بِكَتْبِ رِزْقِه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أو سعيد » (٥٨).

والمتأمل في الأسلوب القرآني الكريم في آية القصص يلاحظ أنه جاء فيه النهي عن نسيان النصيب متصلاً بأمر الدنيا، فجاءت صيغة الفعل بالنهي (ولاتنس) دون سواها من صيغ أخرى تحث على الحرص البالغ، مثل: (اجتهِدْ)، (اسْعَ)، (ابحثْ) أو صيغ تنهى عن التفريط مثل: (لا تترك)، و(لا تضيع) دليلاً على أن نصيب المخلوق في الدنيا - وإن نسيه - لا يضيع، بل يلقاه صاحبه بأمر الله تعالى في الزمان والمكان المعلومين عنده سبحانه وتعالى.

وقد ورد عن النبي e قوله: « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله» (٥٩).

---

(٥٧) سبق تخريجها في ص (١١) .

(٥٨) سبق تخريجها في ص (١١).

(٥٩) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٣١/٨ رقم ٣٢٣٨ - إحسان) وقوّى إسناده محققه. ورواه أيضا البزار ( كشف الأستار ٨٢/٢ برقم ١٢٥٤ ) .

وفي معناه حديث جابر - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله e : «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت» (٦٠).

وقد عبّر عن هذه المعاني مَن قال:

الْمَرءُ يَسْعَى، وَيَسْعَى الرِّزْق يَطْلُبُهُ

وَرُبَّمَا اخْتَلَفاَ فِي السَّعْيِ وَ الطَّلَبِ

حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا

لِلاتِفَاقِ أَتَاكَ الرِّزْقُ عَنْ كَثَبِ(٦١)

ولا يعني ما تقدم أن يَخْلُد النَّاسُ إلى الكسل والخمول، ونبذ التحرك وترك الأخذ بالأسباب لتحصيل هذا النصيب، بل إن ذلك دعوة وحث للناس جميعاً إلى الحركة والعمل، وبذل الجهد في تَلَمُّس أسباب الرزق، وذلك أنَّهم قد خفي عنهم الزمان والمكان(٦٢) اللذان يرزقون فيهما، فعِلْمُ ذلك عند الله تعالى بدايةً.

وهو مدعاة للناس أن يتحركوا ولا يسكنوا في طلب رزقهم؛ ولكن حركة المؤمن نحو أسباب الرزق تختلف عن حركة غيره من الناس، فحركته هادئة متزنة

---

(٦٠) أخرجه أبونعيم في الحلية (٩٠/٧، ٢٤٦) وحَسَّنَه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٥/٢) رقم (٩٥٢).

(٦١) بهجة المجالس وأنس المجالِس لابن عبد البر (١٤٣/١).

(٦٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن الزمان والمكان في الرزق. انظر (٧٠).

راشدة لا خلل فيها ولا اضطراب، فهي تستهدي بحقائق القرآن الخالدة، والعقلاء من الناس يقتدون بحركة المؤمن هذه فينتشر بذلك الخير، وتقل معالم الشرّ والفساد من سرقة، وغصب، ورشوة، واحتيال، وتعامل بالربا، فتستقر بذلك الحياة في كثير من جوانبها، وما ذلك إلاَّ بالمثل الطيب الذي ضربه المؤمن في حركته نحو الرزق؛ فلا خير ولا سعادة، ولا اطمئنان ولا استقرار، ولا راحة في هذه الحياة إلاَّ بالإيمان وذلك دليل على أن الإيمان أمر أساسي في الحياة، لا تصلح إلاَّ به، ولا تقوم إلاَّ بوجود أهله.

## الرزق يلازم صاحبه ويطلبه

إنّ من مظاهر رحمة الله تعالى بالإنسان - وهو لايملك رزقه، ولايعلم على وجه القطع مكانه، وزمانه - أن جعل رزقه ملازماً له لا ينفك عنه، فهو نصيبه المقدر المحدد الذي لابد أن يُسْتوفى كاملاً غير منقوص مدة حياة صاحبه، ولا يتوقف إلاَّ حين تتوقف حياة صاحبه. قال e : « أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُم »(٦٣)، وجاء عن الرسول e أنه قال:«لو أن أحدكم فرَّ من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» (٦٤)، وعن حبَّة وسواء ابني خالد أنهما قالا: دخلنا على النبي e وهو يعالج شيئاً فأعنَّاه عليه فقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهزَّزَتْ رءوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قِشْر، ثم يرزقه الله عزوجل »(٦٥).

---

(٦٣) أخرجه ابن ماجة في السنن (٩/٣ رقم: ٢١٤٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٦/٢ رقم: ١٧٤٣). وانظر التوكل على الله (٨٩) لابن أبي الدنيا.

(٦٤) أخرجه أبونعيم في الحلية (٩٠/٧، ٢٤٦) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٥/٢ رقم: ٩٥٢).

(٦٥) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٩/٣)، وابن ماجة في السنن (٤/ ٤٥٢ رقم: ٤١٦٥) واللفظ له، وإسناده حسن كما قاله الحافظ في الإصابة (٢٠٠/١/٢) . وقال البوصيري في زوائده (٢٨٤/٣ رقم: ٤١٦٥): صحيح رجاله ثقات.

(فائدة): قال مكحول: " الجنين في بطن أمه لا يطلب ولايحزن ولايغتم، وإنما يأتيه رزقه من دم حيضتها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا وقع إلى الأرض استهل، واستهلاله استنكارا لمكانه، فإذا =

قال جعفر بن محمد: "الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرَّ من الرزق كما يفر من الموت، لأدركه كما يدركه الموت" (٦٦) .

وفي هذه النصوص النبوية الكريمة التي انطلقت من مشكاة النبوة الطاهرة بعض المعالم الرشيدة والفريدة التي تبين بكل وضوح بعض سمات المنهج الإسلامي السديد في التربية في موضوع الرزق ، وهي معالمُ صدقٍ وسمات حقٍّ لا تتبدل ولا تتغير، بل هي ثابتة وخالدة، وأسعد الناس بها هم المؤمنون. وهذه الأحاديث النبوية تحمل من جمال الأسلوب، وروعة البيان ومراعاة مقتضى الحال، ما يدل بكل جلاء على روعة وجمال وجلال السنة النبوية على صاحبها - أفضل الصلاة وأزكى التحية -، وتكاملها وشمولها وتمامها في التربية والتوجيه والبناء، بما يشمل الحياة في جميع فروعها وأجزائها، بما يعود على المؤمنين بالخير والسداد والرشاد في حاضرهم ومستقبلهم.

=قطعت سرته حول الله رزقه إلى ثدي أمه فيأكله، فإذا هو بلغ قال: هو الموت أو القتل؟ قال: أنى لي بالرزق؟ قال مكحول: يا ويحك، غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى إذا اشتددت وعقلت، قلت: هو الموت أو القتل أين لي بالرزق، ثم قرأ مكحول ¼ [illegible]
[illegible] « [الرعد:٨].

أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٢٢٧/٧ رقم ١٢١٧٠)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٩١/٢ رقم ٥٦٨) من طريقين عن مكحول .

(٦٦) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٧١/٧ رقم ٢٩٣٥).

خرجت أعرابية يوماً على أعراب، فوجدتهم منكسي رءوسهم بسبب أنَّهم زرعوا زرعاً، فأصابته جائحة فحزنوا من أجله، فقالتْ تخاطبهم: مالي أراكم قد نكَّستم رءوسكم، وضاقت صدوركم؟ هو ربنا، والعالم بنا، ورزقنا عليه يأتينا به حيث شاء، ثم أنشدت تقول:

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي البَحْرِ راسيةٍ

صَمَّاءَ مُلَمْلَمَةٍ مَلْسًا نَوَاحِيَها

رِزْقٌ لِنَفْسٍ بَرَاهَا الله لا نْفَلَقَتْ

حَتَّى تُؤَدِّي إلَيْها كُلَّ ما فِيهَا

أوْ كَانَ بَيْنَ طباقِ السبعِ مسلكُهَا

لسهَّل اللهُ في المرْقَى مراقِيهَا

حتَّى تنالَ الذي في اللَّوْحِ خُطَّ لهَا

إنْ لم تَنلْهُ وإلاَّ سوفَ يأتِيهَا[٦٧]

وقد فقهت هذه الأعرابية - على فطرتها وبساطتها - قضية الرزق فقهاً إيمانياً، بينما عجز عن فقهها كثير من الناس في عصر الذرة اليوم، وبعض هذا الكثير على علم في الظاهر، لكنَّهم علموا ظاهراً من أمر الحياة الدنيا، وهم عن حقائق القرآن وثوابت الفطرة غافلون؛ فالمتأمل في مقالة الأعرابية يتضح له أنَّ

(٦٧) تفسير القرطبي: (٤٣/١٧).

قضية الرزق واضحة في تصورها لا غبش فيها، فقولها: (هو ربُّنا، والعالم بنا، ورزقنا عليه يأتينا به متى شاء) يبرز الجانب العقدي الصحيح في تصورها، كما يبرز جانب فهمها لقضية – الزمان والمكان – في موضوع الرزق، اللَّذَين استأثر الله تعالى بعلمهما بدايةً.

وكان سلف هذه الأمة على فقه تام لقضية الرزق، فكانت واضحة تمام الوضوح بأبعادها وأجزائها، فهي مبسطة في حسهم الإيماني، فلا تعقيد عندهم في فهمها، كما هي معقدة في حس ونفوس كثيرين من أبناء هذا العصر، فجاءت عبارات سلف هذه الأمة في قضية الرزق تدل على التكامل الإيماني في نفوسهم، وظهوره على شخصياتهم وانعكاسه على تصرفاتهم.

فكانوا يقولون: "توكل، تساق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف"(٦٨).

وقيل لأبي أسِيد: من أين تأكل؟ فقال: سبحان الله، والله أكبر، إن الله يرزق الكلب، أفلا يرزق أبا أَسِيد؟(٦٩) وقيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: الذي خلق الرَّحى يأتيها بالطحين، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق(٧٠). وقيل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال: من عند الله. فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال: كأنْ ماله إلاَّ السماء! يا هذا: الأرض له،

(٦٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكل على الله (٩٠ رقم ٥٣) ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٠٣/١٤).

(٦٩) تفسير القرطبي: (٩/ ٧ ) . وانظر: المجالسة للدينوري (١٦٣/٧ رقم ٣٠٦٩).

(٧٠) تفسير القرطبي : (٩/ ٦ ).

والسماء له، فإن لم يُؤتني رزقي من السماء، ساقه لي من الأرض. ثم أنشد:

وَكَيْفَ أخافُ الفَقْرَ وَاللهُ رَازِقِي
وَرَازِقُ هَذَا الخَلْقِ فِي العُسْرِ وَالْيُسْرِ
تَكَفَّلَ بِالأَرْزَاقِ لِلخَلْقِ كُلِّهم
وَلِلضَّبِّ فِي البَيْدَاءِ والحُوتِ فِي الْبَحْرِ[٧١]

وفي حديث لقمان الحكيم مع ابنه تربية وتوجيهاً له بَيَّن أنَّ أمر الرزق بيد الله تعالى، وأنَّه لو كان للإنسان رزقٌ قَدْره في مثقال حبة من خردل، وكان ذلك المثقال في صخرة أو في السماوات أو في الأرض، فإن الله تعالى يأتي لعبده بهذا الرزق المقدر له[٧٢]، ويسوقه إليه في الزمان والمكان المعلومين عنده تعالى. قال الله تعالى: [illegible][٧٣].

والدرس المستفاد من هذا التوجيه القرآني الكريم في هذه الآية الكريمة أنَّ رزق الإنسان المقَدّر له لابُدَّ أن يناله في الحياة سواء كان كثيراً أو قليلاً، فالرزق يلازم صاحبه ويتبعه كما يتبعه ظله، ويطلبه أكثر مما يطلبه أجله، وفي ذلك كله توجيه وبيان للمؤمنين، تربية لهم وهم يتحركون في هذه الدنيا، يتلمسون أسباب

(٧١) تفسير القرطبي: (٧/٩). وانظر المجالسة للدينوري (٤/٤٢٥ رقم ١٦١٧).
(٧٢) انظر: تفسير القرطبي (٦٦/١٤).
(٧٣) سورة لقمان: (١٦).

الرزق، بأن يكون اهتمامهم بذلك اهتماماً لا يرقى إلى مستوى اهتمامهم بأمر الحياة الآخرة، أي أنَّ اهتمام المؤمن بأمر الرزق يجب ألا يشغله عن أداء ما فرضه الله عليه، وعن اتباع سبيل من أناب إلى الله تعالى(٧٤).

والرزق في تقدير الله تعالى له - كثرة أوْ قلة - لا يكون بحسب ملكات النَّاس أو علمهم، أو نبلهم أو نسبهم، أوْ ذكائهم أو حنكتهم، أو بحسب جهلهم أو غبائهم، أو حسبهم أو وضاعة أنسابهم، ولكن الرزق هو عطاء الله لخلقه أجمعين، لا فرق بين عالم أو جاهل، أو ذكي أو غبي، أو صغير أو كبير، أو شريف أو حقير، أو معافى أو مريض، بل لا فرق بين كافر أو مسلم، أو طائع أو عاصٍ؛ لأنَّ الله تعالى هو خالق خلقه أجمعين، فهو رازقهم، إذ من لوازم الخلق الرزق، وليس واجباً على الله تعالى أن يرزق خلقه، ولكن رحمته وسعت كل شيء، والرزق من مظاهر رحمته تعالى.

قال وهب: " أوحى الله - تبارك وتعالى - إلى موسى - عليه السلام - إني رزقت الأحمق ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال"(٧٥).

وأشار إلى هذا المعنى عبَّاد التميمي حيث قال:

والغيث يحرمه أناس شغب ... ويبيت يهطل في بلاد جِلِّق
والرزق يخطي باب عاقل قومه ... ويبيت بوَّاباً لباب الأحمق(٧٦)

---

(٧٤) انظر: تفسير القرطبي (٦٦/١٤). وانظر: المجالسة للدينوري (٢٩٢/٤ رقم ١٤٥٠).
(٧٥) أخرجه الدينوري في المجالسة (٤٤٨/٤ رقم ١٦٥٣).
(٧٦) أخرجه الدينوري في المجالسة (١٦٩/٣ رقم ٨٠٧).

## العلاقة بين الخلق والرزق

إنّ العلاقة بين الخلق والرزق قوية، والارتباط بينهما وثيق فلا انفكاك بينهما، فمن قدر على الخلق، فهو قادر على الرزق، ولم ينازع الخلق كلهم في ذلك بل سلموا لله بأنه الخالق، الرازق ، وتسليمهم ذلك جاء بناءً على أنهم غير قادرين على ذلك فهم عاجزون؛ لأنّهم يعلمون أنَّهم لو ادَّعَوا ذلك لكانت حقائق الكون وثوابت الفطرة تكذبهم، إذ لو قال أحد من الخلق: إنّه يقدر على الخَلْق، لقيل له: وأين عناصر الخلق؟ وكيف سيتم تكوينها؟ وما هي القوانين التي سيحفظ بها هذا الخلق؟ وما هي الحياة؟ وكيف تكون؟ وكم مدتها؟ وما هي النهاية لها؟ وكيف تكون؟ وما هو الرزق؟ وكيف يكون؟ وغير ذلك من أسئلة كثيرة لا تنتهي، والتي يقف الخلق أمامها عاجزين عن الإجابة عنها؛ لأنّها ليست في مقدورهم، وبالتالي فإنَّ الخلق، والرزق من صفات الله تعالى وحده، فقد علَّمنا في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه سيدنا محمد e ، قصة الخلق، وبدايته، وعناصر تكوينه، ومراحل تطوره، والقوانين التي تضبطه، وقوانين صيانته وحفظه، ورزقه، وكيفيته، وأنواعه، وحياته، ومراحلها، وقوانينها، ونهايتها، وكيفية ذلك، وحياته الأخرى، وبدايتها، ومراحلها، وسيره فيها، ومستقره، ورزقه فيها، فعلمنا بالدليل واليقين الجازم والتسليم المطلق بأنّه لا خالق إلاّ الله تعالى، ولا رازق إلاَّ هو جل جلاله. قال الله تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible] »(٧٧).

ففي هذا القول الإلهي العظيم، عطف فعل الرزق على فعل الخلق، دليلاً على أنّ الخلق بمجرد أن يبدأ خلقهم، فإنّ رزقهم يبدأ في الوصول إليهم، فالخلق والرزق متلازمان تلازم الملزوم بلازمه، ومرتبطان ارتباط النتائج بمقدماتها، وتدل الآية الكريمة على أن أمر المخلوقين مقدر محسوب معلوم خلقاً، وحياة، ورزقاً، وموتاً، وبعثاً، ولا شك أنّ في الخلق تنوعاً، فلا يوجد شخص هو في خلقه نسخة منقولة من شخص آخر، والخلق فيهم، المعافى والمريض، والطويل والقصير، والمخلوق يتطور خلقه منذ أن يوجد في رحم أمه نطفة، ويمر بمراحل مختلفة من النمو حتى يشيخ ويهرم ثم يموت، والخلق في رزقهم فيهم الموسع عليه، والمضيَّق عليه، وفيهم من هو بين ذلك، ولكل مرحلة من أعمارهم لها ما يخصها من الرزق، وخلق كل واحد منهم على الصورة التي شاء الله تعالى تركيبه فيها، أمر ثابت غير قابل للزيادة، أو النقصان فلا يستطيع أحد من الخلق أن يزيد أو ينقص في خلقه، أو خلق غيره. وهو كذلك لا يستطيع أن يزيد، أو ينقص من رزقه، أو رزق غيره(٧٨).

والمخلوق يخلقه الله تعالى بقدرته في وقت لا يعلمه إلاّ هو، وفي مكان سبق علمه عند الله تعالى، والله هيأ أسباباً لهذا الخلق ومن ذلك الزواج وما ينتج

(٧٧) سورة الروم: (٤٠).

(٧٨) انظر المجالسة للدينوري (٤/٤٢٥ رقم ١٦١٧).

عنه، والأسباب وسيلة لإظهار مقادير الله تعالى؛ لظهور هذا الخلق في الزمان والمكان المعلومين عنده سبحانه وتعالى، والأسباب في أمر الرزق هي كذلك، وكل واحد من الخلق يتوفر له حظه في اكتمال خلقه وفق إرادة الله تعالى القاهرة، ومشيئته النافذة، والأمر كذلك في أمر الرزق، وكل مخلوق يستوفي أجله المقدر له في الحياة قبل الموت، وكذلك هو يستوفي ما قدر له في حياته من رزق قبل موته، ثم يبعث بعد موته بأمر الله تعالى. فانتظمت في هذه الآية الكريمة في سلك واحد حقائق: الخلق، والرزق، والموت، والبعث، وجاء ذكر الرزق متوسطاً، بين الخلق وبين الموت والبعث بناءً على توسطه في الواقع. والآية تبين بوضوح أن من قدر على الخلق، فهو قادر على الرزق، وهو قادر على الموت، وعلى البعث بعد ذلك، وأنّ من آمن بالله تعالى خالقاً فعليه أن يؤمن به رازقاً، وقادراً على الموت، وعلى الحياة بعد ذلك، وأن من شك في قدرة الله تعالى على الرزق فهو شاك في قدرته على الخلق، وعلى الموت، وعلى البعث، فانتظمت في هذه الآية الكريمة عقيدة الخلق، وعقيدة الرزق، وعقيدة الموت، وعقيدة البعث، فلابد من الإيمان بالله تعالى والتسليم المطلق له سبحانه بأنه: الخالق، الرازق، المميت، المحيي للبعث والنشور.

فسبحان من خلق الخلق فأحصاهم عدداً، وقدر أرزاقهم فلم ينسَ أحداً، وهو سبحانه يتوفاهم ويبعثهم، وهو على كل شيءٍ قدير.

وقد وردت آيات أخرى جاء فيها ذكر الخلق مقترناً بالرزق، ومن ذلك قول الله تعالى: 

الآيــــة. وقولــــه ســــبحانه: ¼ ÙYÙÌ©ö@ÝÚØÑÎSõÿÝÝÔÎ » X³ ¤Ķ@W (٧٩)

S¨ÅmèÙg EYÙè@ÝÝ ð Ÿè@S Ẍþ Ş ÝÙèÜÏWŠĶ@ÙÙÙ ö@ Ö ÙÝÝÝÙK³ ¤Ķ@W

ÜéSÑŽõ ÊKÔSÊß @ÜéSé SÙÊÜÙĶ@ßŸÝŞ ÝÙèÙÿè@Û ÝÕEYÙè@ » (٨٠)،

وقولـه جـل جلالـه: ¼ ÌÕÝÍÝÔåÝ Ñ~ÜÍÝ @ŒÙÅŸ ÑèßÈ¢@S †Ŕ@ÜWKÿW

Ù~Ĕ@ ÝÙÝÔÑÎSõÿÝ@ÛÙÙÙĶ@ÙÝÙ ¤Ķ X³ » (٨١). ومــن خــلال هــذه النصــوص

الكريمة يتضح أن قضية الرزق قد بينها القرآن الكريم بياناً شافياً تناول فيه توضيح جميع ما يتصل به توضيحاً شاملاً، فهي بذلك قضية واضحة في حس المؤمنين، لا لبس ولا غبش فيها، وضوحَ ضوءِ الشمس في رابعة نهار صيفي. فالله تعالى جلت عظمته هو الذي يملك السمع والأبصار، وهو الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهو الذي بيده وحده تدبير أمر الكون كله، فلا ندّ، ولا ضدّ، ولا شريك، ولا ظهير له في ذلك وهو سبحانه الذي يملك رزق خلقه، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخير الرازقين.

فقضية الرزق دقيقة وخطيرة تأخذ مكانها في عقيدة المؤمن بجانب عقيدة الخلق وعقيدة البعث، وغيرها من العقائد الإسلامية التي تشكل البناء العقدي لشخصية المؤمن، ككل متماسك تشابكت وتماسكت لَبِنَاته يشد بعضها بعضاً.

---

(٧٩) سورة النمل: (٦٤).

(٨٠) سورة يونس: (٣١).

(٨١) سورة فاطر: (٣).

## الرزق والأسباب

شاء الله تعالى أن يجعل رزقه لخلقه مرتبطاً بالأسباب التي يسرها لهم في الحياة، وكثَّرها، ونوَّعها رحمةً بهم وتيسيراً عليهم، فهم مرتبطون بها ارتباطاً وثيقاً. وتلك هي حركتهم وسعيهم نحو تحصيل أرزاقهم المقدرة، ولا يمنع ذلك أن يوجد منهم من تُلغى في حقه كلٌّ أو بعضُ الأسباب تقديراً من الله تعالى خالق هذه الأسباب، ويظل ذلك في نطاق الخصوصية، أما القاعدة العامة فهي ارتباط الخلق بهذه الأسباب. وقد سجل التاريخ شيئاً من تلك المواقف التي ألغيت فيها كل أو بعض تلك الأسباب، ذكر ابن كثير، والقرطبي في تفسيريهما: " عن سفيان قال: قرأ واصل الأحدب ¾WÁ@ö©ÙÚ÷Ý¦ŠRÑÿ « [٨٢] الآية، فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ فدخل خربة، فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً، فإذا هو بدَوْخَلَة [٨٣] رطب، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه، فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الله بالموت بينهما " [٨٤]. وذكر القرطبي في تفسيره: "وقال يزيد بن مرثد إن رجلاً جاع بمكان ليس فيه شيء، فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به، فشبع، ورَوِيَ عن غير طعام ولا شراب" [٨٥]. فالله

---

(٨٢) سورة الذاريات: (٢٢).

(٨٣) الدَّوْخَلَة : زنبيل ( أي قفة ) من خوص يُجعل فيه التمر، (ج) دواخل . المعجم الوسيط(٢٧٥/١).

(٨٤) انظر تفسير ابن كثير: (٢٣٥/٤)، وتفسير القرطبي: (٤١/١٧).

(٨٥) تفسير القرطبي: (٤٢/١٧).

تعالى قادر على أن يعطل كل أو بعض الأسباب لبعض خلقه، ويرزقهم من غيرها، فهو سبحانه الذي خلق هذه الأسباب وهو جلَّ جلاله قادر على تعطيلها كلها أو بعضها في حق من شاء له حكمةً وتقديراً منه سبحانه وتعالى. وهذا أبو الأنبياء إبراهيم — عليه السلام — قد رزقه الله تعالى غلاماً حليماً عليماً، وهو في عمر يربو على مائة سنة، وزوجته بلغت تسعين سنة وهي عقيم لا تلد، ومع ذلك فقد رزقا هذا الغلام تقديراً من الله تعالى وحكمة، قال تعالى: ¼ÝWÛÎKÊV ÝE

@ÙKWÝZÌ ISŠÅ Á VßQéVWÛVW ÑÞ×ÊàVßWaVÞV ÛVÞÕÈËVé SdéVÙ Ý~Ø (٢٩) VÜÞRÅ ÙÞÕÞ× Ý

VÛ×ÚÎÞ ÐÕÂKIS ÕÛÅÛ×ÛVÊ ~Ý×ÞÄÞ~õ (٣٠) » [٨٦] فسبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير.

والدرس المستفاد من ذلك والذي يعيه المؤمنون: أن قدرة الله هي الغالبة، وأنه سبحانه: ¼ÛÞVßKÛÎVÛVÞVß ÛÎWÛ£ÕÈ ÜVßÛÎ ÙÕ ÙÞW ISÙ ÈÝVÛVÂÑÖÈ » [٨٧]، وأن الأسباب مخلوقة له تعالى، فهي ليست مطلقة، بل هي محكومة ومسيرة بقدرته وإرادته سبحانه وتعالى، على أنه لا ينبغي للمؤمن التوقف كثيراً عند تلك الحالات أو المواقف يمني النفس بمثلها بل عليه أن يتحرك وينطلق ساعياً في سبيل البحث عن رزقه آخذاً بالأسباب، غير متكل عليها، أو مفرط فيها متوكلاً على الله تعالى.

لقد ظن بعض المسلمين - في أوقات مختلفة، ونتيجة عوامل كثيرة - أن

---

(٨٦) سورة الذاريات: (٢٩ - ٣٠).

(٨٧) سورة يس: (٨٢).

تلك الحالات والمواقف قاعدةٌ - وهي استثناء - ، فأصبحوا يُمنُّون النفسَ بمثلها، فسلكوا طريق التواكل، والتكاسل، وهجروا الأسباب، ولَبِسُوا الخِرَقَ، وانقطعوا عن حركة الحياة، وعن المساهمة في إثرائها والإبداع فيها مع إخوانهم المسلمين، ففاتهم وفات المسلمين بسبب فهمهم هذا خير كثير.

إن الصورة التي تمثل القدوة الصالحة التي ينبغي على المؤمن الاقتداء بها في هذا الأمر، هي ما كان عليه صفوة الخلق سيدنا رسول الله e ، وصحابته الكرام - رضي الله عنهم - من بعده، ومن سار على دربهم، فقد تركوا لنا صورة مثلى وجميلة لحركة المؤمن في الحياة، يتمثل فيها الرشد والتوازن والنفع، فقد كانوا فرسان نهارهم، رهبان ليلهم آخذين بالأسباب، متوكلين على الله تعالى، وكانوا - رضي الله عنهم - يدركون أن الإسلام بقدر ما هو مسئولية فردية خاصة، فهو في ذات الوقت مسئولية جماعية فلم يشغلهم أمر إصلاح نفوسهم عن الاهتمام بغيرهم من إخوانهم المسلمين، فنفعوا أنفسهم، كما نفعوا غيرهم، فكانت حياتهم - رضي الله عنهم - خيراً على الإسلام والمسلمين بل وعلى البشرية جمعاء. وقد أثنى الله تعالى في كتابه العزيز على المؤمنين الذين جمعوا بين الدين والدنيا، فهم بالليل رهبان يرتدون ثياب الذل والتضرع والمناجاة لله سبحانه وتعالى، مُطَّرِحِين بين يديه في بكاء وخشوع ساجدين لجلاله وعظمته، صاغرين لكبريائه، وجبروته، طامعين في عفوه ورحمته، لا يعرف الليلُ لهم لغةً إلاَّ قراءة القرآن في قنوتهم الطويل لربهم العظيم، ولا يسمعُ لهم الليلُ في ركوعهم وسجودهم صوتاً، إلاَّ البكاء الطويل إذا قاموا لربهم قانتين كأنهم أعمدة ثابتة لا تتحرك، وإذا سجدوا كأنهم جسم ألقي

على الأرض لا يرى له أدنى حركة. وهم فرسان بالنهار يُشيعون في الحياة الخير والإيمان، صدورهم منشرحة، وقلوبهم مطمئنة، ووجوههم مستنيرة وضيئة، خطواتهم مباركة موفقة، يتلمسون أسباب رزقهم في جد وعزة، ويحسنون أداءهم في تطوير تلك الأسباب، وتنميتها واستثمارها بصورة تدل على فهم، وتوازن، فكان لهم من خلال ذلك أموال[٨٨] أحسنوا الأداء فيها، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، فأصبحت هذه الأموال مستوجباً فيها حق الله المفروض، بالزكاة، وحقه المندوب بالصدقة.

إن هؤلاء المؤمنين لم يكتفوا بانتصارهم على أنفسهم في ميدان العبادة القلبية لله تعالى. وإسلام القلب له، وتعلقه به سبحانه وتعالى، وإنما انتصروا في ميدان البذل والعطاء لإخوانهم المسلمين، فجمع الله تعالى لهم الكرامة والكرم في ميدانيهما بالقلب واليد، فهم كرماء القلب واليد.

قال الله تعالى: ØSŠèŠŠ ÞÊÎ×ÈVŠ @ÛY{ S ÛXXÝÝYYÛR@ û éŠÝèŠÜ@ÛÙKÝ

ÝYYÛR@ (٢) ÜéŠŠR{ ÉWÝÝ ÄÔWÞ ÕÆÉV ÞHÛYXØŠ ŽVÝVIŠŠÝ ØÄ~ÕÆVÞÊ ÝŠ ÛXÛV

ØŠÛVÙÕŠÛÜéŠÝèŠÜ@ØŠ Ð ÑÑÌR (٣) ÜéŠÝÞŠØŠÞÛÝVÝÙÕÛÝÝŠ Ö@ÜéŠ~ÝŠ

---

(٨٨) وفي الحث على التجارة للخلال (٤٧ رقم ٤٤): "عن إبراهيم أنه قال: كان يقال: التاجر خير من الجالس".

وفيه (٣٨ رقم ٢٤): "قال أبويوسف بن أسباط لشعيب بن حرب: أشعرت أن طلب الحلال فريضة؟ قال: نعم".

[illegible] (٤) »[٨٩]. إن هـذه الآيـات الكريمـة تبـين صـفات المـؤمنين الجميلـة والـتي منهـا صـفاء قلـوبهم وخلوصـها مـن الـدنيا، وإخلاصها لخالقها وتعلقها به سبحانه وتعالى، فلم تدخل الدنيا قلوبهم، بل هي عامرة ومستضيئة بنور حب الله تعالى، فهي تَوْجَلُ وتَضْطَرب بمجرد سماعها ذِكْرَه تعـالى، وتـزداد إيمانـاً حـين تسـمع آياتـه تتلـى، فهـم في أعلـى درجـة مـن التربيـة لأنفسهم، فهم مع الله تعالى بقلوبهم، ومع الخلق بأبدانهم. وأموالهم مع كثرتها فهي لم تتجاوز أيديهم، فمحبة الله تعالى في قلوبهم، والمال - وإن كثر - في أيديهم، وهذا التوازن الرائع في شخصية هؤلاء المؤمنين لم يكن وليد صدفة مثلاً أو أنه ظهر فجأة، ولكنه ثمرة مشوار طويل راضَ فيه المؤمنون أنفسَهم بمجاهدتها، والسير بها في طريق العبودية لله تعالى. وهؤلاء المؤمنون لم يولدوا في الشارع، ولم يتربوا في فراغ، ولكنهم ولدوا في بيوت مؤمنة وتربوا في أجواء الإيمان والفضيلة والصحبة الطيبة، كما تربوا على مناهج فاعلة مفيدة تلقوها على أيدي علماء مهرة في التربية والتوجيه والإصلاح.

إن الناس يعجبون بصفات المؤمنين، ولكنهم لا يكلفون أنفسهم مهمة البحث عن كيفية نشأة هؤلاء المؤمنين، والبيئة التي ولدوا فيها، ولذلك فإن من الأهمية بمكان الحديث عن صفات المؤمنين، وبيان هذه الصفات، وإشاعتها بين الناس حتى يحصل الاهتمام بحياتهم، والاقتداء بهم، فيحصل بذلك خير كثير يعود

(٨٩) سورة الأنفال: (٢ - ٣ - ٤).

على الأمة في حاضرها ومستقبلها بنفع عميم، والقرآن الكريم قد أفاض في بيان صفات المؤمنين والحديث عنها، وذلك أمر له دلالاته وأبعاده القريبة والبعيدة التي تعكس هدف القرآن الكريم من وراء ذلك البيان المستفيض، ومن الآيات التي تحدثت عن صفات المؤمنين، هذه الآيات من سورة الأنفال والتي لازال الحديث حولها؛ فهذه الآيات تبين أن المؤمنين شامة جميلة في وجه الحياة، فبهم تحلو الحياة، ويكون لها طعم، فهم العاملون الباذلون المتقون لربهم الصالحون لدينهم ودنياهم، سبيلهم الحركة والسعي وتلمس الأسباب، وبذل الجهد المستطاع توكلاً على الله تعالى وثقة به سبحانه واعتماداً عليه جلَّ جلاله، وهم يدركون جيداً أنه ليس بالضرورة أن تكون النتائج دائماً في مستوى الجهد المبذول، بل ربما جاءت النتائج في مستوى الجهد المبذول، أو أكثر منه، أو أقل منه، ولكنهم يكفيهم أنهم لم يفرطوا في سبب، ولم يتركوا جهداً مستطاعاً، وهم يتعبدون الله بذلك، والله تعالى هو الذي يُقَدِّر النتائج، ومع ذلك فهم يراجعون مواقفهم، ويُقوِّمون حركتهم، ونتائج أعمالهم، فإذا كانت هذه النتائج أقل مما كان متوقعاً، وكان ذلك راجعاً إلى وجود خلل، أو ضعف في مستوى الجهد والأداء، فإنهم لا يقفون عاجزين أمام ذلك، وإنما يأخذون أنفسهم بمراجعة مقدمات تلك النتائج، ومعرفة أسباب وأماكن الخلل والضعف، وعلاج ذلك كله حتى لا يتكرر مستقبلاً.

أمَّا التواكل، والتكاسل، والحياة عبئاً على الآخرين، فليس ذلك سبيل المؤمنين بحال، ولعل في موقف عبد الرحمن بن عوف حين عرض عليه أخوه

الأنصاري، أن يتنازل له عن نصف ماله، وإحدى زوجتيه، فأبى عبد الرحمن بن عوف، وقال لأخيه: "بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم" [٩٠]؛ لعل في هذا الموقف ما يكشف بكل جلاء ووضوح سبيل المؤمنين في السعي وتلمس الأسباب، ورفض أن يكونوا عالة على غيرهم، ولو كان ذلك متيسراً.

إن من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل حركتهم وسعيهم في تلمس أسباب رزقهم عبادة له تعالى يأجرهم عليها ثواباً منه وفضلاً، والله تعالى عنده حسن الثواب، وهو ذو الفضل العظيم.

إن سائر المعاني الجميلة في الحياة، والتي تعطي هذه الحياة مذاقاً جميلاً، وتعكس ذلك حركة جميلة في هذه الحياة، يتوقف وجودها على وجود الأسباب، إذ لو انتفت الأسباب في طلب الرزق لعم الحياةَ الكسلُ والبوارُ، ولَمَا أصبح لها معناها الجميل.

إن الحركة والتنقل، والسفر، والمغامرة، وركوب البحر والجوِّ، ومواجهة المفاجآت، والانتظار، والفرح والحزن، والإقبال والإدبار، والعزم، والاغتمام والاهتمام، والرضا والسخط، والربح والخسارة، وغير ذلك من المعاني التي تزخر بها الحياة هي التي تجعل الحياة ذات مذاق جميل، والتي يشعر المرء من خلالها بالراحة والسعادة فيما يحققه ويصل إليه من طموحات؛ والمؤمنون في وسط زخم الحياة يعيشون لهدف نبيل كريم هو عبادة الله تعالى، وهذا الهدف يملأ جوانحهم ويضيء نفوسهم،

---

(٩٠) انظر نص القصة في صحيح البخاري ( ١٣٧٨/٣ رقم ٣٥٦٩ ) .

وفي الحث على التجارة للخلال (٢٢ رقم ١): "قال رجل للإمام أحمد: إني في كفاية، فقال له الإمام أحمد: "الزم السوق تصل به الرحم وتعود به".

وينير طريقهم متوكلين غير متواكلين، آخذين بالأسباب غير مفرطين فيها أو معتمدين عليها.

## المؤمنون والأسباب

إن المؤمن وهو يسعى لتحصيل رزقه متوكلاً على الله تعالى - خالقه ورازقه- يتعامل مع الأسباب التي أمر الله تعالى بالأخذ بها، وهو موقن أن الاعتماد كله - في تحقيق المرغوب - على الله سبحانه خالق هذه الأسباب، وأن الأخذ بها من الشرع، " فليس إسقاط الأسباب من التوحيد، بل القيام بها واعتبارها، وإنزالها في منازلها التي أنزلها الله فيها هو محض التوحيد والعبودية، والقول بإسقاط الأسباب هو توحيد القدرية الجبرية أتباع جهم بن صفوان في الجبر، فإنه كان غالياً [٩١] فيه، وعندهم أن الله لم يخلق شيئاً بسبب، ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر، فليس في النار قوة الإحراق، ولا في السم قوة الإهلاك، ولا في الماء والخبز قوة الري والتغذي به، ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن والأنف قوة السمع والشم"[٩٢]؛ ولا شك أن هذا مذهب فاسد في فهم دور الأسباب، ولذلك فإن "طرد هذا المذهب مفسد للدنيا والدين، بل ولسائر أديان الرسل"[٩٣]، وهو مذهب باطل يكابِرُ أصحابُه مكابرة لا تلبث أن تنهزم وتسقط أمام وقائع الحياة " فإنهم لابد أن يأكلوا ويشربوا، ويباشروا من الأسباب ما يدفع

---

(٩١) من الغُلُوّ، وليس الغَلاء .

(٩٢) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية : (٣/٤٩٥ - ٤٩٦).

(٩٣) نفس المصدر: (٣/٤٩٦).

عنهم الحر والبرد والألم " [٩٤]، ويشبه هؤلاء في فساد المذهب قوم عطلوا الأسباب في العمل للآخرة، وقالوا: (سَبْقُ العلم والحكم بالسعادة والشقاوة لا يتغير البتة، فسواءٌ علينا الفعل والترك، فإن سَبَق العلم والحكم بالشقاوة فنحن أشقياء عَمِلْنا أولم نعمل، وإن سبَق بالسعادة فنحن سعداء عملنا أولم نعمل" [٩٥] ، ولا شك في فساد وبطلان هذا المذهب وسواه في تعطيل الأسباب؛ لأن ذلك مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين، ومخالف لصريح العقل والحِس والواقع المشاهد، " وقد سئل النبي e عن إسقاط الأسباب نظراً إلى القدر فرد ذلك، وألزم القيام بالأسباب، كما في الصحيح عنه e أنه قال:« ما منكم من أَحَدٍ إلاَّ وقد كُتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار،فقالوا:يا رسول الله،أفلا نتكل؟ فقال:اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ »[٩٦]. والمؤمن يفعل " ما أمره الله به من الأمر، ويتوكل على الله توكل من يعتقد أن الأمر كله بمشيئة الله، سبق به علمه وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم، فيأتي بالأسباب إتيان من لا يرى النجاة والفلاح والوصول إلاَّ بها، ويتوكل على الله توكل من يرى أنها لا تنجيه، ولا تحصل له فلاحاً ولا توصله إلى المقصود،

---

(٩٤) نفس المصدر : (٣/٤٩٦).

(٩٥) مدارج السالكين : (٣/٤٩٧).

(٩٦) أخرجه البخاري في الصحيح ( ٤/١٨٩٠ رقم ٤٦٦١ ) واللفظ له ، ومسلم في الصحيح (٤/٢٠٤٠ رقم ٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب. وانظر: مدارج السالكين (٣/٤٩٧).

فيجرد عزمه للقيام بها حرصاً واجتهاداً، ويفرغ قلبه من الاعتماد عليها، والركون إليها تجريداً للتوكل، واعتماداً على الله وحده، وقد جمع النبي e بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح حيث يقول:« احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز »[٩٧]، فأمره بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن العجز" [٩٨]. فالمؤمن يأخذ بالأسباب أخذ امتثال، وقيام بها، وأداءً لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها، فلا يشغله الأخذ بها، ولو لحظة عن موجدها وخالقها، وهو الله تعالى جلَّت قدرته[٩٩].

إن كثيراً من الناس يخطئون خطأ فادحاً في حق أنفسهم، ويسيئون إليها إساءة بالغة حين يركنون إلى الأسباب ركوناً يحجب عنهم نور الإيمان بالله تعالى، فتراهم يتخبطون في متاهات، ودهاليز هذا الركون المظلمة، وما أكثرها، وأشد ظلمتها، فترى لذلك حالهم ومقالهم وكأنهم يعتقدون أن أرزاقهم في هذه الأسباب، فمنهم من يرى رزقه في مُرَتَّبِه، فهو حين يتوقف هذا المرتب لسبب ما يصيح بأعلى صوته: لقد قُطِع رزقي، لقد قَطَعوا رزق العيال، وهو يعكس بقوله

---

(٩٧) أخرجه مسلم في الصحيح: ( ٢٠٥٢/٤ رقم ٢٦٦٤ ) من حديث أبي هريرة.

(٩٨) انظر فيما سبق: مدارج السالكين (٥٠١/٣).

(٩٩) وفي الحث على التجارة للخلال ( ٩٧ رقم ١٢٠): "قيل للإمام أحمد: أي شيء صدق التوكل على الله عز وجل؟ فقال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحدٌ من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، وإذا كان كذلك كان الله يرزقه، وكان متوكلاً". وفيه (١٠٠ رقم ١٢٥) قال الحسن: "إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته".

هذا ما استقر في نفسه من عزيمة خائرة وإرادة هابطة، وإحساس مهزوم، لأنه ركن إلى الأسباب وغفل عن خالق هذه الأسباب، ومنهم من يرى أن رزقه في متجره، ومنهم من يراه في مصنعه، أو في مزرعته، ومنهم من يراه في ذكائه وشطارته، ومنهم من يراه في شهادة عليا أو دونها، ومنهم من يراه في مؤجَّراته، ومنهم من يراه في ولد، أو زوجة، أو مكانة أو غير ذلك من الأسباب التي يفوق ذكرها الحَصْرَ لكثرتها وتنوعها، بكثرة وتنوع الخلق.

وإلى هؤلاء وغيرهم ممن ركن إلى الأسباب نقول: إن الرزق أولاً وآخراً بيد الله تعالى، وليس في شيء من هذه الأسباب وسواها، بدليل أن بعض هذه الأسباب أو كلها قد يزول ويختفي، ويبقى الرزق يلازم صاحبه، ويأتيه الله بسبب آخر جديد، فنجد مثلاً إنساناً كان سبب رزقه: الوظيفةُ، أو التجارةُ مدةً طويلةً، ولكن هذا السبب في لحظة ما يتوقف وينتهي لأمر ما يريده الله تعالى، ولا ينتهي رزق الإنسان، فالله تعالى يُهَيِّءُ سبباً آخر، فهو الحي الرزاق ذو القوة المتين.

## الرزق ليس على قدر الأسباب دائماً

ومما ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أن الرزق قد يأتي على غير مستوى الأسباب، ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيماً عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم، فقال الحكيم: أراد الصانع أن يدل على نفسه، إذ لو رُزِق كلُّ عاقل، وحُرِم كلُّ أحمق، لظُنَّ أن العقل رَزَق صاحبه، فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق غيرهم، ولا ثقة لهم بالأسباب الظاهرة، وقال الشاعر:

يَعِيشُ الفَتَى في دَهْرِهِ وهُو جَاهِلُ
ويُكْدِي الفَتَى في دَهْرِهِ وهُو عَالِمُ
فلوْ كَانَتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلى الْحِجَا
هَلَكْنَ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ (١٠٠)

ومما ينسب إلى أبي الأسود الدُّؤَلي قوله:

وَعَجِبْتُ للدُّنْيَا وَحِرْفَةِ أَهْلِهَا ... والرِّزْقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَقْسُومُ
وَالأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى ... مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْرُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِي أَنَّهُ ... رِزْقٌ مُوافٍ وَقْتُهُ مَعْلُومُ(١٠١)

---

(١٠٠) إحياء علوم الدين للغزالي: (٤/٢٧٥).

(١٠١) بَهجَةُ الْمَجَالِس وَأُنْسُ الْمُجَالِس: (١/١٤٦ - ١٤٧).

ومجيء الرزق على غير مستوى الأسباب أحياناً أمر مشاهد محسوس لا ينكره عاقل، فكم من أناس تراهم، أرزاقهم قليلة مع أنهم باذلون للأسباب، وبالمقابل فإن أناساً آخرين ليسوا في مستوى أولئك من حيث العلم، والفهم والذكاء، والحركة، ومع ذلك ترى أرزاقهم كثيرة، وهذا أمر يشاهد في حياة الأفراد أيضاً، وذلك دليل واضح، وبرهان ساطع على أن الأمر في الأسباب أنها لا تحكم ولا تقدِّر، وإلاَّ لكان الرزق دائماً في مستوى الأسباب، ولكن لما كان الأمر في غالبه خلاف ذلك علمنا أن الذي يَحْكم ويقدِّر ويتصرف في هذا الأمر هو الله جلَّ جلاله، الذي قدَّر أرزاق خلقه جميعاً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال صلى الله عليه وسلم: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » [١٠٢].

وقد تناول هذه القضية في القديم والحديث الحكماء والشعراء، فمنهم من سلَّم لأمر الله تعالى ومنهم من ألحد فيها، والله غني عن العالمين وهو العليم بما يقولون ويفعلون.

---

(١٠٢) سبق تخريجه في (١١).

## التعلق بالأسباب

الإنسان خلقه الله تعالى مفطوراً على العواطف والمشاعر والانفعالات، فهو مادة وروح، يتأثر بظواهر الحياة من حوله، وخاصة تلك الظواهر التي لها اتصال وتأثير في مجرى حياته، فهو ليس شيئاً خشبياً جامداً لا حس فيه ولا عواطف ولا مشاعر، ومن بين هذه الظواهر- التي يتأثر بها الإنسان وينفعل بها- ظاهرة الرزق في حياته، ولما كان الرزق مرتبطاً بأسبابه، كان تعلق الإنسان بهذه الأسباب أمراً ذاتياً في الإنسان غير منفصل عنه، ولا يمكن أن يقال للإنسان: لا تتعلق بالأسباب، فذلك أمر مجافٍ لفطرة الإنسان؛ والدين الإسلامي العظيم – وهو دين الفطرة التي فطر الناس عليها – راعى هذه القضية في الإنسان ووقف منها موقفاً وسطاً، فلم يحارب في الإنسان تعلقه بالأسباب، إذا كان ذلك التعلق في دائرة المباح المشروع، بحيث يكون هذا التعلق تعبيراً عن الفطرة الإنسانية لا يتجاوزها إلى التعلق المحرم، وهو الذي ينسى فيه الإنسان خالق الأسباب و مقدرها؛ فالله تعالى قد أعطى خلقه الحرية في التفكير والعمل لتطوير أسباب رزقهم وتحسينها، وأباح لهم الاهتمام بها والحرص عليها، ونهاهم عن التفريط بها، وحثهم على مواصلة التفكير في أسلوب تطويرها، وحسن استثمارها، وتوجيهها الوجهة السليمة الصحيحة، وترصد الأزمنة والأمكنة المناسبة لها، وفي سبيل ذلك فلم ينههم عن الاغتمام والحزن والاهتمام عند توقفها، أو ذهابها كلها أو بعضها

خوف العَيْلة [١٠٣] بسبب ذلك مما يدخل في دائرة العواطف الإنسانية تجاه هذه الأسباب عند توقفها كلها أو بعضها، ومما يستدل على ما تقدم بيانه موقفُ بعض الصحابة الذين كانت لهم تجارة مع الكفار، فقد مُنِع هؤلاء الكفار من دخول الحرم المكي حين نزل قول الله تعالى: ¼ ÙWKÏéSVø fÛ ÏÿYËÙ@ÙøSKHYV

» ÏÎVÏHÏåØäÝ†XWÏÄÅVÏXÙ™Ë@ÖY•©ÙÙ@ÐÏŠÝøíYVÕ‚ÏÊVc¨ VVÙfû éÈÐÞp-ÙËÐ@

[١٠٤] الآية، فتوقفت بناء على ذلك تلك التجارة والتي كانت بالنسبة لهؤلاء الصحابة – رضي الله عنهم – سبباً من أسباب الرزق، فخشوا العيلة والفقر، وتعلقت نفوسهم بهذا السبب الذي توقف، غير ناسين أن رزقهم بيد الله تعالى خالقهم ومقدر أرزاقهم، فلم يعنفهم الله تعالى على ذلك، بل وعدهم خيراً فقال تعالى: ¼ ÜÙXV ÝŠY•ÝV ÂÙWÙÙ ÃÇéÊåÞ~pÑÖ@ÞÏ ÝÝÉÊ µÏÙÕäÜ ®†fÏXK ÙÛ@ÕV

ÐÙÙ~ÝÝ }ÏÙ|Ý~Ùç » [١٠٥] الآية، وهو دليل واضح وبرهان ساطع على أن دين الإسلام العظيم لا يصادر عواطف الناس، أو يحجر عليها، وهي تتعلق بأسباب الرزق عند توقفها كلها أو بعضها مادام ذلك في دائرة التعلق المباح.

إن اغتمام الإنسان واهتمامه عند توقف سبب من أسباب رزقه أمر فطري، مادام الإنسان لا يغفل عن الحقيقة الباقية الخالدة بأن الرزق بيد الله

---

(١٠٣) العيلة: الفقر. المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٠).

(١٠٤) سورة التوبة: ٢٨.

(١٠٥) سورة التوبة: ٢٨.

تعالى، وهو جل وعز الرزاق ذو القوة المتين، ويعلم في ذات الوقت أن الخلق لا يرزقون أنفسهم ولا يملكون رزق غيرهم، وهم لم يكفلوا بشيء من ذلك، فالله تعالى وحده هو الذي يرزقهم جميعاً، ولكنه سبحانه جعل طريقهم إلى أرزاقهم المقدَّرة أسباباً يسَّرها وكثَّرها وبثَّها في كونه الواسع، وهداهم إلى الأخذ بها، كل بحسب ما يَسَّر له وأراد.

فهذه المعاني وسواها لم تكن خافية على الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - حين توقف دخول المشركين إلى مكة، ومن ثم توقفت التجارة بينهم وبين المسلمين، فالصحابة الذين كانت لهم هذه التجارة قد وعدهم الله بالغِنى من فضله إن شاء، وهو درس واسع الأبعاد والأهداف في تربية الأمة الإسلامية على طريق التوكل على الله تعالى، وتعلق القلوب به في كل الأحوال. قال ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ¼ ÚÀ ŸÉ ¢Ê ÉÏ ÈÃ ŸÊ Õ ÇŞ ~Ñ ß@ Š ŸÏÝ ÊŸ µ ãŸÀ ÚÀ ®ŤŢ ÜÀ ÚÛ@ÖÏŸ ÑÊÏ ~Ÿ ÌÉŸ ~Y ¢ « [١٠٦]: (المعنى: إن خفتم الفقر بانقطاع مادة المشركين عنكم بالتجارة التي كانوا يجلبونها، فإن الله يعوض عنها، فدل على أنَّ تعلق القلب بالأسباب في الرزق جائز، وإن كان الرزق مقدوراً، وأمْرُ الله، وقَسْمه له مفعولاً، ولكنَّه علَّقه بالأسباب حكمةً، لتُعلم القلوب التي تتعلق بالأسباب من القلوب التي تتوكل على ربّ الأرباب، وليس ينافي النظرُ إلى السبب التوكلَ من حيث إنه مسخَّر مقدور، وإنما يضاد التوكلَ النظرُ إليه بذاته، والغفلة عن الذي سخره في أرضه وسماواته)[١٠٧].

---

(١٠٦) سورة التوبة: (٢٨).

(١٠٧) أحكام القرآن، لابن العربي: (٢/٩١٥).

## أهمية الأخذ بالأسباب

إن الصورة المثلى التي ينبغي على المسلم تمثلها والاقتداء بها والاهتداء بهديها هي ما كان عليه رسول الله **e** ، وصحابته الكرام - رضي الله عنهم - الذين تربوا على يديه **e** في مدرسة النبوة الطيبة الطاهرة، فقد توكلوا على الله تعالى وأخذوا بالأسباب من حرث وزراعة، وتجارة وصناعة وسوى ذلك من الأسباب، والنبي **e** بين أظهرهم يراهم في أخذهم بالأسباب وهو راضٍ عنهم في ذلك كله، ، ويسلكون هذا السبيل في الاكتساب والتعلق بالأسباب(١٠٨).

إن في الأخذ بالأسباب إدراكاً للمسئولية التي أناطها الإسلام بالمسلم في حياته كقوة فاعلة، وذات وجود مؤثر في الحياة، وذلك أن المسلم لا يعيش لنفسه فقط، بل يعيش لها ولأمته من أجل مرضاة ربه، وعزة دينه؛ لأنه — ومن خلال شعوره بمسئوليته الخاصة — يستشعر مسئوليته العامة تجاه غيره من أبناء أمته الإسلامية، فالأخذ بالأسباب في طلب الرزق أمر له دلالته العقدية، والنفسية والاجتماعية، والتربوية، وهو يعكس قيمة المسلم وأهميته في الحياة وفائدته، وأثره الذي يتجاوز حدود خصوصيته ليشمل إخوانه من المسلمين ويتعدى إلى بني الإنسان، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد هذه المعاني وتدل عليها، ومن ذلك قول الله تعالى: [illegible]

(١٠٨) أحكام القرآن لابن العربي (٩١٦/٢).

ÝýÿÿR@(2) ÜéŠR{ éWWý ãÖWø ÖEÜ†_ÈÚýKØšŽVWýISSHý Øã~ÖEÿpEWŠ

ØšP†ÖŠVÜéSÝéÙ@ØŠ Ð ÑÑËR (3) ÜéŠÝýSØšHÛýÿ†ÙÝéWÑÖ± Ö@ÜéÙ~ÝŞ

ÝWHE{ÿÖWYöäŠWÝÿåÖÝEáxÖ¦Ë ÑÆXýÿç (4) » [١٠٩] فهـذا الـنص الكـريم يبـين أن المـؤمنين ذووا مسـئولية عامـة تتجـاوز نطـاق المسـئولية الخاصـة، ولـو أن الـنص الكريم وقف عند ذكر الصفات الأولى لهؤلاء المؤمنين لأمكن القول: إن مسئولية المؤمنين مسئولية خاصة، فوَجَلُ القلوب، والانفعالُ بآيات الله تعالى عند سماعها مما يترتب عليه زيادة الإيمان، والتوكلُ على الله تعالى، وإقامُ الصلاة كلها صفاتٌ وأعمـالٌ يأخـذ فيهـا جانـبُ أعمـال القلـوب حيـزاً كبـيراً، أي أنهـا تقـع في نطـاق المسئولية الخاصة، فمنافعها وآثارها تعود على فاعلها فحسب، لكن النص الكريم جـاءت فيـه بعـد ذلـك صـفة الإنفـاق، وهـي متعديـة النفـع والأثـر إلى الآخـرين، فـالمؤمنون ينفقـون مما أعطاهم الله تعالى ورزقهـم مـن مـال وغيره، ومع أن الإنفـاق يمكن أن يكون في المحسوسات والمعقولات، وهو الإطلاق الذي يناسب الشمولية لمسئولية المـؤمنين، إلاَّ أن الإنفـاق مـن المـال هـو الغالـب، والمؤمنـون ينفقـون علـى إخوانهم المسلمين من أرحام وقرابات، وصداقات وغيرهـم على مستوى بلدانهم، كما يتجاوز إنفاقهم المستوى المحلي والإقليمي ليصل إلى المسلمين في كل مكان، وإذا كان المؤمنون مطالبين بالإنفاق من مالهم على سبيل الصدقة، أو على سبيل الزكاة المفروضة حسب حالهم في ذلك، فإن لسائلٍ أن يسأل: كيف جاءهم هذا

(١٠٩) سورة الأنفال: (٢ - ٣ - ٤).

المال؟ هل نزل عليهم دفعة واحدة؟ أم أنه بدأ معهم في صورة أشياء قليلة وصغيرة وأصبح مع مرور الليالي والأيام شيئاً كثيراً، ثم أصبح فيه حقٌّ للسائل والمحروم وغيرهما؟ والجواب على ذلك: أن هذا المال وإن بدا معهم قليلاً في صورته الأولى بتيسير أسبابه من الله جل وعلا، إلاَّ أنهم تعاملوا مع تلك الأسباب تعاملاً فيه دين وعقل وفهم لمجريات الحياة وأحداثها وتطورها، فلم يفرطوا في تعاملهم معها، والأخذ بسنة التطور والاهتمام بالجديد في مجال الاقتصاد، فطوروا الأسباب بتحسينها وبالبحث لها عن ميدان أَمْثَلَ، تنميةً واستثماراً، وهم في ذلك كله متوكلون على الله خالقهم ورازقهم، معتمدون على فضله وإحسانه، ولم ينزل عليهم المال دفعة واحدة، بل نمت بفضل الله تعالى وزادت أسباب الرزق عندهم؛ لأنهم لم يناموا عنها ولم يركنوا إلى الكسل والخمول، وكانوا فرسان نهارهم ورهبان ليلهم، فنمت بذلك أموالهم التي كانت قليلة في بدايتها، فأصبحت أموالاً كثيرة توجَّبَ فيها الحق لمحاويج المسلمين تطوعاً، وفرضاً.

إن قول الله تعالى [illegible] «[110] يدل على أن المؤمن لا يعيش منعزلاً لنفسه ومصالحه، بل إنه يأخذ مكانه في الحياة بكل قوة وجدارة، يتحرك فيها حركة من يستفيد من الفرص المشروعة المتاحة، لتأكيد الصورة الهادفة الفاعلة الفاضلة، لحركة المؤمن في الحياة علماً، وعملاً، وتعليماً، وتجارة، وصناعة، وزراعة، وتنمية، واستفادة، ولا يشغله شيء من

(١١٠) سورة الأنفال: (٣).

ذلك وسواه عن عبادة الله تعالى وطاعته، فقلبه متعلق بربه وخالقه سبحانه. وهذا هو المعنى الإيجابي للحياة، والذي لا يتحقق إلاَّ بالمؤمنين دون سواهم.

وذلك أن سبيل المؤمنين هو تحقيق النجاح ظاهراً وباطناً في الدنيا والآخرة. والملاحظ في سياق هذا النص الكريم من سورة الأنفال - والذي لا يزال الحديث عنه موصولاً- أن صفة الإنفاق جاءت مقترنة بصفة إقام الصلاة قبلها، ولذلك دلالاته وإيحاءاته، وأبعاده القريبة والبعيدة في تربية المؤمنين على طريق المسئولية المناطة بهم، بحكم إيمانهم، فالنجاح في ميدان إقام الصلاة يترتب عليه النجاح في ميدان الحياة العملية في مجالاتها المشروعة المتعددة، والقرآن الكريم يؤصل بهذا معلماً كريماً من معالم الاقتصاد الإسلامي الهادف الناجح القائم على الاهتمام بالأسباب، والأخذ بتطويرها نحو الأفضل دراسة، وتحليلاً، واستفادة، واستثماراً، ومن العجيب في الموافقة أن تأتي الآيات في وصف المؤمنين في سورة اسمها (المؤمنون) قريبة من وصفهم في الآيات التي جاءت في بداية سورة الأنفال، قال الله تعالى: [illegible] (1) [illegible] (2)

[illegible] (3) [illegible] (4)

[illegible] (5) [illegible]

[illegible] (6) [illegible] (7)

[illegible] (8) [illegible]

[illegible] (9) [illegible] (10) [illegible]

[illegible] (‌) »[١١١]، وتحدد في هذا النص الكريم مجال الإنفاق بأنه فعل الزكاة، والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يَلْحَظُ أنه فَصَل بين صفة الخشوع في الصلاة - وهي صفة مقتضية: أن المؤمنين يقيمون الصلاة؛ لأن الخشوع ثمرة إقام الصلاة — وبين صفة فعل الزكاة بصفة الإعراض عن اللغو، وهذا الفصل له أبعاده ودلالاته المتصلة بشخصية المؤمن التي جاء الحديث عنها وصفاً لأفعالها المحمودة في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، ومنها هذه الآيات في سورة (المؤمنون)، والخشوع في الصلاة وصف جليل كريم للمؤمنين، وقد جاهدوا أنفسهم على طريق العبادة لله تعالى، وطول القنوت بين يديه سبحانه مناجين خاضعين، أذلاَّء ضارعين، فاستقامت نفوسهم على طريق التأدب مع الله تعالى، والخشوعِ بين يديه في الصلاة، ومن وفق إلى الخشوع في الصلاة — وهو منقبة عظمى- فقد وُفِّق إلى خير كثير، وهو دليل على أن السيطرة على النفس في الصلاة سبيل إلى السيطرة عليها في ميادين الحياة الأخرى. وهو وصف دقيق للمؤمن العامل الجاد في الحياة، والذي لا يوجد في حياته عبث أو ضياع أو خوض فيما لا يفيد، وهو أمر أهَّله لهذا الموقف الخاشع في الصلاة، وقد أحسن فيما بينه وبين خالقه، وإحسانه بالخشوع في صلاته دليل على إحسانه في باقي الميادين، كما أحسن فيما بينه وبين غيره من المسلمين بأداء حقوقهم المترتبة لهم في ماله ففعل الزكاة، فهو مشغول بالإحسان في جانبيه يتردد بينهما طلباً لمرضاة ربه، وعبادةً وطاعةً له

(١١١) سورة المؤمنون: (١ إلى ١١).

سبحانه واتباعاً لرسوله e .

وتطل علينا صورة المؤمن من خلال هذين الإحسانين وهي تتحلى بتلك الصفات الجميلة الجليلة التي بينتها سورة (المؤمنون)، وهي صفات تدل على مدى وعي المؤمن لدوره، ومسئوليته في الحياة الدنيا، والآخرة.

وهي صورة تملأ نفس المتأمل سعادةً، واعتزازاً، واستبشاراً، وإنه لمعنى جليل كريم يبرزه القرآن الكريم لصورة المؤمن الفاعلة في الحياة، لتنطبع في ذاكرة المسلمين في كل زمان ومكان فيتمثّلوها، ولتكون قدوتهم في الحياة - وهم يمخرون عباب بحورها - عملاً وبذلاً للجهد، وأخذاً بالأسباب طاعة لله تعالى ولرسوله e .
والآيات الكريمة تدل على أن الناس في الحياة نوعان: مؤمن تلك بعض صفاته، وآخر عابث فاقد لهدفه في الحياة، وطوفان الحياة لا يرحم اللاهين في عبثهم، بل يرمي بهم إلى قاع الضياع السحيق، ومن لا يراغم نفسه، ويحملها على الحق، انتصرت هي عليه وصرعته، فانتهى أمره إلى بوار وخسران، وكانت حياته مجرد فقاعة ظهرت واختفت بلا أثر يذكر، أو عمل يشكر.

ومما تجدر الإشارة إليه - والحديث موصول حول آيات سورة (المؤمنون) -أن الصلاة باب واسع من أبواب الرزق، ولذلك فهي تأتي كثيراً في كتاب الله تعالى مقترنة بالزكاة، دليلاً على أن من أقام الصلاة فإن الله تعالى سيفتح له أسباب الرزق، ولعل هذا المعنى يدل عليه قول الله جلَّ جلاله: [illegible]

[illegible] uü

« [١١٢]، ومن كرُمَت نفسه بالطاعة لله تعالى، وتربَّت في مدرسة الصلاة على القنوت والخشوع لله تعالى، كرمت يداه بالبذل والعطاء، والعكس صحيح، والأمر مُشْعِرٌ بعظم وظيفة الصلاة وخطرها وأثرها في حياة المؤمنين، وأنه لا سبيل إلى النجاح في الحياة إلاَّ بالنجاح في إقامة الصلاة، وذلك هو سبيل النجاح الوحيد في الحياة الآخرة؛ وجاء وصف المؤمنين في هذه الآيات – في شأن أدائهم للزكاة – بأنهم للزكاة فاعلون، والوصف بهذا يدل على العمل والحزم والعزم [١١٣] والهمة في أداء هذا الحق العظيم، فهم لا يؤدونها لمستحقيها مجرد أداء، ولكنهم يفعلون ذلك برغبة وهمة وطيب نفس ويد، على أن لفظ (الزكاة) يحتمل أن يراد به الفضائل، كما ذهب إلى ذلك علماء التفسير[١١٤].

ومن خلال ما تقدم عرضه في بيان أخذ المؤمنين بالأسباب، وذكر الآيات في أوائل سورتي (الأنفال) و (المؤمنون) التي ذكرت بعضاً من صفات المؤمنين، يتضح جلياً أن العلاقة بين المؤمنين والأسباب علاقة تمثل الامتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله e في الأخذ بها وعدم تركها أو التهاون بها، وأن ذلك هو سبيل المؤمنين في كل زمان ومكان، وذلك هو ما دلت عليه نصوص القرآن الكريم.

---

(١١٢) سورة طه: (١٣٢).

(١١٣) الحزْم : الضبط والإتقان، والحذر أن يفوتك أمرك .
والعزْم: الجِدّ . انظر: المصباح المنير (١٣٤/١، ٤٠٨/٢).

(١١٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ( ٣٣١/١٠)، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/١٨).

## أهل الصفة والأخذ بالأسباب

ومن خلال هذا الفهم نريد أن نتوقف قليلاً عند قضية تناولها القاضي أبوبكر ابن العربي وهي قضية أهل الصُّفَّة من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- وكان فيما قرره وانتهى إليه مخالفاً لما قررناه في شأن موقف المؤمنين من الأسباب، قال - رحمه الله -: (أمَّا إنه لقد كان قوم يقعدون بصُفَّة المسجد، ما يحرثون ولا يتَّجرون، ليس لهم كسب ولا مال، إنما هم أضياف الإسلام، إذا جاءت هدية أكلها النبي e معهم، وإن كانت صدقة خصَّهم بها، ولم يكن ذلك بمَعَابٍ [١١٥] عليهم؛ لإقبالهم على العبادة، وملازمتهم للذكر والاعتكاف، فصارت جادتين في الدين ومسلكين للمسلمين، فمن آثر منهما واحداً لم يخرج عن سننه ولا اقتحم مكروهاً)[١١٦].

ونحن لا نوافق ابن العربي فيما انتهى إليه بقوله: (فصارت جادتين في الدين، ومسلكين للمسلمين، فمن آثر منهما واحداً لم يخرج عن سننه ولا اقتحم مكروهاً)، وكأنه بهذا يقنن البطالة في الإسلام، فإنه لا ينبغي أن ينظر إلى قضية أهل الصُّفَّة - رضي الله عنهم - أنها قاعدة في الإسلام، وأنها مسلك في الدين - فمن أخذ بها لم يخرج عن سنن الدين ولا فعل ما يكره - بل يجب أن ينظر إليها

---

(١١٥) تقول العرب: المسار والمسير، والمعاش والمعيش، والمعاب والمعيب. والمعاب والمعيب: العيب . انظر: لسان العرب ( ١/ ٦٣٣، ٦٣٤ ).

(١١٦) أحكام القرآن لابن العربي: (٩١٦/٢).

كوضع طارئ فرضته ظروف خاصة، وعلى ذلك تظل مسألة أهل الصُّفَّة - رضي الله عنهم -، ووجودهم في العصر النبوي في نطاق الخصوصية المحدودة بزمنها، والتي سمح بها المشرِّع عن الله تعالى، وهو رسوله المبلِّغ لدينه - عليه الصلاة والسلام - لأسباب ومصالح اقتضتها الضرورة، ولم يكن ذلك تشجيعاً على البطالة وعدم العمل، وترك الأخذ بالأسباب.

ولسائل أن يسأل: هل كان ذلك أمراً لم تكن تدعو إليه ظروف المهاجرين في المدينة؟ أم أن أهل الصُّفَّة – رضي الله عنهم – كان في وسعهم ومقدورهم السكن في غير المسجد النبوي، ولكنهم آثروا السكنى فيه طلباً للدعة والراحة؟ وهل كان بإمكانهم التكسب بالعمل وملاحقة الأسباب، ولكنهم آثروا الجلوس في المسجد بعداً عن تكاليف التكسب والعمل ومسئولياتهما؟ وغير ذلك من أسئلة يمكن أن تطرح في هذا المعنى. ويمكن مناقشة هذه القضية من خلال المحاور التالية؛ وهي تتضمن الإجابة على الأسئلة المطروحة.

أولاً: كان أهل الصُّفَّة - رضي الله عنهم - من فقراء المهاجرين(١١٧) (العُزَّاب)، وكانت المدينة قد ملئت بالأعداد الكبيرة من عوائل المهاجرين، ومساحتها لم تكن لتسمح حينئذ باستيعاب تلك الأعداد؛ ولذلك توزع الصحابة المهاجرون بعوائلهم في مناطق تبعد قليلاً أو كثيراً عن المسجد النبوي، ولم يتوفر لأهل الصفَّة سكن قريب من المسجد، وبالتالي فلم تتيسَّرْ لهم فرصة السكن –

(١١٧) انظر: رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة للسخاوي (٨٨ - ٩٤).

وهم أصلاً غير قادرين على دفع الإيجار حتى لو وجد السكن - فكان إيواؤهم في المسجد بأمر رسول الله e حلاً لمشكلة صعبة كان لابد من حلها.

ثانياً: كانوا - رضي الله عنهم - يمثلون بالنسبة لدولة الإسلام في المدينة (القوة الخاصة)[١١٨]، ولذلك كانوا أسرع من غيرهم في القيام بالمهام السريعة التي يكلفهم بها الرسول e ، فكانوا يخرجون في السرايا التي يرسلها - عليه الصلاة والسلام - إلى أطراف المدينة، وإلى سواها من البلاد؛ ومعلوم أن جميع سرايا، وغزوات، وبعوث النبي e قبل غزوة بدر إنما يَنْدُب [١١٩] الرسول e فيها الأنصار للقتال معه على سبيل الترغيب لا الإلزام لهم إلاَّ في غزوة بدر الكبرى، قال ابن سعد في طبقاته: (والمجتمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين، ولم يبعث رسول الله e أحداً من الأنصار حتى غزا بهم بدراً)[١٢٠]. وقد قدرت سرايا وبعوث الرسول e التي بعثها إلى أماكن مختلفة بثمان وثلاثين سرية وبعثاً. وقاد e سبعاً وعشرين غزوة في فترة عشر سنين[١٢١]، وذلك كله يدل على أن أهل الصُّفَّة – رضي الله عنهم – لم يكونوا خِلْوًا من العمل والمسئولية.

ثالثاً: كان كثير منهم يذهب إلى أعالي المدينة فيحتطب ويبيع، فيعين

---

(١١٨) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧٢/١١، ٨٠).

(١١٩ ) ندب فلانا إلى الأمر، يندبه ندبا: دعاه . المعجم الوسيط (٢/ ٩١٠).

(١٢٠) طبقات ابن سعد: (٦/٢).

(١٢١) يراجع: خاتم النبيين، لمحمد أبي زهرة: (٧٣/٢).

بذلك نفسه وإخوانه[١٢٢].

رابعاً: كانوا - رضي الله عنهم - حفظة السُّنَّة، كما كانوا يتلقون من الرسول e أمر الإسلام بعد أن ينزل بذلك الوحي من الله تعالى على الرسول e، وكانت هذه مهمة جليلة النفع، عظيمة القدر في الإسلام، وكان الواحد منهم إذا خرج من المسجد، ثم عاد بلَّغه إخوانه الآخرون ما نزل على الرسول e، وما علموه منه.

خامساً: كانوا - رضي الله عنهم - يشكلون وضعاً إيجابياً، كان له أثره الفعال في حياة الإسلام والمسلمين.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن ما ذهب إليه ابن العربي - رحمه الله - في موضوع أهل الصُّفَّة - رضي الله عنهم - لا يُوافَقُ عليه، وتظل حالتهم - رضي الله عنهم - كما أسلفنا حالة طارئة دعت إليها وفرضتها ظروف ماسة، ولا يصح اعتبارها قاعدة في الإسلام - بحيث إذا قام في المسلمين أناس وقالوا: نحن نريد أن نسلك طريق أهل الصُّفَّة، أقررناهم على ذلك - ولكن إذا وجدت أحوال، وضرورات في بلاد المسلمين تفرض مثل تلك الحالة فعند ذلك تقدر الضرورة بقدرها، وينظر في الحالة من جميع جوانبها، وتزول الضرورة بزوال أسبابها، والضرورات تبيح المحظورات كما هو معلوم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١٢٢) انظر رجحان الكفة للسخاوي (٩٤).

## الأسباب والتوكل

لعله قد تبين فيما تقدم أنه لا تنافي في ميزان المؤمن بين الأخذ بالأسباب، وبين التوكل على الله تعالى، فما وجد مؤمن إلاَّ وهو آخذ بهذه الأسباب، أخْذَ اجتهاد وتفهُّم وتعقُّل، متوكل على الله تعالى خالق هذه الأسباب ومقدرها، ولو تأمل المرء لوجد أن حقيقة التوكل على الله تعالى القيام بالأسباب، والأخذ بها، ومباشرتها بهمة ونشاط، وتطويرها نحو الأفضل قدر الإمكان مع اليقين بأن الأمر كله بيد الله تعالى، خالق كل شيء، وأن الأسباب خلق من خلْقه، (فإن شاء منعها اقتضاءَها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءَها وتدفعه)[١٢٣].

وإن ثمة فرقاً واسعاً، وبوناً شاسعاً بين إنسان يمضي نهاره كاملاً مع

---

(١٢٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: (٤٩٩/٣).

ومعنى هذا الكلام يتضح بالمثال الآتي:

ألقي أبونا إبراهيم عليه السلام في النار – ومن خاصيتها الإحراق-، وهذا يستلزم عرفا – أي بحسب ما تعارف الناس عليه – أنه يحترق، لكنه لم يحترق ! لما ذا ؟

- لأن الله سبحانه عطّل في النار خاصية الإحراق. وهذا معنى قول ابن القيم " منعها اقتضاءها".
- ولأن الله سبحانه عكس خاصيتها، فصارت تعطي البرد بدل الحرارة. وهذا معنى قول ابن القيم: " جعلها مقتضية لضد أحكامها " .
- كما أنه سبحانه قادر أن يبقيها على حالها، ويجعل في إبراهيم عليه السلام مانع الاحتراق، فلا تؤثر فيه مهما ارتادها. وهذا معنى قول ابن القيم: " أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه " . والله أعلم.

الأسباب، يباشرها بقلبه وفكره ويديه - وليس في قلبه مجال لشيء اسمه التوكل على الله تعالى - وبين إنسان يسعى في نهاره آخذاً بالأسباب، وقلبه يتألق بالتوكل على الله تعالى، وهو فرق جوهري وأساسي بين مؤمن يتعبد لربه وخالقه بحركته في نهاره وليله، وبين غافل عن هذا المعنى وسواه، لكنه يقظ لكل ما يوصله إلى منفعة دنيوية عاجلة، فعلمه في مصالحه ودنياه واسع، ولكنه عن علم ما يوصله إلى الآخرة غافل، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من الناس. قال الله تعالى: ¼ ÜÆ5ŠÝFHÆV y Š ãÆÝ ¸• @ÕÆVØ5ŠéV ¨pÆÍ0 @ãÆVWÆ@ÝÆ_£ÆÍH ÜÆ5ŠÙÅ¨V » (١٢٤).

فالتوسط والاعتدال في هذا الأمر هو منهج الإسلام، أما الإغراق في الركون إلى الأسباب فغير محمود، وهو مذهب مادي يضر بإنسانية الإنسان، كما أن هجر الأسباب وتركها ليس من الدين، وهو شيء دخيل على الإسلام؛ لأن هجر الأسباب وتركها يؤدي إلى الكسل والتواكل والبطالة، وادعاء الرهبانية، ولا رهبانية في الإسلام. قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله -: (وحقيقة التوكل: القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب)(١٢٥)، وقال أيضا: (والتوكل معنى يلتئم من معنى التوحيد والعقل والشرع)(١٢٦)، والتوكل لا يصح عقلاً وشرعاً إلاَّ على الله سبحانه وتعالى وحده (فإنه ليس في الوجود سبب تام موجب إلاَّ مشيئته وحده،

(١٢٤) سورة الروم: (٧).

(١٢٥) مدارج السالكين: (٣/٤٩٩).

(١٢٦) نفس المصدر: (٣/٤٩٩).

فهو الذي سبب الأسباب وجعل فيها القوى والاقتضاء لآثارها، ولم يجعل منها سبباً يقتضي وحده أثره، بل لابد معه من سبب آخر يشاركه، وجعل لها أسباباً تضادها وتمانعها، بخلاف مشيئته سبحانه فإنها لا تحتاج إلى أمر آخر)(١٢٧).

وقد أسيء فهم معنى التوكل من بعض المسلمين في القديم والحديث، فظنوا أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، وأدى بهم ذلك إلى الانعزال التام والتخلف عن حركة الحياة، فأصبحوا بذلك قوة سالبة في الحياة، وقد ردَّ الإمام أحمد على موقف هؤلاء، وبيَّن فساده بالحجة والدليل، فقال أبوالقاسم الخُتَّلي: سألت أحمد بن حنبل فقلت: ما تقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جَهِل العلم، أما سمعت قول النبي e " جُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي" (١٢٨)، يعني: الغنائم؛ وحديثه الآخر حين ذكر الطير فقال: " تغدو خماصاً وتروح بطاناً" (١٢٩) ؟ فذكر أنها تغدو في طلب الرزق.

وقال الله تعالى: [illegible]

---

(١٢٧) مدارج السالكين (٣/٤٩٩).

(١٢٨) أخرجه أحمد في المسند (٢/٥٠، ٩٢)، والبخاري في الصحيح: كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح (٣/١٠٦٧) تعليقاً، وصحح العراقي إسناده في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (١/٤٢٠ رقم ١٥٩٣).

(١٢٩) أخرجه أحمد في المسند (١/٣٠، ٥٢) واللفظ له، والترمذي في السنن (٤/٤٩٥ رقم ٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح . وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (١٠/١٤٠).

@ ð «[١٣٠].

وقــال : ¼V~ ôEW~ |SØ SÞ†ff—eKÜVZWS×eW £µ¾Q ÝQYQŸÑØ «[١٣١]

وكـان أصـحاب رسـول الله e يتَّجـرون في الـبر والبحـر، ويعملـون في نخـيلهم، والقدوة بهم" [١٣٢] اهـ.

كما ردَّ الإمام الغزالي على موقف هؤلاء، ومما جاء في ردِّه – رحمه الله – قوله: "ولا يظن ظان أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، وكاللحم على الوَضَم [١٣٣] ، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف يُنَال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين" [١٣٤]. ولو أمكن انفصال التوكل عن الأخذ بالأسباب في حق مخلوق من مخلوقات الله تعالى لكان ذلك في حق الطير؛ ولكن الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -، والذي قال عنه الترمذي: حسن صحيح، يبين أهمية الأخذ بالأسباب حتى بالنسبة إلى الطير قال e : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو

---

(١٣٠) سورة المزمل: (٢٠).

(١٣١) سورة البقرة: (١٩٨).

(١٣٢) أخرجه الدينوري في المجالسة (١٢٣/٣ رقم ٧٥٤).

(١٣٣) الوَضَم : الخشبة التي يوضع عليها اللحم ليقطّع . المعجم الوسيط ( ١٠٤٠/٢) .

(١٣٤) إحياء علوم الدين: (٢٦٥/٤).

خماصاً وتروح بطاناً »[١٣٥]. قال ابن كثير في تفسيره: (فأثبت لها رواحاً و غُدُوًّا في طلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخِّر المسيِّر المسبِّب)[١٣٦].

وهكذا يظهر التكامل في شخصية المؤمن وهو يأخذ بأسباب الرزق متوكلاً على الله تعالى، وذلك دليل ساطع وبرهان واضح على عظمة وشمول الإسلام في بناء شخصية المؤمن، بناءً تتكامل فيه عناصره الضرورية اللازمة، وليس ذلك إلاَّ في الإسلام.

---

(١٣٥) سبق تخريجه في (٦٧) .

(١٣٦) تفسير ابن كثير: (٣٩٨/٣).

## الرزق بين الزمان والمكان

يحتل الزمان والمكان في موضوع الرزق بعداً واسعاً، له آثاره العقدية والتربوية في حياة المؤمن فقد شاء الله تعالى أن يخفي على خلقه زمان ومكان الرزق بدايةً، وذلك لغاية شريفة كريمة تتصل بتربية المؤمن على طريق العبودية لله تعالى والاستسلام لأمره، واليقين بموعوده الكريم، فيكفيه وهو عبد الله تعالى أن يقول له سيده، وخالقه، ومولاه جل في علاه: [illegible] »(١٣٧)، [illegible] »(١٣٨) ولا مصلحة للعباد أن يسألوا قبل أن يرزقوا: أين مكان الرزق؟ ومتى زمانه؟ فلا قيمة لهذا السؤال وسواه مما يمثل خروج الإنسان عن دائرته المتاحة له في العلم كإنسان مخلوق، فليس تجاوزه هذه الدائرة متاحاً له بأي حال؛ فالذي خلق هذا الإنسان هو الله تعالى العليم القدير الذي يعلم ما يُصلح هذا الإنسان، وما ينصلح به حاله ومآله في أمر إخفاء زمان ومكان رزقه بدايةً، والمصالح والفوائد من وراء إخفاء زمان ومكان الرزق بدايةً كثيرة لا تحصى، وعلى المؤمن النابه أن يَسْتَثير بعقله وفهمه بعض تلك المصالح والفوائد إذا عرضت له بارقة استدلال أو استنباط فهماً من نص كريم: من قرآن

(١٣٧) سورة هود: (٦).

(١٣٨) سورة الذاريات: (٥٨).

كريم، أو سنة نبوية كريمة.

ولو علم الناس زمان ومكان رزقهم بدايةً لانتفى في حياتهم معنى التوكل، ولأدى ذلك بهم إلى البوار، والكسل، والخمول، والفشل ولنتج عن ذلك شيوع الفشل والسآمة في الحياة، ولتعطَّل كل شيء له قيمة في الحياة، وكان عموم الطغيان والفساد محصلة نهائية لذلك كله، وإذا كان ذلك كذلك فقد اتضح جلياً لكل ذي بصيرة أن جهل الناس لزمان ومكان رزقهم بدايةً ينشأ عنه الفاعليةُ والحركةُ، والتنقل، والكدح، وبذل الأسباب، والتعب، والسفر، والمغامرة، والأمل، والترقب، والانتظار، والفرح، والحزن، والإقبال، والإدبار، والتفكير، والتدبير، والمشورة، والعزم وضده، والربح، والخسارة، والاهتمام، والاغتمام، وغير ذلك من المعاني التي تعطي للحياة مذاقاً جميلاً في النهاية، برغم مرارة المعاناة في بعضها.

والمؤمن يتحرك من خلال هذه المعاني وسواها، مستعيناً بالله تعالى خالقه ورازقه، معتمداً ومتوكلاً عليه، آخذاً بالأسباب غير مفرط فيها. ولا شك أن هذا درس هام، يتربى المؤمن من خلاله على طريق العقيدة في الله تعالى، والإيمان بأنه لا ملجأ ولا منجى منه إلاَّ إليه، فهو سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير(١٣٩).

أما الدرس التربوي المستفاد من وراء جهل الناس لزمان ومكان رزقهم –

(١٣٩) وما أروع وأجمل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا أيها الناس توكلوا على الله - عز وجل- وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه".
أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكل على الله (٤٢ رقم ٧).

بداية - فهو تربية نفس المؤمن على الصبر في انتظار تحقق موعود الله تعالى الصادق الذي لا يتخلف، فلا يضيق المؤمن بطول الزمان، وغيبة المكان، وهو أثناء ذلك حسن الظن بربه، قوي الثقة في موعوده الحق بالرزق، فينشأ عن ذلك نفس صابرة شاكرة، وإلى موعود ربها مطمئنة، تشيع في مجتمعها روح الأمان، والثبات والاطمئنان، فتكون بذلك قدوة حسنة لسواها، وصورة جميلة في مجتمعها تعكس معاني الخير الجميلة في الحياة؛ والله تعالى جعل الزمان بوتقة تنصهر فيها معادن الرجال، وتُختبر فيها العزائم؛ لتَخرُج نفس المؤمن بعد ذلك نفساً قوية، لها عزيمة لا تلين، وإرادة لا تخور، وإن طال الزمن أمام الاختبار والابتلاء، وتكاليف الحياة وصعابها، ولما كان الزمان هو الوعاء الذي يحوي حركة الناس، وتظهر من خلاله الأقدار، كان الإنسان بذلك مرتبطاً بالزمان والمكان ارتباطاً قوياً لا انفكاك له عنه، وذلك دليل على فقره وحدوثه، ولكن هذا الارتباط في قضية الرزق لا يملك معه الإنسان العلم بزمان ومكان رِزْقِه قبل ظهور الأسباب التي تدل على ذلك، أما قبل ذلك فعلمهما عند الله تعالى، رحمة بالناس وخيراً لهم، حتى لا تبور حياتهم ويسيطر عليها طغيانهم.

والمتأمل في أحوال كثير من الناس في دنياهم، يرى أنهم قبل ظهور الأسباب المرشحة للزمان والمكان - ومع جهلهم بزمان ومكان الرزق - فهم طغاة متجبرون، فكيف يكون الحال بهم لو علموهما؟.

إنهم بلا شك سيملؤون الأرض طغياناً وظلماً وتجبراً، ولكن الله تعالى رحمة منه بالناس لم يمكنهم من علم الزمان والمكان قبل ظهور الأسباب المرشحة لهما؛ وبسبب ذلك يتحرك الإنسان ويسعى، ويبذل ويجتهد، ويفكر ويطور متلمساً أسباب الرزق. والإنسان في سعيه وحركته لتلمس أسباب رزقه قد يواجه ظلماً له أو اجتراءً على حقه، وقد يضعف أمام قوة إنسان آخر، وهنا يتميز المؤمن عن غيره، فيفزع حينئذ إلى الله تعالى خالقه ورازقه – مع أخذه بالأسباب لرد الظلم والاجتراء – داعياً ضارعاً، متذللاً في ساحة رجائه وفضله، وعونه وإحسانه، يناجيه ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، بأن يمنحه القوة والسكينة والثبات، وأن يعزّه بذلّه إلى عزّه، ويغنيه بافتقاره إلى غناه، ويكفيه باحتياجه إلى فضله، ويُرى المسلم في مثل تلك الحال لا يفتر عن ذكر الله، ولا يتكاسل عن طاعته، بل يواصل الطاعة بأخرى، والبر بأحسن منه، فلعل الله تعالى ييسر له أمراً ويفرج له كرباً، ويوسع له رزقاً، ويجبر له كسراً، متوسلاً إليه تعالى بما يرضيه، بأن يفتح له الأبواب، ويذلل الصعاب، وييسر الأسباب للوصول إلى رزق يؤمله، مما جعل الله تعالى سببه بعض خلقه، وليس هذا شأن المؤمن في هذه الحال فحسب، بل إن شأنه في كل حال أن يستعين بالله تعالى الخالق القادر، الغني على المخلوقين العاجزين الفقراء الذين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم غنى ولا فقراً، ولا ضراً ولا نفعاً [١٤٠].

---

(١٤٠) وما أجمل قول بعضهم:

لا تَضْرَعَنَّ لمخلوق على طمع ... فإنَّ ذاك مضر منك بالدين

واسترزق الله رزقاً من خزائنه ... فإنما هي بين الكاف والنون

وهذا هو شأن المؤمن دوما، وإنه مَعْلم خالد من معالم الشخصية المسلمة، التي لا تذل إلاَّ لله، ولا تخاف إلاَّ منه، ولا تفزع إلاَّ إليه، ولا تطمع إلاَّ في فضله وإحسانه، ولا ترجو إلاَّ عطاءه وخيره، فهي توقن أن الرزق معلوم، وأن الأجل محتوم(١٤١)، وأن الحياة بيد الله تعالى مالك الملك، خالق الخلق، مقدر الرزق، بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجع الأمور، بيده الآخرة والأولى، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويغني من يشاء، ويفقر من يشاء، يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، له العزة الشاملة، والحكمة البالغة، والإرادة النافذة، والمشيئة القاهرة، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لأمره، يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وهذه المعاني الجليلة العظيمة التي تفيض بها شخصية المؤمن، تنسكب في أعماق وجدانه وبؤرة شعوره، فيمتلئ بها قلبه نوراً ومعرفة وهداية، وتنعكس على أقواله، وأحواله، وأفعاله، فينتُج من ذلك كله مَثَلٌ حيٌّ كريمٌ في الحياة، يدل على المنهج الإسلامي العظيم الشامل الكامل في بناء شخصية الإنسان المؤمن.

وفي المقابل فإنه يشاهد من بعض الناس الخضوع والخنوع والذل لأناس أمثالهم، ممن جعلهم الله سبباً من أسباب الرزق، وما ذلك إلاَّ لخلو قلوبهم، وفراغ نفوسهم من هداية

---

أخرجه الدينوري في المجالسة (٣٤١/٧ رقم ٣٢٧٠).

(١٤١) وما أجمل قول بعضهم:

تيقن فإن الرزق غادٍ ورائح وإن المنايا ممسيات صوابح

يبكين منك الباكيات ترحلاً وينسين جوف القبر تلك الروائح

أخرجه الدينوري في المجالسة (٧٢/٧ رقم ٢٩٣٨).

الإسلام الربانية العظيمة، وبعدهم عن طاعة الله عز وجلّ، وذلك أن من لم يذل نفسه بالطاعة لله تعالى أذله الله لما سواه، ومن لم يتعلم الافتقار إليه سبحانه، أفقره إلى ما سواه، ومن لم يتعلم الوقوف أمام الله تعالى بإظهار الحاجة إليه في كل شيء أحوجه الله إلى ما سواه. وأبواب هذا التعلم ومسالكه وطرقه متيسرة لكل من أرادها، فهي في الصلاة بجميع أنواعها وفي الزكاة، وفي الحج وفي الصوم، إنها في سائر العبادات والقربات والطاعات لله سبحانه وتعالى.

إن قضية الرزق قضية دقيقة خطيرة لها آثارها الواضحة على سلوك الإنسان ومقاله، والمؤمن في هذه القضية يعتصم بمنهج الإسلام الرباني العظيم، فلا اضطراب في خطواته وسلوكياته وأقواله، ولا انفصام في شخصيته، وذلك شأنه أيضاً وهو يبذل طلباً لرزق ليس للبشر فيه مدخل أو سبب، ولكنه رزق يهبه الله تعالى مباشرة لمن يشاء، وذلك هو رزق الذرية، الذي يريده كل الناس ويطلبونه، ولا يستغنون عنه، ومع شغفهم به وحبهم له، فقد يتأخر مدة تقصر، أو تتوسط، أو تطول، وقد لا يأتي بالمرة، وذلك كله بتقديره وعلمه وحكمته سبحانه. والناس أمام ذلك أحد إنسانين: إما: إنسان عاقلٌ يبذل الأسباب المتاحة ويرضى بقدر الله وعطائه في كل الأحوال لأنه يؤمن بأن الله تعالى وحده هو الذي [illegible] » [142] الآية، وهو جلّ جلاله الذي يُقِرُّ في الأرحام ما يشاء إلى قدر معلوم عنده، وهو جلّ وعلا الذي يصور الخلق

(١٤٢) القصص: (٦٨).

في الأرحام كيف يشاء، وهو عزَّت قدرته وتقدَّست أسماؤه الذي

وأنه لا نبي ولا ملَك، ولا وليَّ، ولا طبيب، ولا حكيم، ولا أحد من الخلق إنسهم وجنهم بقادر على أن يهب لنفسه، أو لغيره ذريةً ما أو بعضاً منها، وذلك هو موقف الإنسان العاقل المؤمن، وإما: إنسان ضعيف عاجز أمام وساوس نفسه، وما توحي به إليه شياطين الإنس والجن في هذا الأمر، وذلك أمر يكلفه كثيراً، ولا يعود عليه في النهاية إلاَّ بالخسارة المادية والمعنوية، فهؤلاء الشياطين يتلقفون ضعاف الإيمان، ويوهمونهم بأن حصول الذرية ميسور، ولكن لابد من القيام لذلك ببعض الأشياء، وتقديم بعض الأعمال والأموال في صورة معينة يحددها هؤلاء الشياطين حتى ينتهي الأمر بهذا الإنسان إلى أن يخسر دينه قبل أن يخسر دنياه، ويفقد ماله وراحة قلبه وطمأنينة نفسه، ولا يعود من ذلك بشيء إلاَّ كما يعود بالماء من يجري وراء السراب.

والله تعالى يعلم ضعف الناس أمام هذه القضية، وأن شياطين الإنس والجن قد تنفذ إليهم من خلال هذا الضعف، فجاءت ألفاظ القرآن الكريم قوية تعلن عن المشيئة الإلهية المطلقة، وتكررت ألفاظ المشيئة مرات ثلاث في آية واحدة بياناً وتثبيتاً وتنبيهاً لكل مؤمن، وقطعاً للطريق على كل من تسوِّل له نفسه أن له قدرة مَّا في حصول الذرية. والأسباب

---

(١٤٣) سورة الشورى: (٤٩ - ٥٠).

مخلوقة لله تعالى، فهو يصرِّفها وفق قدرته وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى، وكثيراً ما يكون الزوجان صالحين للإنجاب ولا يحصل ذلك؛ لأن الله تعالى لا يريده، ويقف المؤمن أمام طلاقة القدرة الإلهية وعظمتها متفكراً في دلائل هذه القدرة وعظمتها في الأنفس والأكوان، وينظر إلى ضَعْف نفسه وعجزها فتذهب بذلك الغلظة والقسوة والجفاء في نفسه، وترق مشاعره وتجيش عواطفه وتدمع عيناه، وتنزل الدموع على خديه إعلاناً واعترافاً بضعفه وعجزه، وفراراً من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته، وهذا درس مفيد وهام يستفيده المؤمن عقدياً، وتربوياً، واجتماعياً ليكون مِنْ ثَمَّ قدوة صالحة للآخرين، وليستقيم على درب العبودية لله تعالى – خالقه، ورازقه – استقامة تقوده إلى النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

إن الله تعالى يربي خلقه بأقداره فيهم، ولو تركوا لأنفسهم لهلكوا، وأهلكوا غيرهم، والإنسان بما أودع الله تعالى فيه من عجائب وغرائب، آيةٌ من آياته سبحانه الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته؛ يعلم الإنسان أنه لا سبيل إلى خلود ذكره بعد مماته، إذ لم يُعْطِ الله تعالى ذلك إلاَّ لنبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه، قال تعالى: ¼ VVÊVÅV† V Ð Y ÒV£ Ŏ « [١٤٤]، ومع علم الإنسان بهذه الحقيقة إلاَّ أنه يتشبث ببقاء الذكر وخلوده؛ ولذلك فهو مشغوف بطلب الذرية خاصة الذكور منها، يسعى إلى ذلك بشتى الوسائل المتاحة له، وهو يعلم كذلك أنه لا سبيل إلى دوام حاله وشأنه، فدوام الحال من المحال، وهادم اللذات ومفرق الأحباب والجماعات لا يترك أحداً وإن طال الأمد، ومع

(١٤٤) سورة الشرح: (٤).

ذلك فإن الإنسان يتعامى عن حقائق الكون حوله، ويبذل كل ما في وسعه لدوام حاله ولكن هيهات. ¼ ÝÚÙØ ,ÝÜÛ ÝÝ,ÙØÙßÞ ÝßÞ ÝÙÚ àÝ ÜÝ,ÝÜÙ Üàß «(٣٤)»[١٤٥]، و¼ ... «(٨٨)»[١٤٦]، و¼ ... (٢٦) ... (٢٧) «[١٤٧]، والإنسان يعلم أن بقاء بدنه وأعضائه قوية حتى آخر لحظة من عمره غير ميسور في الغالب الأعم، خاصة لمن بلغ من العمر عتياً، قال الله تعالى: ¼ ... ÷ ... «[١٤٨]، ومع ذلك فهو يبذل كل ما في وسعه لبقاء بدنه معافى حتى آخر لحظة من عمره، ولو ترك الإنسان لعجائبه وغرائب نفسه بدون منهج يهديه إلى الحق، لفسد وأفسد كثيراً، ولكن الله تعالى رَحِمَه، فأنزل إليه نور الإسلام المبين، فاهتدى المؤمن بذلك النور العظيم، فسار على مدارج الهداية والرشد، مسلماً لرب العالمين، فسَمَتْ بذلك نفسه، واختفت تناقضاتها وغرائبها، وازداد طهرا، وثباتاً ومعرفة، فهُدِيَ إلى صراط الله المستقيم.

(١٤٥) سورة الأعراف: (٣٤).

(١٤٦) سورة القصص: (٨٨).

(١٤٧) سورة الرحمن: (٢٦، ٢٧).

(١٤٨) سورة الروم: (٥٤).

وصدق الله العظيم القائل: ¾M ûÜ@VÜVÖ¡ èÊV ¼pÔVÆØ ØÖ@Ö †ŘVgs VÆŘ¹ÑKÓÑK }WV£ f û è£S| þ-ÿV,Wg§ †Ř@ « (١٤٩) إن قضية الزمان والمكان في موضوع الرزق، واستئثار الله تعالى بعلمهما قبل ظهور الأسباب الدالة عليهما لهو أمر جدير بالاعتبار والنظر والدرس، ولعل أحداً من أهل العلم يعطي اهتمامه لذلك فيضيف أبعاداً جديدةً، تميط اللثام عن حقائق وفوائد تنفع المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم.

ويأتي الزمان المكان - في قصة إبراهيم عليه السلام وزوجته بعد بلوغهما من الكبر عتياً، وقد بشرهما الله تعالى بواسطة ملائكته الكرام عليهم السلام بغلام حليمٍ عليمٍ - مَعْلماً من المعالم التي ينبغي أن يتوقف عندها المؤمن مستلهماً لأسرار الحكمة الإلهية في بعض جوانبها الظاهرة في هذا الرزق لإبراهيم - عليه السلام - ولزوجته في زمان ومكان ارتبطا (١٥٠) بهذا العطاء ارتباطاً وثيقاً؛ فنبي الله إبراهيم — عليه السلام — قد بلغ — فيما ذكر المفسرون(١٥١)- من العمر مائة وعشرين سنة، بينما بلغت زوجته في ذات الوقت تسعين سنة (١٥٢)، وكانت عقيماً لا تلد، ومع ذلك فقد رزقهما الله تعالى بغلام حليم، وتمت بشارتهما

---

(١٤٩) سورة البقرة: (٢٤٣).

(١٥٠) الفاعل يعود على الزمان والمكان.

(١٥١) انظر على سبيل المثال: تفسير القرطبي (٧٠/٩).

(١٥٢) انظر المصدر السابق.

بذلك بواسطة الملائكة الكرام – عليهم السلام – وهو أمر يدعو بشرياً وظاهرياً إلى الاستغراب، حتى إن إبراهيم عليه السلام – وهو خليل الله – قال للملائكة الكرام بعد بشارتهم له: ¼ÏŠK ÞQÔQÛ Kàø ÕÉø ÑÝéŠŠþû ê@þ ÑÊŠÑŠM ïŠð ÜǛèŠP » [153] وزوجته: ¼ÏŠÎÏŠÆÑŠ ÏŠÞŠV ø ÕÅŠ ÿ ‹ÏŠV ˜ • [† » [154]، ولعل سائلاً يسأل: ما فائدة الولد لوالديْن قد بلغا من العمر عتياً؟ وما فائدتهما والحالة هذه لوليد صغير يحتاج إلى جهد وتفرغ وقوة في تربيته والاهتمام به؟ إلى غير ذلك من أسئلة قد تثار من زاوية البشرية المجردة التي تعجز عن إدراك بعض الحكم في ذلك.

والجواب على ذلك وسواه يأتي في منتهى اليسر والبساطة من خلال دائرة الإيمان والتسليم لله تعالى فيما اختار وأراد، فلله تعالى في ذلك حكمة بالغة فهو سبحانه وتعالى: ¼ÏŠV ÑŠÞŠÚ ÑŠV ÑŠÞŠè ÑŠ†Š§ » [155] وهو جل جلاله يخلق ما يشاء على الصورة التي يشاء، في الزمان الذي يشاء، والمكان الذي يريد، وهو سبحانه يعلم ما يصلح أمر خلقه من الناس فيما يقدره لهم من أرزاق زماناً ومكاناً، ويعلم ما ينصلح به حالهم في ذلك عاجلاً وآجلاً، وهو عزت قدرته له الحكمة البالغة والعزة الشاملة والقدرة المطلقة. وفي ساحة الإيمان والتسليم لطلاقة

---

(١٥٣) سورة الحجر: (٥٤).

(١٥٤) سورة هود: (٧٢).

(١٥٥) سورة القصص: (٦٨).

القدرة الإلهية، وللحكمة الربانية البالغة ينشرح الصدر، ويطمئن القلب، وتسكن النفس إلى أن ما يقدره سبحانه ويريده هو الخير، فهو جل وعلا علاَّم الغيوب، وإن ما يبدو في موازين البشر من الخوف - من الشيخوخة وغيرها - لا وزن له عند الله تعالى، فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ¼ WXYÙKÚS5IMWV: ÜéÑWÝYÈ I5Ü ÚéSWÜKL~WVWK » (١٥٦) وعلى ذلك فإن الرؤية واضحة في حس المؤمن - صافية لا غبش فيها ولا قلق - وهو يتدبر قصة إبراهيم - عليه السلام — وزوجه، فيخرج من ذلك بنتيجة إيمانية قوية، وهي: أن الزمان والمكان اللذين اختارهما الله تعالى لرزق إبراهيم - عليه السلام - وزوجته بهذا الغلام هو ما ينصلح به حالهما، لا قبل ذلك ولا بعده، ولذلك جاءت مقالة الرد من الملائكة الكرام عليهم السلام على استغراب زوجة إبراهيم - عليه السلام - قوية حاسمة ¼ WRÎÙ NÉ ÙÌÙ ÙÎÙ ÙÚ ÙÔ I5ÎKÙ @ÙS ÙVÙ~Ñ @ÙÙ~Õ « (١٥٧)، وبياناً بأن الأمر وقع في دائرة الحكمةِ البالغةِ، والعِلْم المحيطِ لله سبحانه وتعالى، وهو جل وعلا يعلم الغيب، والخلق لا يعلمون وهو سبحانه يعلم ما يصلحهم، و ما يصلح لهم، وهم لا يعلمون.

ومعلوم أن قصة إبراهيم - عليه السلام - جاءت مذكورة في سورة

---

(١٥٦) سورة يس: (٨٢).

(١٥٧) سورة الذاريات: (٣٠).

الذاريات بعد الحديث عن قضية الرزق[١٥٨]، والله سبحانه جعل الرزق مرتبطاً بأسباب قدرها رحمة بخلقه؛ وربما ظن ظان أن الأسباب هي كل شيء في أمر الرزق، فجاءت قصة إبراهيم – عليه السلام – لتهدم ذلك الظن من أساسه، ولتبين بما لا شك فيه بأن الله تعالى الذي خلق الأسباب هو القادر وحده على إلغاء هذه الأسباب كلها أو بعضها، فليس وجودها مقتضياً بالضرورة وجود ما يترتب عليها، بل قد توجد، ويوجد ما يضادها أو يبطلها، أو يذهب بأثرها المرجو.

وقد لا توجد الأسباب، ومع ذلك يوجِد الله تعالى الأثر المترتب عليها لو وجدت. وقد انعدمت في قصة إبراهيم - عليه السلام - وزوجته، ومع ذلك رُزِقا غلاماً وُصِف بأنه حليم عليم. والدرس المستفاد من هذه القصة: أن الأسباب ليست كلَّ شيء في أمر الرزق، وأن قدرة الله تعالى فوق كل شيء، وأن الله تعالى بحكمته وعلمه يعلم ما فيه صلاح خلقه في تقدير أرزاقهم في الزمان والمكان اللذين علمهما - سبحانه وتعالى - وهو سبحانه يظهر في كونه لخلقه ما سبق في علمه من أمر رزقهم زماناً ومكاناً، فيسيرون إلى ما قدره الله، وأراده لهم، فسبحان من له الخلق والأمر.

---

(١٥٨) وسيأتي الحديث عن آية الرزق في سورة الذاريات مفصلاً إن شاء الله.

## الرزق بين البسط والقبض

اقتضت حكمة الله تعالى ومشيئته في أمر الرزق أن يتفاوت الناس في أرزاقهم بسطاً وتضييقاً، أو قُلْ: سعة وضيقاً، فهم في ذلك متفاوتون فمنهم من بسط الله تعالى له في الرزق، ومنهم من قُدر عليه رزقه، وذلك لحكمة إلهية شريفة سامية عظيمة عند الله تعالى سرُّها وعلتها، وقد يظهر للناس في حياتهم بعض ما يتصل بهذه الحكمة، ومن ذلك أن الناس لو تساوت أحوالهم في الرزق - بسطاً أو قدْرًا- لتعطلت حركة الحياة وتوقف فيها كل معنى جميل كريم، ولأصبح للحياة مذاق كريه، وصورة قبيحة، ولضاق الناس بهذه الحياة ضيقاً قد يدفعهم إلى الانتحار الجماعي، فسآمة الحياة، وكآبتها، وغياب المعاني الجميلة الكريمة منها، كل ذلك وسواه سبب للضيق من تلك الحياة.

ولخطر شأن قضية بسط الرزق وتضييقه في حياة الناس، ولأن كثيراً منهم قد يرجعون أسباب ذلك لغير قدرة الله تعالى ومشيئته، جاء البيان القرآني قاطعاً وحاسماً في الموضوع في آيات تسع في مواضع متعددة من القرآن الكريم، وجاء لفظ البسط في تلك الآيات بصيغة الفعل المضارع (يبسط) وذلك له دلالاته، فاللفظ (يبسط) يشعر بتجدد الأمر واستمراره، وجاءت كلمة (يبسط) دون سواها لدلالتها على معنى السعة، وهي تدل على جلال وعظمة وقوة وكمال من بيده بسط الرزق، وهو الله جل جلاله وتعاظم كماله، وجاء لفظ المشيئة في الآيات التسع متوسطاً بين بسط الرزق وقدْره دليلاً على أن الأمر فيهما لمشيئة الله تعالى النافذة، وليس ذلك لأحد من الخلق كائناً من كان، وقليل من الناس

الذين يعلمون هذه الحقيقة، وكثيرهم يجهلها، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ¼
,WÎS †R@ÏW{ MÖQÍK¾HÆVSŸþ ÏW€ÑG† WÞMÝÙÏY ÈE/¡ÆQ@Ø¦ ®S‰ÏWø ŸÖVWÃÖKÔ Š
ÜWéSÙWÅ ÏW « [١٥٩] ، وجاء لفظ (البسط) للرزق في القرآن مقدماً على ( القدر) إشارة إلى مدى رحمة الله بالمرزوقين، ولذلك فإن كل دعوة أو حركة تدعو للمساواة في الحياة هي دعوة ضد الفطرة التي فطر الله الناس عليها في تفاوتهم في رزقهم وفي شئون حياتهم، وهي بذلك دعوة ميتة وفاشلة، لن تُكتب لها الحياة وإن امتدت سنين بقوة الحديد والنار، وهي فاشلة بفشل دعاتها، وظهور افترائهم وكذبهم فيما يهرفون به وينعقون، فهم بلا شك لا يرضون - واقعياً- أن يتساووا بغيرهم من الناس، ولكنهم كلامياً وإعلامياً يكذبون على غيرهم، ويخدعون جماهيرهم المغفلة، ولكن حقائق الفطرة أقوى وأبقى من هؤلاء ومن نعيقهم وكذبهم، وصدق الله تعالى في قوله عن مثل هؤلاء: ¼ ÜWè †ÚWŽ ØéSÙW û RMXI ;
ÜWéSŠ- ÏW†ÚWéØ SÕÉ ßK « [١٦٠] فالفطرة الخالدة الباقية التي فطر الله تعالى الناس عليها أنهم في أمر الرزق متفاوتون، فمنهم الغني، والفقير، ومنهم من هو بين ذلك، وكل واحد من هؤلاء وغيرهم يكمل غيره في المجتمع الإسلامي، فالغني في

(١٥٩) سورة سبأ: (٣٦).

(١٦٠) سورة البقرة: (٩).

هذا المجتمع غني شاكر غير باطر[١٦١]، والفقير فقير صابر غير حاقد، فلا أحقاد بين الفقير والغني، بل إن الفقير في المجتمع الإسلامي يدعو لأخيه الغني بالتوفيق والسداد، والنجاح في عمله؛ لأن ثمرة ذلك ستصل إلى هذا الفقير سنوياً في صورة الزكاة المفروضة على الغني، ومراتٍ في السنة في صورة الصدقة المتطوع بها، فلا يوجد في المجتمع الإسلامي ما يسمى بأكذوبة: "حتمية الصراع الطبقي" وإنما يوجد فيه التكافل والتراحم والإحسان والإخاء، ولم تتحطم حصون الشيوعية وتدمر قواعدها، وتكسر أقلامها، وتحرق أوراقها، وتُنكَّسُ راياتها إلى غير رجعة، وتسقط أصنامها وتتهاوى تحت أقدام جماهيرها التي أفاقت، واستجابت لحقائق الفطرة الخالدة، إلاَّ لأن الشيوعية جاءت ضد الفطرة التي فطر الله الناس عليها في أمر الرزق، فكانت الشيوعية شيئاً إدًّا[١٦٢] مقطوع الصلة بفطرة الناس، وكل منهج حادَ عن وسطية الإسلام الرائعة في موضوع الرزق سيسقط حتماً – وإن طال زمنٌ – كما سقطت الشيوعية، والناس تتفاوت أرزاقهم قدراً من الله تعالى وحكمة، ولا علاقة لذلك بما عليه الناس في أحوالهم من حيث القوة والضعف، والعلم والجهل، والذكاء والبلادة، والشهرة والخمول، فمنهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم الموسع عليه في رزقه، ومنهم المقدور عليه فيه، وليس معنى هذا إهمال مواهب الأفراد ونشاطهم في تلمس أسباب الرزق، فالنشطاء الساعون المتحركون

---

(١٦١) بطِر فلان يبْطُر بطَرًا: غلا ( أي بالغ ) في المرح والزَّهو . المعجم الوسيط (٦١/١).

(١٦٢) الإدّ : الأمر الداهي المنكر . المعجم الوسيط ( ١٠/١).

غـير الكسـالى النـائمين، فمـن تحـرك للزراعـة والصـناعة والتجـارة، وبـذل الأسـباب الممكنـة يجـد بعـون الله تعـالى ثمـرة حركتـه مـا لم يـرد الله تعـالى غـير ذلـك ‎ $¨@W¼ ÓWŠ^}ŠW ÙÛÝ‎ -ÀÚ ÆWÑÑÝÂÑWÁŠ{ ÙWŠ@ÛŠW Û ŠÛÂŸWWŠ ÜéŠ » ‎(١٦٣)‎ أما النائم الكسلان الذي يعيش مع أوهام كسله فلا يجد لكسله ثمرة إلاَّ الحسرة والبوار. ولكن يظل أمر الرزق متفاوتاً بين الأفراد والجماعات " حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة للإنتاج والتوزيع"‎(١٦٤)‎. قال الله تعالى: ‎ ¼šŸÙWŠÛ ÍØÛŠÛÜ ŠŸÙÐŒ

ØŠšµ ÅŠWŠ†WŠÛŠÉWŠ†ŠŠÖ@ÆŠWŠ@Á ØŠŠWŠ-ÅÕØŠWŠŠ†ÙÜ@ŠŸ™ŠÐ ŠW

ÞŠŠ Ð ŠWŒÙŠšWŠŠ†ŠÞ• Š †µ ÅŠØŠšµ ÅŠWŠ ŠŠ Œ ŠŠŠWŠ Å ŠëŠ

Á ŵ ÅŠÙWŠÑšµ ÅŠÔšµ Š $¨@W¼ :وقـــال ســــبحانه، ‎(١٦٥)‎ « ÜéŠÙ• ŠŠ†ÔŠ

ÐŠÙŠ†ŠŠŠŠ;ŠŠ;Š†ŠŠÙŠŠ ÙŠ ¼ :وقال جل وعز ‎(١٦٦)‎ « ÿ¦ŠŠ@

ŵ ÅŠÙWŠØŠ ÅŠ†Šµ ŠÈ ˜ÙÒ ŠŠ †ß@(ﭑ) Šé™ŠÐŠŠ†ÙÙÒ†ÙŠ

دعـوا ...) : e وقـال .‎(١٦٧)‎ « (ﭑ) ¾~Ÿµ ŠŠŠŠ{ ŠŠŒŠŠŠŠ{ ŠŠ›„ÙW

(١٦٣) سورة يوسف: (٢١).

(١٦٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣١٨٦/٢٥ - ٣١٨٧).

(١٦٥) سورة الزخرف: (٣٢).

(١٦٦) سورة النحل: (٧١).

(١٦٧) سورة الإسراء: (٢٠ - ٢١).

الناسَ يرزق الله بعضَهم من بعض)[١٦٨] .

فهذه النصوص الكريمة من القرآن الكريم ومن حديث رسول الله e تبين بكل جلاء ووضوح أن تفاوت الناس في معاشهم ورزقهم أمر قدري من الله تعالى، (إن الذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنمو، خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها، وعن هذا التفاوت في الأدوار يتفاوت الرزق)[١٦٩]. والإسلام العظيم بقدر ما هو نظام متكامل شامل للحياة كلها، فهو أيضاً منهج عقدي واضح يغرس في نفوس المسلمين عقيدة التوحيد لله تعالى، ويربيهم عليها اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، ومن ثمَّ فإن المسلم المتربَّى على عقيدة التوحيد تتضح في نفسه قضية الرزق بجميع أبعادها وأجزائها جلية لا غبش فيها، ويجد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه القضية القول الفصل، فينشأ عن ذلك الطمأنينة والأنس بموعود الله تعالى، فتتكامل بذلك نفس المسلم عقدياً وتربوياً، ومن شأن ذلك أن يسهم في وجود المجتمع الإسلامي المتربَّى على هدي القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه القضية، والذي يعيش أفراده في سلام ووئام، فلا تأكل قلوبَهم نيرانُ الأحقاد التي أحرقت ولا زالت تحرق مجتمعات كثيرة لم تسلم لأمر الله تعالى.

---

(١٦٨) أخرجه مسلم في الصحيح ( ١١٥٧/٣ رقم ١٥٢٢). وأول الحديث: " لا يبع حاضر لبادٍ، دعوا الناس...الحديث ".

(١٦٩) في ظلال القرآن (٣١٨٧/٢٥).

والدرس المستفاد عقدياً من حقيقة أن بسط الرزق وقدْره بيد الله تعالى، أن يوقن المسلم بأن أمر الرزق بسطاً وقدْراً بيد الله تعالى وحده، ومن شأن ذلك أن يجعل المسلم يقف على أرض راسخة ثابتة لا تزعزعه رياح الشك من حوله، فيرجع الأمر في تفاوت الناس في أرزاقهم لله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء، فيعيش المسلم بهذا اليقين قانع النفس بما قسم الله له من الرزق فلا تمتد يداه إلى حرامٍ، ولا تهفو نفسه إلى ما عند الآخرين، فيعيش سعيداً برزقه وإن كان قليلاً.

كما يأتي الدرس المستفاد تربوياً يصب في دائرة ما قبله، فالتربية في الإسلام نبع العقيدة في الله. إن المسلم يتربى بحقيقة أن الله تعالى باسط الأرزاق ومضيِّقَها فلا يحقد على غيره ممن بسط الله تعالى له في الرزق، كما أنه لا يطغى حين يبسط له في رزقه، وإنما يبتغي في الحالين السبيل لتربية نفسه على طريق العبودية لله تعالى، وأداء الحق فيما أعطاه ويرى أن رحمة الله سبحانه خير من كل ما يجمعه الناس من حطام الدنيا الفاني، وأن ستر الله جل جلاله وإكرامه ليس في كثرة الرزق، وليست كثرته دليلاً على كرامة صاحبه عند الله تعالى، ومحبته له، كما أن قِلَّته ليستْ دليلاً على

عدم فضل صاحبه وكرامته عند الله سبحانه، فالكرامة والستر وسواهما ليستْ في ذات الرزق الكثير، ولكنها بيد الله تعالى يعطيها من شاء من عباده، ولو كان لا يملك شيئاً من حطام هذه الدنيا الفاني، فكم ممن كُثِّر له في رزقه وبسط له فيه، مفضوح مهان، وكم من مقتر عليه في الرزق مستور مكرم، وعلى ذلك فليس الكمال فيمن بُسِطَ له في رزقه، وبالتالي فليس النقص فيمن قُدِرَ عليه فيه، وإنما هو أمر الله النافذ الذي لا مرد له مصداقاً لقوله تعالى: ¼ ØŠŴŴŴ†ŴŴŴŴŴŠ™ŴŴ ØŠŴŴ-ÀŴ ÁŴŴŴŴŴŴŴŴŴ †ŴŴŴ « [١٧٠] أي قسمنا أرزاقهم فيما بينهم، ولقوله سبحانه: ¼ ŴŴŴŴ†ŴŴŴÀ ŴŴØŠŴŴŴŴŴÀ ẃŴŴŴŴŴŒ « [١٧١] أي في الرزق وسائر ميادين العيش، وذلك ¼ ŴŴŴŴŴŴÀ ŴŴŠØŴÀ µ† S •ŴŴŴ† « [١٧٢] أي ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم، ويسخر الأغنياء بأموالهم الأُجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش، هذا بِمَالِهِ، وهذا بعمله، فيتم قوام العالم لا لكمالٍ في الموسع ولا لنَقْصٍ في المقْتر[١٧٣].

يدرك المسلم اليقظ هذه المعاني وسواها في أمر بسط الرزق وقدْره فيفزع إلى الله تعالى في الحالين يرجو رحمته وستره متعلقاً بما عنده من الخير والفضل، غير

(١٧٠) سورة الزخرف: (٣٢).
(١٧١) سورة الزخرف: (٣٢).
(١٧٢) سورة الزخرف: (٣٢).
(١٧٣) انظر: تنوير الأذهان من تفسير روح البيان لإسماعيل حقي، اختصار الصابوني (١٢/٤).

معتمد على رزقه قلَّ أو كثر، بل اعتماده في أحواله كلها على الله تعالى الذي بيده الخلق والأمر؛ وينشأ عن بسط الرزق وقدْره وجود الغنَى والفقرِ، ووجود أغنياء وفقراء، ولا شك أن الغنىَ والفقرَ في الحياة دليلٌ على قدرة الله تعالى، ونفوذ مشيئته الغالبة القاهرة فيهم.

والمجتمع المسلم يتكامل فيه أغنياؤه وفقراؤه، تكاملاً يتلاقون فيه على بساط الحب والرحمة والاحترام، إيماناً منهم بهدي الإسلام العظيم في تنظيم العلاقة بينهم، وهو هدي يستل من الأغنياء روح الغطرسة والكبر والظلم، والطغيان، كما يستلّ من نفوس الفقراء الحقد، والحسد، والانتقام، فيعيش الجميع في وئام وسلام، وذلك بفضل هدي الإسلام العظيم، وبما جاء فيه من أحكام وتشريعات توضح حقوق وواجبات كل منهم تجاه الآخر، فالحمد لله على نعمة الإسلام العظيمة.

ويتميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات الإنسانية الأخرى: أنه مجتمع يعيش ويحيا وفق هدي الإسلام العظيم، لا وفق الأهواء والنزعات، وعلى ذلك فالغنيُّ في هذا المجتمع غني شاكر، والفقير فيه فقير صابر، وكلاهما يحترم الآخر ويحبه، ولا يحتقره أو يحقد عليه، فلا مكان في هذا المجتمع لما يسمى بـ "حتمية الصراع الطبقي" التي يمكن أن توجد في مجتمعات لا تهتدي بهدي الإسلام، فتكتوي بنيران الأحقاد، والفوضى؛ فقد أذاب هدي الإسلام العظيم في المجتمع المسلم ما يمكن أن يكون موجوداً في النفوس من أثرة، أو حقد، وأحلّ محلها الرحمة، والعطف، والاحترام، ولقد تشكل المجتمع المسلم الأول في المدينة من

أغنياء وفقراء، وكان عثمان بن عفان – رضي الله عنه – من أغنياء ذلك المجتمع، وكانت تُناخ أمام بيته مئات الركائب [١٧٤] ، وقد جهَّز مرة جيشاً كاملاً من ماله في إحدى الغزوات، بينما كان علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهو ابن عم رسول الله e وزوج ابنته يطوي الحجارة على بطنه، ويعطي الطعام حين يتوفر عنده إلى محاويج المسلمين، على حين حاجته هو وزوجته وحبهما لهذا الطعام، ولم يأخذ الرسول e من أموال الأغنياء شيئاً بالقوة ليوزعه على الفقراء، وإنما كان يحث على الصدقة والإحسان، وإذا حان أجل الزكاة المفروضة بعث عمَّاله لجبايتها من الأغنياء حقاً واجباً عليهم أداؤه يقاتلون عليه إن منعوه، فلم يطغ عثمان بن عفان وغيره من الأغنياء من الصحابة – رضي الله عنهم – بأموالهم، ولم يحقد علي بن أبي طالب وغيره من فقراء الصحابة – رضي الله عنهم – بل كان جميعهم على بساط المودة والمحبة والإخاء، يقاتلون عدوهم صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص، ويصُفُّون في صلاتهم يتزاحمون على صفوفها لا فرق بينهم، وهم في مجلس رسول الله e يتلقون العلم لا فرق فيهم بين غني أو فقير، وليس معنى ما تقدم أن الإسلام يدعو الفقراء في المجتمع المسلم لأن يستسلموا للفقر، ولا يجتهدوا في تلمس أسباب الرزق، بل العكس هو الصحيح تماماً فالإسلام يدعو أتباعه للعمل وبذل الجهد والأخذ بالأسباب، وتحسين مستوى الأداء، وينهى عن الكسل وعدم التكسب، ولم يجعل الله تعالى للرزق سبباً واحداً بل نوعها وجعلها

---

(١٧٤) الركاب : الإبل المركوبة، (ج) رُكُبٌ وركائب . المعجم الوسيط (٣٦٨/١).

أسباباً متعددة، حكمة منه ورحمة وقدْراً، ولعل ذلك يؤذن بالحديث عن هذه الأسباب على سبيل التمثيل لا الحصر لأنها كثيرة منها المحسوس، والمعقول، والظاهر، والباطن.

## أسباب الرزق

لقد تعددت وتنوعت أسباب الرزق، رحمة من الله تعالى بالمرزوقين وتيسيراً عليهم، فلم يجعلها سبباً واحداً، قال الغزالي رحمه الله: (فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها، وذلك لأن ظهورَه على الأرض وسبَبَه في السماء، قال الله تعالى: ÜèŠŴêŠ†Ùêÿ ÑÎŠ¦ ŸŠÙ†ÙÒ©ÖŠ@ÃŠÝ¼ »(١٧٥) وأسرار السماء لا يُطَّلَعُ عليها)(١٧٦).

وقد جاءت نصوص كريمة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، تدل على أسباب الرزق وتيسيره، ليعي ذلك المسلم النابه، فيُقْبِل على ربه طاعة له وعبادة، وإنابة إليه، فلا يشغله عن ذلك شاغل، وهو في ذلك آخذ بالأسباب - غير مفرطٍ - أخذاً يدل على المروءة والكرامة والدين والفهم والعقل.

ويمكن فيما يلي الحديث عن بعض تلك الأسباب لا كلها، وذلك هو ما تيسر الوصول إليه، ولربما كان في فرصة أخرى الحديث عنها بصورة أوسع. ومن هذه الأسباب:

١ - **عبادة الله تعالى:** إن عبادة الله تعالى - التي هي ثمرة معرفته وتوحيده - سببٌ واسع من أسباب الرزق بنص قول الله تعالى: ŒÎÙŽŸ†ÙêÝ¼

---

(١٧٥) سورة الذاريات: (٢٢)

(١٧٦) إحياء علوم الدين (٤/٢٧٤).

@ŸÇ]ÛMß, ÜMŒ ,ÆÅÃ ÜeŸ (56) ÚVÜ¬×y ŸÜÚØQÝQ¦ËÜVÚ ×y ŸÜKÜS pÅÜeÜ

(57) ×ÜQ@ÜVÜÍ @ÜEPÜ ÍÜ@ÜSÜ@ÜWÜ•kÜ (58) « ‏(١٧٧)، فالله جل جلاله لم يكلف خلقه رزق أنفسهم، أو رزق غيرهم، ولكنه كلفهم عبادته وتوحيده، وهو سبحانه متكفل برزقهم.

إن هذا النص القرآني الكريم يوضح حقيقة كبرى من حقائق الوجود والخلق: وهي أن الجن والإنس قد خلقوا لغاية عظمى، هي عبادة الله تعالى، وهذه الغاية (لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها، واستيقانها سواء كانت حياة فرد أم جماعة، أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها)(١٧٨).

ولما كان الرزق هو الشيء الذي لا يختلف على الاهتمام به اثنان من الناس، فهو محور ارتكاز اهتمامهم جميعاً، جاء هذا القول الكريم من كلام ربنا عز وجل في كتابه المعجز حاسماً وقاطعاً بتكفل الله تعالى برزق خلقه؛ لأنه ربما سأل سائل: إذا كان الجن والإنس قد خلقوا لعبادة الله تعالى، فكيف يكون رزقهم الذي به قوام حياتهم؟ فجاء قول الله تعالى مبيناً كفايته سبحانه في أمر الرزق لمن عبده، ولم ينشغل عنه بشيء سواه، فالذي له حق العبادة هو القادر على كفاية خلقه برزقهم. فالله تعالى هو الخلاَّق الرزَّاق لا غيره، ولقد كانت لقمة العيش في عصور غابرة - ولا زالت - سبباً لإذلال كثير من الناس،

---

(١٧٧) سورة الذاريات: (٥٦ إلى ٥٨).

(١٧٨) في ظلال القرآن، (٣٣٨٦/٢٧-٣٣٨٧).

واستعبادهم من طرف الجبابرة والظالمين، فالله تعالى حرر عباده المؤمنين من العبودية والذل لغيره، فجعل عبادتهم له، وتكفل برزقهم؛ لأنه جل جلاله هو الرزاق ذو القوة المتين، فمن أبصر هذه الحقيقة وسار على هديها، رأى آثارها في حياته: تيسيراً في الرزق، وعزةً وكرامةً في النفس، وراحة في الضمير، ومن عمي عنها فسيلقى آثار ذلك: تعاسة ومذلة للآخرين، وعسراً في حياته ورزقه، والله المستعان.

فدل ذلك بوضوح على أن عبادة الله تعالى من أسباب الرزق الواسعة (وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: (ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب. فاطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء)[١٧٩]. والعاقل هو الذي لا يجعل الوسائل غايات، أو الغايات وسائل، بل يعطي للوسائل قدرها وللغايات حقها، وما ينبغي لها من الاهتمام والاغتمام والجد والعمل؛ أما كيف تكون عبادة الله تعالى من أسباب الرزق الواسعة؟ فذلك أمر يحتاج إلى فقه في حركة الحياة سابقاً وحاضراً، ومعرفة واسعة لمدى ارتباط القيم الإيمانية بالحياة، وتأثيرها في هذه الحياة تأثيراً مباشراً، وإلى جهد مبذول لا يتوقف في تربية النفس على طريق الإيمان بالله تعالى، والعبودية له سبحانه، لتبصر النفس عندئذ حقائق القرآن مرتبطة بحقائق الوجود، وليس معنى العبادة هو فقط أداء شعائر الإسلام

(١٧٩) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٨).

الظاهرة، ولكنه بالإضافة إلى ذلك تحقيق معنى العبودية الشامل لله تعالى في شتى مظاهر الحياة، إذ ليس في الكون كله إلاَّ إله يعبد، وما سواه عبيد له، فيجب له سبحانه كمال الذل والخضوع مع كمال الحب، ومن شأن ذلك أن يفجر في نفس العابد الطاقات والإمكانات المبدعة، فيتحرك نحو أهدافه بخطى ثابتة غير مضطربة، متلمساً أسباب الرزق، مستعيناً بالله تعالى، وذلك مدعاة لتيسير الرزق بإذن الله سبحانه، والناس يخطئون خطأً كبيراً حين يُرجعون الأسباب في زيادة الأرزاق إلى غير مسببها وهو الله جل جلاله، فهو سبحانه وتعالى (قد أمر العبد بأمر وضمن له ضماناً، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد، قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر، وقضاء الحوائج، فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده، والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همه ومراده)[١٨٠].

٢ - **إقامة الصلاة:** والصلاة هي تلك الفريضة الشريفة العظيمة التي جعلها الله تبارك وتعالى صلةً بينه وبين عبده المصلي، حيث يُفيض عليه من عطاياه وأفضاله مالا يعلمه إلاَّ هو سبحانه، والمصلي يقف بين يدي ربه في اليوم والليلة خمس مرات يناجيه، ضارعاً، ويدعوه طالباً، ويستغيث به راجياً، والله تعالى رحيم كريم يستجيب لعبده المصلي فيرحم تضرعه، واستغاثته فيَسُدُّ خَلَّته وفقره، ويقضي حاجته، ويجبر كسره، ويستر عواره، ويعافي بلواه، ويشفي أمراضه، ويعافيه

(١٨٠) الفوائد لابن القيم (١٦٨).

ظاهراً وباطناً، فالعبد المصلي هو خلق من خلق الله تعالى، وصنعته، وحين تقف الصنعة أمام صانعها خمس مرات في اليوم والليلة، فإنه لا يترك فيها خللاً، أو نقصاً إلاَّ وقد أصلحه. والعبد المصلي يتعرض لنفحات الله تعالى وعطاياه، ويطرق بصلاته أبواب رحمته وفضله وإحسانه، وقَمِنٌ بمن أدام قَرْع هذه الأبواب أن يلجها، فالصلاة بهذه المعاني وسواها باب واسع من أبواب الرزق، وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن الصلاة من أبواب الرزق الواسعة. قال الله تعالى: ¼ ÉÚÉKÆV

äVMÁÀV@ÁÐ ÎŞŞÉTWÅŠ™ÑV †Î_ÎþŸ ÁÐ ŠÛÅÕ VV‚V†ÃVÃVÊ^ÈV¼Vþ ‚@ÁÐÂÉÃÏVÁÖ@ÁÐ ÚVÅK

ÚVÍ TÛŠÝ üu »(١٨١). قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: ¼ VV‚ŠÛÅÕ ÁÐ ŸþÎ_Î†

ÑV™ŠÅWTÉŞŞÎ ÁÐ « يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما

قال الله تعالى: ¼VÚÝÙVÂX@ÈVÈ ÁÐÂÔÕÆ Ì‚Š_—† (٢) VŠÚşŠ ÝÝV~ ÕV‚,

ÑVÁ© ñ »(١٨٢) وقال تعالى: ¼VÉÚ† VÞÛÎ ÈÆ@Ê ÝÐÆÂÆ@ÂÅ ,ß ÝÁÆ‚ ,WÁ‚ŠŠ ÈÉÜ (٥٦)

ÚV†ÃKÅ ÝŠÝ ŸÐÖÝ ¦ ËVÈÚ†ÃKŠÝ ŞÝ‚ŠÉÜ (٥٧) ÎÕÂÆ ŠÂÅ@ ÈÆŠ…Ë ŠÈ@ÈÆÅÝ

@ÊÈÆÄ Ú (٥٨) »(١٨٣). ولهذا قال:¼VV‚ŠÛÅÕ ÁÐ ŸþÎ_Î† ÑV™ŠÅWTÉŞŞÎ ÁÐ « وقال

---

(١٨١) سورة طه: (١٣٢).

(١٨٢) سورة الطلاق: (٢، ٣)

(١٨٣) سورة الذاريات: (٥٦ - ٥٨).

الثوري:¼W‚ óWS ð Yp̲Î† « أي لا نكلفك الطلب) [١٨٤]. قال القرطبي: ( قوله تعالى: ¼W‚ óWS ð Yp̲Î† « أي لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم، فكان عليه السلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة ) [١٨٥]، وكان e إذا أصابت أهله خصاصة قال:« قوموا إلى الصلاة » [١٨٦]، وكان الأنبياء - عليهم السلام - إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة [١٨٧].

وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل، فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلاَّ ما كتب الله لك[١٨٨].

وذكر صاحب تفسير التحرير والتنوير - رحمه الله – أن من آثار العمل بهذه الآية في السنة ما جاء في صحيح البخاري عن علي : أن فاطمة عليه السلام شكت ما تلقى في يدها من الرحا، فأتى النبي e سبي، فانطلقت فلم

---

(١٨٤) تفسير ابن كثير (١٧١/٣).

(١٨٥) تفسير القرطبي (٢٦٣/١١).

(١٨٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧٢/١ رقم ٨٨٦) من حديث عبد الله بن سلام، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧/٧): "رجاله ثقات". وأعله العراقي في المغني (١١٢٤/٢) بالانقطاع في إسناده.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤٢ برقم ١٣٥٩٣) عن ثابت البناني مرسلا.

(١٨٧) أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٤٣/٧ برقم ١٣٥٩٧) عن ثابت البناني موقوفا .

(١٨٨) الإحياء (٢٤٥/٤).

تحده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي e ، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي e ، إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم فقال: « على مكانكما » فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال:« ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني ، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم » [١٨٩].

ومن الدلالات الظاهرة في القرآن على أن إقامة الصلاة من أبواب الرزق الواسعة: مجيء ذكر إقام الصلاة مقترناً بإيتاء الزكاة، بياناً بأن من أقام الصلاة فهو مبشَّر بتيسير رزقه حتى يصبح ممن يدفعون الزكاة، وفضل الله واسع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إقام الصلاة - وليس أداءها- هو الباب الواسع من أبواب الرزق، ولا شك أن ثمة فرقاً كبيراً بين إقام الصلاة وبين أدائها، وإقام الصلاة من أشرف العبادات عند الله تعالى، فهي الركن الثاني بعد الشهادتين، وهي التي تدل على إسلام العبد وإيمانه، وهي ميدان تكرم فيه نفس المصلي بين يدي الله بكثرة مناجاته والسجود له سبحانه، ومن كرمت نفسه بالصلاة نتج عن ذلك كرم يديه بالبذل والعطاء. قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ŴÿŸŴ@¼ ÝŸ~ÙèÛ@Ö ÂÛâÖwÜÛ ÝVß ÛÖ ÝVÙÏÖÕÝV ØÖÚÝÔÿÝWÙ « [١٩٠] وقال سبحانه: ¼ŴÎŸKÊŴþŴV

---

(١٨٩) انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٢/١٦) ، والحديث في صحيح البخاري : (١٣٥٨/٣ رقم ٣٥٠٢ ).

(١٩٠) سورة الأنفال: (٣).

ôMs@ ÙÙ¼èÙ (١) ÚúïÏ%©!$# öNèd ’Îû öNÍkÍEŸx|¹ tbqãèÏ±»yz (٢) tûïÏ%©!$#ur öNèd Ç`tã Ä÷qò¯=9$# šcqàÊÌ÷èãB (٣) tûïÏ%©!$#ur öNèd Ío4qx.¨=Ï9 tbqè=Ïè»sù (٤) » [١٩١] وقــال جــل مــن

قائـل: ¨bÎ) z`»|¡SM}$# t,Î=äz %·æqè=yd (١٩) #sŒÎ) çm¡¡tB •¤³9$# $Yãrâ“y_ (٢٠) #sŒÎ)ur çm¡¡tB çŽöy‚ø9$# $¸ãqãZtB (٢١) žwÎ) tû,Íj#|ÁßJø9$# (٢٢) tûïÏ%©!$# öNèd 4’n?tã öNÍkÍEŸx|¹ tbqßJÍ¬!#yŠ (٢٣) » [١٩٢] وإذا

كان إقام الصلاة من أبواب الرزق الواسعة، فإن ذلك يعني أنها رافد اقتصادي في غاية الأهمية، وذلك أمر يدلك على حياة المجتمعات التي تقيم الصلاة مقارنة بغيرها ممن لا يقيمها.

٣ - **تقوى الله عز وجل:** والتقوى هي العز بلا عشيرة، والغنى بلا مال، والنصر بلا عون من البشر، والسؤدد والرفعة بلا قوة، والمعرفة بلا علم، وهي سفينة النجاة في كل طوفان، وهي سبيل الفوز في الدنيا والآخرة، وهي دليل المؤمنين على كل حال، فما اتقى الله تعالى إلاَّ مؤمن. قال الله تعالى: $pkšr'¯»tƒ tûïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#qà)®?$# ©!$# (#qçRqä.ur yìtB tûüÏ%Ï‰»¢Á9$# (١١٩) » [١٩٣] ومن اتقى الله تعالى جعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همٍّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، قــال الله تعــالى: `tBur È,Gtƒ ©!$# @yèøgs† ¼ã&©! %[`tøƒxC (٢) çmø%ã—ötƒur ô`ÏB ß]ø‹ym Ÿw Ü=Å¡tFøts†

---

[١٩١] سورة المؤمنون: (١ - ٤)

[١٩٢] سورة المعارج (١٩ - ٢٣).

[١٩٣] سورة التوبة: (١١٩).

ñ ©VMn,W÷ ¨T8V «[١٩٤]، وقد بينت هذه الآية الكريمة تكفل الله تعالى برزق المتقي من عباده في كل وقت وحين، وذلك دليل على شرف التقوى وشأنها عند الله تعالى.

والإنسان يخطئ كثيراً حين يفسِّر الرزق بأنه الكماليات والرغد في حياة المتقي، فالله تعالى" لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة ورغيد الحياة ونعيمها، فإنه سبحانه وتعالى ما ضمن إلاَّ الرزق الذي تدوم به حياته، وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن إلى ضمانه"[١٩٥]، والتقوى شاملة لمعاني الخير كلها في الإنسان ظاهراً وباطناً، فالصبر على الحلال القليل من التقوى، قال الزجاج في تفسيره للآية:" أي إذا اتقى وآثر الحلال وتصبَّر على أهله فتح الله عليه إن كان ذا ضيقة، ورزقه من حيث لا يحتسب" [١٩٦]، وفسر ابن عيينة الرزق في الآية بأنه البركة فيه[١٩٧]. والآية الكريمة تشمل المخرج من كل شدة وضيق ظاهراً وباطناً، وتشمل الرزق بما يفسر به ظاهراً وباطناً.

٤ - **الاستغفار:** جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تدل على أن الاستغفار من أسباب الرزق، وذلك دليل على أهميته وشأنه عند الله تعالى، وهو

---

(١٩٤) سورة الطلاق: (٢،٣).

(١٩٥) الإحياء للغزالي (٢٧٤/٤).

(١٩٦) تفسير القرطبي (١٦١/١٨).

(١٩٧) نفس المصدر.

ديدن الملائكة الكرام، ورسل الله جميعاً - عليهم الصلاة والسلام -، والصالحين من عباد الله تعالى في كل زمان ومكان[١٩٨]، وهو يعني طلب المغفرة من الله تعالى،قـال الله تعـالى: @ Ÿ¼ ÷ƒ¤ À ÑÕ É Œ ØŠ Ò Ñ ÍØ ÎœÝ ÷ƒ† û ƒ f WŠ É ¤ ( ) S ÝŸ ÝÝ ( ) ¤ ¾WÝ ÝŸÕ ý Ñ ¯ ÝŠŸ ÝŒ Ýà ÑÝ÷ƒ @ » ( )[١٩٩]، فهـذه الآيـات الكريمـة تـدل علـى أن الاستغفار سببٌ لحصول الأرزاق الوفيرة والخيرات الكثيرة: من مطر متواصل مدرار نافع غير ضار، ومن الأسباب - للتمكين في الأرض بالأموال والبنين- ممَّا جعله الله تعالى من أسباب القوة والظهور، ومن جعل الأرض خضراء بالمطر جميلة، فيها جنات كثيرة وبساتين تروق للناظرين وتسرهم تجري فيها الأنهار من كل مكان، وذلك كله دليل على الخيرات الوفيرة، والأرزاق الكثيرة، واللحظات الجميلة. ولا شك أنه حين يوجد الخير الوفير والرزق الكثير، ويوجد في ذات الوقت الرجال الذين يحافظون على ذلك ويحمونه، فإن ذلك حين تحققه دليل على جمال الحياة، وقوتها. قال القرطبي مفسِّراً لهذه الآيات بأنها:"دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى

---

(١٩٨) قال الثوري: سمعت بعض الصالحين من أصحابنا يدعو في جوف الليل وينتحب: اللهمّ إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك، ونالته يدي بفضل نعمتك، وانبسطت إليه بسعة رزقك، واحتجبت به عن الناس بسترك، واتكلت فيه على أناتك وحلمك، وعولت فيه على كريم عفوك".
أخرجه الدينوري في المجالسة (٣/٦٤ رقم ٦٧٥).

(١٩٩) سورة نوح: (١٠ - ١٢).

رجع، فأمطروا،فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال:لقد طلبت المطر بمجاديح[(٢٠٠)] السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ ... ﴾ «[(٢٠١)] وليس معنى الاستغفار المقصود والمطلوب هو ترديد الاستغفار قولاً باللسان فقط، ولا حقيقة له بالجنان. قال بعض الصالحين: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين[(٢٠٢)]، بل الاستغفار المطلوب هو ما كان ترجمة صادقة باللسان عما استقر في القلب، والاستغفار بهذا مظهر من مظاهر العبودية لله تعالى، والافتقار إليه سبحانه.

شكا رجلٌ إلى الحسن جدب بستانه، فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله[(٢٠٣)]. وفي هذا دليل بالغ على مدى إدراك سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - لأهمية الاستغفار وشأنه عند الله تعالى، وأنه سبب من أسباب الرزق، وهذا الفهم منهم - رضي الله عنهم - قائم بناء على ما جاء في كتاب الله

---

(٢٠٠) المجاديح واحدها مجْدَح وهو: نجم من النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مشبهاً بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولا بالأنواء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٤٣/١.

(٢٠١) سورة نوح: (١٠-١١)، وانظر تفسير القرطبي (٣٠٢/١٨).

(٢٠٢) تفسير القرطبي (٣/٩).

(٢٠٣) المصدر السابق (٣٠٢/١٨).

تعالى، وسنة رسوله e قال e :« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب» [٢٠٤]. ولا شك أن الأمة حين تدخل باب الاستغفار فإنها بذلك تقف على طريق العبودية لله تعالى والإنابة إليه، وذلك سبيل واسع إلى الخيرات والبركات، والقوة والتمكين، والحياة الطيبة الجميلة التي يحس فيها المؤمنون بمظاهر الكرامة والسعادة، ويحفظ فيها لكل ذي قدر قدره، ولكل ذي إبداع وجهد ثمرة إبداعه وجهده، فلا يحصد فيها لئيم ثمرة جهد كريم، ولا يتحكم فيها اللؤماء في رقاب ومصير الكرماء. قال الله تعالى: ¼

øÙØÁÕ ûfT–Kw ø ÙAKI†[ÞØS/V †[ÅHWQ/VØÑÂRÙS ǎ ÙAKIÍŠéŠ ØR ỳÑÏQVÑèÉÝpÅVýpª @ÕKIV

» ÞKÌÒ xéÎWÂ‡ ÝWV ỳÑ`ÎØEVÇ †ÝKõ ÞÑÊVµÎÎØÆVÛNM ãÑµ ÊVÕµ ÊV÷ ÝÕÎR g èÝÈV

[٢٠٥].

٥ - **الشكر لله تعالى:** من أُعطي الشكر فقد أُعطي الزيادة بنص قوله تعالى: ¼ ÞÑKV¢ÑØV û ÝÕØÑŠÕVf ÝÑVÝ ỳŠÞÎÑV ÎÞWÝXÑ ØS| « [٢٠٦] فالشكر بهذا باب الزيادة الواسع ومقام الشكر وشأنه عظيم عند الله تعالى، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (ولما عرف إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات

---

(٢٠٤) أخرجه أبوداود في السنن (١٧٨/٢ رقم ١٥١٨). وانظر جامع الأصول (٣٨٩/٤).

(٢٠٥) سورة هود: (٣).

(٢٠٦) سورة إبراهيم: (٧).

وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقـال: ¼ ÞΪ̈ΎϤΏ˵ η˴ΧϮ˴Ϥ˴ϳ ϢϬϳΪϳ΄ϗ

fÛ ϳ̈ΪΎΟϡϬϛΛ˸ϙ˴Ζ˶Ύ ϡϬϴΘϨ̈ϟΓ˶Ϭ˶ϫΎϨ̈ϳ˴ϝΎ˴ϗ ˸Ϣϫ˶ή˴ΜϛΘΎ ΪΠ˶Ϙ˴Ϡ˶ϋ ϻ˴ϳ˴ϭ

« (٢٠٧) ) (٢٠٨)، و لِعِظَم مقام الشكر فقد أخبر الله تعالى أنه إنما يعبده من

شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته(٢٠٩) فقال: ¼ Ü˸ϢΘϨ˵ϛ ˸ϥ˶·˶ Ϫ˶ Ϙ͉ ˴ϟ ˸Ϊ˵Ϝ˸ η˸ϭ˵

.(٢١٠) » fû è˴ϥϭ˵Ϊ˵Β˸ό˴ Η˴ ϩ˵Ύ͉ϳ˶·

وقابل القرآن بين الشكر والكفر(٢١١)، قال تعالى: ¼ †Ϋ˶·˶ ϭ˴ϥ˴ΫΎ˴ΗΩ˴Ύ˴ϛϝ˵

، وقـال سبحانه: ¼ ή˵Ϝ˸ η˸ϡ˴ ˴ ϥ˸ϭ˴Ω˶ϒ˴ Ϙ˸ϴ˶Ϡ˴ Ϝ˸ ϟ˸˶ ˸ ϡ˸Ϗ˴ϝ˵Ύ˴ϗ ϝ˴ ˸Ϧ˴ϣ˴ ϭ˴ ήϔ˴ ˸Ϗ˴ (٢١٢) »

Ϫ˶ δ˸ϔ˴ Ϩ˴ ϟ˸ ή˸Ϝ˵ ˸ η˸ϳ˴ Ύ˴Ϥ͉Ϩ˶·˴ ϑ˴ ˸ή˴Ϝ˴ η˴ ˸Ϧ˴ϣ˴ ϭ˴ ˸Ϣ˴ϛ˴ ˸Ϗ˴ ϝ˶ ϴ˶Ϡ˴ Ϝ˸ϟ˴ Ϫ˵Ϩ˸ϋ˴ ϲ˶Ϩ˶ϐ˴ ϰ˴Ϙ˴ϟ ˶ Ύ˴ ˴ ϥ͉ ϥ˶·

.(٢١٣) » ˸Ϣ˵Ϝ˴ ϟ˴ Ϫ˵ ˴Ϗ˸ ή˸ϳ˴

"وكثرة الآيات تدل على ما أعارته حكمة التنزيل لهذا الموضوع من اهتمام، كما هو المتبادر. والمتبادر أن إيجاب شكر الله على الإنسان وعلى المسلم

---

(٢٠٧) سورة الأعراف: (١٧).

(٢٠٨) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (١١٧).

(٢٠٩) نفس المصدر ص (١١٨).

(٢١٠) سورة البقرة: (١٧٢).

(٢١١) عدة الصابرين: (١١٧).

(٢١٢) سورة النمل: (٤٠).

(٢١٣) سورة الزمر: (٧).

من باب أولى على ما أنعمه عليه من نعمه المتنوعة، ينطوي على جعله يستشعر بواجبه نحو ربه فيتقيه بصالح العمل واجتناب سيئه حتى تدوم عليه نعمه، وينطوي في هذا بالتبعية قصد إصلاحه، وصلاح أخلاقه الشخصية" [٢١٤].

ومما يُشاهد في حياة الناس أن من كثر شكره لله تعالى - مقالاً وحالاً وفعلاً - كثر عطاء الله تعالى له. وقول الله تعالى: ÝÑØÑÕÑf û ÆÑÅÑÑ¼ ØS| ÆÑÝÑ ýÅÑÕÑ « [٢١٥] نص في أن الشكر سبب المزيد[٢١٦]، قال ابن القيم - رحمه الله -: "ولهذا كانوا يسمون الشكر (الحافظ)؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، و(الجالب)؛ لأنه يجلب النعم المفقودة " [٢١٧] ، ونقل ابن القيم عن ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال لرجل من همذان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[٢١٨]. وهذا كلام دقيق جميل نابع من التمكن في الفقه في كتاب الله تعالى والبصيرة فيه. والإنسان الشاكر: هو إنسان يظهر نعمة من أحسن إليه، ولا يجحدها، فهو إنسان كريم

(٢١٤) الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة لمحمد عزة دروزة (٣٦٨/٢).

(٢١٥) سورة إبراهيم: ( ٧ ).

(٢١٦) تفسير القرطبي (٣٤٢/٩).

(٢١٧) عدة الصابرين: (١٢٠).

(٢١٨) نفس المصدر: (١٢٠).

العواطف نبيل المشاعر، طيب النفس، تجيش مشاعره لأقل معروف فيتأثر به، ولا ينساه وإن طال الزمن، أما الجَحُود فهو كالأرض القاسية التي لا يؤثر فيها سقيها بالماء مهما كان كثيراً، فعواطفه جافة ومشاعره متحجرة، وأحاسيسه متبلدة، ونفسه لا تطيب بالمعروف، فهي نفس حاقدة أنانية لا تعرف إلاَّ ما يتصل بمصلحتها وحسب، حتى الرد على تحية الإسلام لا تقوم به، فهي نفس كفورة جحودة لكل معروف ونعمة، وليس ذلك – بحال – من أخلاق وصفات المسلم، بل إن ذلك من أخلاق وصفات الكافر. قال الله تعالى: ¼ÙWÚÝ¯Ùp |S'ÚMÎNÞWÙ† ÙWpÑ¯SÚWÉp®Y-ÙWÚÝ ÝÚWÉÞÎ@ÙWÚ3WÝ¯Q@ÝVSÙ`~Ù (١٢) «[219] وقال رسول الله e : « من أُعطي عطاء فوجد فليَجْزِ به، ومن لم يجد فلْيُثْنِ، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر» [220]، ومما تجدر الإشارة إليه أن الشكر يكون بالأبدان أيضا، ولذلك فهو يتعلق بهذه الثلاثة[221] ''فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه'' [222].

وإذا ذكر الشكر فإن الحمد يذكر في الذهن معه، والعكس صحيح،

---

(٢١٩) سورة لقمان: (١٢).

(٢٢٠) أخرجه أبوداود في السنن (١٥٨/٥ رقم ٤٨١٣)، والترمذي في السنن (٣٣٢/٤ رقم ٢٠٣٤) واللفظ له. وحسن إسناده محقق جامع الأصول (٣٣٢/٢).

(٢٢١) عدة الصابرين: (١٤٩، ١٥٠).

(٢٢٢) نفس المصدر : (١٤٩، ١٥٠).

فبينهما عموم وخصوص، فـ ( الشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال، وسبب الحمد أعم من سبب الشكر، ومتعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد، فما يحمد الرب تعالى عليه أعم مما يشكر عليه، فإنه يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه، ويشكر على نعمه، وما يحمد به أخص مما يشكر به، فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح، ويحمد بالقلب واللسان)[٢٢٣].

٦ - **الصلاة على رسول الله e** : روى الترمذي عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال:« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع ؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك » [٢٢٤].

ولا شك أن الصلاة على رسول الله e سببٌ لحصول خيري الدنيا

---

(٢٢٣) نفس المصدر : ١٥٠.

(٢٢٤) سنن الترمذي (٦٣٦/٤ رقم ٢٤٥٧ ) وقال: حديث حسن صحيح.
ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢١/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.
وروى الإمام أحمد في مسنده (١٣٦/٥) الجملة الأخيرة منه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٠/١٠) : رواه أحمد وإسناده جيد.

والآخرة، والتوفيق إليها دليلٌ على الهداية والخير والصلاح، قال ابن القيم - رحمه الله - مبيناً ثمرة وخيرية الصلاة على رسول الله e : " إنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله، وعمره، وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داع ربَّه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه" (٢٢٥)، كما بَيَّن رحمه الله تعالى أن الصلاة على رسول الله e تزيد في الرزق؛ لأنّها شكر لله تعالى، والشكر يزيد في الرزق، وهي أداء لأقل القليل من حقه، وشكر الله على نعمته.

٧ - **صلة الرحم:** والمقصود بالرحم القرابة التي تأتي عن طريق الآباء والأمهات.

وصلة الرحم هي: الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال، وبذل الأموال. ويأتي بذل الأموال غالباً مع صلة الرحم، سواء في شكل مساعدات أو هدايا أو غير ذلك، مما تستدعيه أحوال الأرحام، ولذلك جاءت البشرى على لسان المصطفى e بالتوسعة على الواصل لرحمه في الرزق، والزيادة في العمر، فقال e : « من سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، وأن يُنْسَأ (٢٢٦) له في أثره، فليصل رَحِمَه » (٢٢٧)، وهذا حديث عظيم يدل على فضل وشأن صلة الرحم وأثرها

---

(٢٢٥) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمدٍ خير الأنام (٤٤٧).

(٢٢٦) نَسَأ (الشيءَ) ينسَأُ نَسْئًا: أخَّره، ويقال: نسأ الله في أجله . المعجم الوسيط (٩١٦/٢).

(٢٢٧) أخرجه البخاري في الصحيح ( ٥/ ٢٢٣٢ رقم ٥٦٣٩) من حديث أبي هريرة، و في (٧٢٨/٢ رقم ١٩٦١) من حديث أنس بن مالك )، و مسلم في الصحيح ( ١٩٨٢/٤رقم ٢٥٥٧) من حديث أنس . وانظر: فتح الباري (٤١٥/١٠ - ٤١٦) فقد استوفى ابن حجر أحاديث الباب وذكر طرقها.

الفاعل في حياة صاحبها. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: " من ضمن لي واحدة ضمنت له أربعاً: من وصل رحمه: طال عمره، وأحبه أهله، ووُسِّعَ له في رزقه، ودخل في رحمة ربه" (٢٢٨). وقال ابن أبي جمرة: "تكون صلة الرحم بالمال، وبالعَوْن على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء. والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة" (٢٢٩).

والناس في عالم اليوم فرَّقت المادة بين كثير منهم، فقطعوا بسببها أرحامهم، ولو حاول المرء التأمل بجلاء في أسباب ذلك - والأسباب متعددة - لظهر له أن حب الدنيا والمال يأتي في مقدمة الأسباب، بل إنه يكاد يكون سبباً رئيساً، والمسلم النابه الذي نوَّر الله بصيرته لا يقطع رحمه من أجل دنيا، أو مال، بل يصل رحمه لأنه بذلك يصل ما أمر الله تعالى ورسوله e أن يوصل، فهو يتعبد الله بهذه الصلة، ومن أجل ذلك فهو يتسامى عن السفاسف ومحقرات الأشياء، ويحمل نفسه على ما لا تحبه أحياناً عبودية لله تعالى وطاعة ومحبة له سبحانه، فالدنيا والمال وسواهما مما يتعلق بهما هي أشياء زائلة، وهي ليست غاية المسلم، بل غايته وهدفه مرضاة الله تعالى، ومرضاة رسوله e ولذلك فإن المسلم يَصِلُ رحمه ولا يقطعها؛ لأنه يعلم قبل غيره أن من آثار قطعها الإفساد في

(٢٢٨) بر الوالدين لأبي بكر الطرطوشي (١٧٤). وانظر: فتح الباري (١٠/٤١٥- ٤١٦).

(٢٢٩) فتح الباري (١٠/٤١٨).

الأرض، مما يترتب عليه الطرد من رحمة الله تعالى، والحرمان من نور هدايته وهو يدرك معنى قول الله تعالى: ¼ ÑŠ©ŠäÚÿ... X³
ØÑÚ... » (٢٣٠).

قال ابن كثير في تفسيره: (وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال) (٢٣١)، وذلك مَعْلَم من معالم الحياة الاجتماعية وأصولها في الإسلام، وخصوصية هذه الحياة، وأنها حياة تقوم على شرع الله القويم المستمد من كتابه وسنة نبيه محمد e ، وبالتالي فهي حياة لا تستمد أصولها ومقوماتها من الشرق أو الغرب، وعلى المسلم النابه إدراك هذه الحقيقة وتبصرها والاعتزاز بها، خاصة وهو يعيش في عالم مفتون بالحياة الغربية التي تقطعت فيها الصلات بين الأرحام، كما فسدت فيها أنواع الصلات الإنسانية، وأصبحت المادة هي كل شيء في تلك الحياة، والإنسان فيها يركض وراء المادة ركض البهيم الجائع وراء طعامه، لا يهمه شيء إلاَّ إشباع نهمه وغرائزه.

٨ - **مباشرة الأسباب:** إن الحركة ومباشرة الأسباب من العوامل التي جعل الله تعالى من أسباب الرزق، فلا ينبغي لعاقل أن يقعد في بيته خاملاً متكاسلاً

(٢٣٠) سورة محمد: (٢٢).

(٢٣١) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤).

يُمَنِّي النفسَ بالأماني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الفرص لا تمر بديار الكسالى والخاملين، إن الابتغاء من فضل الله تعالى بالحركة والسعي ومباشرة الأسباب لهو شيء مطلوب مرغوب في دين الإسلام. قال الله تعالى: ¼

-ãÝ¡ÇÝÚ NéŠ{ èV†ãÝ†ÜWÁ NéS Ú†ÊV,•éŠV ð³ ¤Ķ@ØÑÜV ÛÅV ÷ ÝÇ@ØŜ

ŠéSÑ@Ý`ÛV « [٢٣٢] وهذا القول الكريم واضح لا لبس فيه، فهو أمرٌ صريح من الله تعالى بتلمس أسباب الرزق بالسير في مناكب الأرض، وجاء الأمر الكريم في الآية بالمشي في مناكب الأرض مقدماً على الأمر بالأكل من رزق الله تعالى دليلاً على أن الرزق ييسره الله سبحانه بالحركة ومباشرة الأسباب، والرزق في الآية الكريمة " أوسع مدلولاً مما يتبادر إلى أذهان الناس من كلمة الرزق، فليس هو المال الذي يجده أحدهم في يده ليحصل به على حاجياته ومتاعه، إنما هو كل ما أودعه الله هذه الأرض من أسباب الرزق ومكوناته"[٢٣٣].

٩ - **الإنفاق في سبيل الله تعالى:** ولما كان الشح غريزة في الإنسان، فقد كان دائماً يبحث عن المردود المقابل لما يعطيه، وينفقه. وجاء الإسلام العظيم يهذب من غريزة الشح في الإنسان ولا يتركها تطغى حتى تهلكه، وجاء الوعد الإلهي الكريم في القرآن العظيم للمنْفِقين بالإخلاف عليهم بالزيادة لهم في أموالهم وحصول البركة فيها، وبوعدهم بالثواب العظيم لهم في الآخرة حتى يقبلوا على الإنفاق في سبيل الله، وتطيب نفوسهم بذلك، ومن شأن ذلك أن يجعلهم

(٢٣٢) سورة الملك: (١٥).

(٢٣٣) في ظلال القرآن (٣٦٣٨/٢٨).

مسارعين بالإنفاق في سبيل الله غير بخلاء بأموالهم، ولا شك أن المال أثير عند الإنسان، فهو يحبه حباً شديداً كما أخبر الله تعالى بذلك في قوله سبحانه: ¼ ÿ×ŸWWx×W...S™Ÿ I5Wé½ » (٢٣٤) ، وفي قوله جل جلاله: ¼ W¾™Ÿ... f û é@ÙW†Q W ÚW†W ... « (٢٣٥). وقد بين الله سبحانه في كتابه الكريم أن الناس لو سألهم الله - وهو خالقهم — أموالهم، وألحف عليهم في السؤال لبخلوا بذلك، ولخرجت ضغائنهم، قال تعالى: ¼ ... (٣٦) ... (٣٧) » (٢٣٦)، وإذا كان هذا من الناس مع خالقهم ورازقهم لو سألهم أموالهم، فكيف يكون حالهم مع غيرهم من بني الإنسان؟!! ولذلك فقد راعى الإسلام العظيم في الإنسان حبه للمال، فجاءت آيات كريمة في القرآن الكريم تحث على الإنفاق، وجاء الوعد الإلهي للمنْفِقين بالمغفرة والرحمة والسعة، والإخلاف بالزيادة والخير العميم، قال تعالى : ¼ ... f û é... » (٢٣٧)، وقال

---

(٢٣٤) سورة العاديات: (٨).

(٢٣٥) سورة الفجر: (٢٠).

(٢٣٦) سورة محمد: (٣٦-٣٧).

(٢٣٧) سورة البقرة: آية (٢٦٢).

سبحانه: « [٢٣٨]، وقال جل من قائل: « [٢٣٩]، وقال عز من قائل: « [٢٤٠] وغير ذلك من آيات كريمة كثيرة، وهو أمرٌ يدل على شأن الإنفاق في سبيل الله، ولذلك جاء حديث القرآن عنه شاملاً كاملاً واضحاً في أحواله المختلفة، كما بين القرآن دقائق هذا الموضوع وأصوله وفروعه وكثيراً من متعلقاته، فالرجوع إلى القرآن الكريم في هذا الموضوع سيكشف عن سمات المنهج القرآني الفريد المتميز، فيما يهدف إليه من أهداف قريبة وبعيدة، خاصة وعامة في العاجل والآجل، وبما يعود على المنفقين من آثار ذلك كله بالخير العميم في شتى مظاهره؛ كما بيَّن القرآن الكريم آثار البخل الوخيمة التي تعود على البخيل في عاجله وآجله،

وشتى مظاهر حياته. قال تعالى:

---

(٢٣٨) سورة سبأ: (٣٩).

(٢٣٩) سورة البقرة: (٢٦١).

(٢٤٠) سورة الأنفال: (٦٠).

†‏ﭑ~‏ﰡﭐ » [٢٤١] وقال سبحانه: ¼ ‏ﭩﭨ Ý Ú ﭑﭒ ﭓ ﭔ ﭕ (٨) ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ

ﭚ ﭛ (٩) ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ (١٠) ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ (١١)

«[٢٤٢] وجاءت السنة النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – تَحُثُّ على الإنفاق، وتَعِدُ المنفِقين بالخير والبركة في أموالهم، وتذم البخل وتبين نهايته الخاسرة. قال e: « ما من يوم يصبح العباد فيه إلاَّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعْطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعْطِ ممسكاً تلفاً » [٢٤٣]، ولا شك أن دعاء الملائكة مستجاب. وقال e: « السخيُّ قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار » [٢٤٤].

ومن خلال ما تقدم من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة النبوية - والنصوص كثيرة في الموضوع - يتضح لنا أنَّ الإسلام عمل على تضييق دائرة البخل والشح في نفوس أتباعه إلى أقصى درجة، وأصبح المسلمون - بناء على ذلك -يدركون أن في الإنفاق الإخلاف من الله تعالى، وأن المبذول من المال

(٢٤١) سورة النساء: (٣٧).

(٢٤٢) سورة الليل (٨ - ١١)

(٢٤٣) أخرجه البخاري في الصحيح ( ٥٢٢/٢رقم ١٣٧٤ )، ومسلم في الصحيح ( ٧٠٠/٢ رقم ١٠١٠) من حديث أبي هريرة.

(٢٤٤) أخرجه الترمذي في السنن (٣٠٢/٤ رقم ١٩٦١) من حديث أبي هريرة وقال: هذا حديث غريب اهـ. وذكر أنه يروى عن عائشة بإسناد فيه انقطاع .

مخلوف، وأن المخلوف به أبرك من المبذول؛ لأن المخلوف به عِوَضٌ عن محبة، فهو جزاء امتثال العبد المنفق أمر ربه عز وجل. فبذل المسلمون أموالهم وأنفقوها في سبيل الله راضية بذلك نفوسهم، ومنشرحة به صدورهم، فبارك الله في حياتهم وأموالهم، وأخلف عليهم بكل خير، والملاحظ في هذا الأمر أن أهل الإنفاق في سبيل الله موسع عليهم في أرزاقهم، وأن أبواب الرزق أمامهم مُفَتَّحَة، وأسبابه لهم ميسرة. والإسلام كلٌّ متكامل في أحكامه، وتشريعاته، وآدابه، وتوجيهاته، وهذه وسواها يكمل بعضها بعضاً، ولا ينفصل فيها الجانب الاقتصادي عن الجانب العقدي، أو التشريعي، أو الاجتماعي، أو التربوي، أو غيرها من الجوانب التي تصب في دائرة بناء الشخصية الإسلامية التي ترى أن الإنفاق في سبيل الله تعالى جزء منها، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

١٠ - **الجهاد في سبيل الله تعالى:** لا يشك المسلم النَّابِه أن الجهاد في سبيل الله من أبواب الرزق الواسعة، فالله تعالى يفتح على عباده المجاهدين بما يشاء من الخيرات، والأرزاق المختلفة بما لم يكن يخطر على بال أحدٍ، عطاءً من الله تعالى ورزقاً، والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى أن الجهاد في سبيل الله تعالى - بما ينشأ عنه من مغانم متنوعة - باب واسع من أبواب الرزق، وبناء على ذلك فقد وجه القرآن الكريم المسلمين إلى ضرورة الاهتمام بأمر الغنائم التي تنجم عن جهادهم في سبيل الله تعالى، وأهمية تنظيمها، ومعرفة أحكامها، وبيان أبوابها، ومستحقيها، وذلك من خلال وجود (فقهاء) متخصصين في فقه الغنائم. وجاء قول الله تعالى: [illegible]

« [٢٤٥] الآيـة، ليضـع المسـلمين أمـام مسـئوليتهم في هـذا الأمـر. والتعبـير القـرآني الكريم بصيغة الأمر (واعلموا) بيان لمسئولية المسلمين في علم ومعرفة علم الغنائم. وليس العلم المأمور به في الآية الكريمة هو العلم المجرد الذي يستوي فيه الناس، كالعلم بأنَّ السماء فوق الأرض، ولكنه العلم المتضمن للعمل، والطاعة لأمر الله تعالى؛ لأن المخاطبين مكلفون بهذا العلم فهم المسلمون وليس سواهم. قال ابن عطية في تفسيره ''قوله تعالى: (واعلموا) يتضمن الأمر بانقياد وتسليم لأمر الله في الغنائم'' [٢٤٦] . وقال صاحب تفسير التحرير والتنوير: "وافتتاحه بـ (اعلموا) للاهتمام بشأنه والتنبيه على رعاية العمل به " [٢٤٧]. ويجيء إلى جانب القرآن الكريم في بيان شأن الجهاد – وأنه من أبواب الرزق الواسعة – قولُ النبي e : « جُعِلَ رِزْقِي تحت ظل رمحي» [٢٤٨] ليدل على شأن الجهاد في تيسير الرزق، وذلك أن ما يغنمه المجاهدون لا يقع تحت حصر. فهو يشمل المال، والحيوان، والأرض، ومعادنها، وأنواع الرزق المختلفة، ويتأكد ما ذهبنا إليه إذا علمنا أن قول الله تعالى: [illegible] « [٢٤٩] الآيـــة، جـــاء إثـــر أمـــره ســـبحانه

---

(٢٤٥) سورة الأنفال: (٤١).

(٢٤٦) تفسير ابن عطية (٦/٣١٥).

(٢٤٧) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/٥).

(٢٤٨) سبق تخريجه في (٦٧).

(٢٤٩) سورة الأنفال: (٤١).

للمسلمين بقتال الكفار، حتى لا يفتن مسلم في دينه. قال تعالى: ﴿ØŜéŠÞŘÂŴV

ŮV@ŲÛ ŇÊMÓTÄWŅ@ĝÛ ŇÂŴÄŴYIŜÞRŞ[ ŠŷŦPÖ@ÛÊŞ| ŢŢŴMÄMŤVŸĔf Û éŘÎŲ,ŴŴôŘŠV

ōŴÕÊŴŘ@ŴÅŶØŘĬŘÊŴŲŴV@ŴKŃŤŠŴÊ@ŴMŃŴÊŴŻÛŇŴV(٣٩) ōkŸ±ŠŴfÛ éŠŬŴÅŷŴŤŴŬŤ

ŴŴŨÅ@ŴŸĿ ŞkĝŁ (٤٠)﴾ »[250]، فإن انتهى الكفار عن الفتنة فإن الله تعالى بصير بعملهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم ظاهره، وباطنه. أما إذا تولى هؤلاء الكفار عن ذلك فالأمر للمسلمين بقتالهم ضرورة لا شك فيها مع ضرورة اليقين بأن الله مولى المسلمين وناصرهم، وهم بذلك منصورون على هؤلاء الكفار. وإذا كان الأمر كذلك، وقاتل المسلمون أعداءهم الكفار بناءاً على ذلك فالنصر حليف المسلمين، وللنصر ثمرات، ومنها: الغنائم التي ينبغي أن يعلم المسلمون شأنها وحكمها. ويزداد علم الغنائم ومعرفة شأنها خطراً وأهمية إذا علمنا أن جواب الشرط لقول الله تعالى: ﴿ŮŃÛ ŶŠŘ ŷŴŴ ŢŴØŠPŴŲŴ ŢŴÚŴŴŢŴ... ŴŴŶŴŴŴ%ŴŴŴŴ

@ŜŠŴŴ†ŴŴŴŶŴŴŴ@ŴŴ@ŴŴÔ@ŴŴŴ†ŴŴŴ﴾ »[251] هو قوله تعالى: ﴿ŤŴ@ŴÊŠŶŠŬŴ†ŴŴŴÙŠØ

ŸŮ ŴŴŴ﴾ »[252] الآية.

قال ابن عطية في تفسيره: (وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ قوله: (واعلموا)

(٢٥٠) سورة الأنفال: (٣٩ - ٤٠).
(٢٥١) سورة الأنفال (٤١).
(٢٥٢) سورة الأنفال (٤١).

يتضمن الأمر بالانقياد والتسليم لأمر الله في الغنائم، فعلَّق (إنْ) بقوله: (واعلموا) على هذا المعنى أي: إن كنتم مؤمنين بالله فانقادوا وسلموا لأمر الله فيما أعلمكم به من حال قسمة الغنيمة)[٢٥٣].

**١١ - ومن أسباب الرزق:** التجارة، والزراعة، والصناعة، والاحتراف؛ والتجارة شاملة لذلك كله، وسواه من كل ما فيه بيع[٢٥٤] وشراء. (وقد أباح الله تعالى التجارة في كتابه وأمر بالابتغاء من فضله، وكان المهاجرون تجاراً والأنصار أصحاب زرع )[٢٥٥].

ولا يشك عاقل في أن التجارة من أوسع أبواب الرزق. وجاء الحث في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله e على السعي في الأرض والابتغاء من رزق الله تعالى بالتجارة وتلمس أسباب الرزق، قال تعالى: ¼ †ÙWŽÒ†ŠWÚÁ ÑéSÚ†@ÛW ŠV ÙéSR@Ÿ¨ÙÛW-ŠÛ¡ÐŠÝÝ ÑéSŠ[ ŠV » [٢٥٦]. واستثنى الله تعالى في كتابه الكريم من قيام الليل أصنافاً ثلاثة: المرضى، والمسافرون في الأرض لطلب الرزق، والمجاهدون في سبيله تعالى. فقال سبحانه: ¼ ÙéSŽVœÕV ¶ŠVÙQy Ñ¶ÝŠÙéÑŠVÜKÕÙÆV ÙéSŽVœÕV Ÿ@Ô~ÞªV Á ÙéSŠŠMÙéSŽVœÕV Ÿ@Ôµ ÆÝÝ ÙéSŠ•ÙŠX³ ¤Ó@ØŠÙéSŠµ ŠV »

(٢٥٣) تفسير ابن عطية (٦/٣١٥).

(٢٥٤) عمدة القاري للعيني: (١١/١٦١).

(٢٥٥) نفس المصدر: (١١/١٦٢).

(٢٥٦) سورة الملك: (١٥).

[٢٥٧] وذلك دليل على مكانة السفر لطلب الرزق بالتجارة عند الله تعالى، وكان النبي e يشتغل بالتجارة قبل البعثة ويعيش من ربحها[٢٥٨]، (وكان أفاضل الصحابة - رضي الله عنهم - يتجرون ويحترفون في طلب المعاش)[٢٥٩]، وكان عمر يرى الرجل فيعجبه، فيسأل عنه: أَلَهُ حِرْفة؟ فإن قيل: لا، سقط الرجل من عيني عمر[٢٦٠]. وروي عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي e قوله: « إن الله يحب المؤمن المحترف »[٢٦١].

وحثت السنة النبوية على التجارة، والكسب، والاحتراف، وقد سئل النبي e: أي الكسب أطيب؟ قال: « عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[٢٦٢]، وروى وروى البخاري قول النبي e: « لأن يأخذ أحدكم حبْله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكفَّ الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » [٢٦٣].

---

(٢٥٧) سورة المزمل: (٢٠).

(٢٥٨) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٨٧/١).

(٢٥٩) عمدة القاري للعيني (١٦١/١١).

(٢٦٠) الترغيب والترهيب للمنذري (٥٢٣/٢).

(٢٦١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٠٨/١٢ برقم ١٣٢٠٠ ) والمعجم الأوسط (٣٨٠/٨ برقم ٨٩٣٤) من حديث ابن عمر .

(٢٦٢) أخرجه أحمد في المسند (١٤١/٤) واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (٢٧٦/٤ رقم ١٤١١) من حديث رافع. وصححه بشواهده محققُ المعجم الكبير.

(٢٦٣) أخرجه البخاري في الصحيح ( ٥٣٥/٢ رقم ١٤٠٢ ) من حديث الزبير بن العوام .

وقال عبد الله بن عمر: (ما خلق الله موتة أموتها- بعد الموت في سبيل الله- أحبَّ إليّ من الموت بين شعبتي رحلي، أبتغي من فضل الله، ضارباً في الأرض)(٢٦٤).

والله تعالى دعا المسلمين إلى ولوج أبواب التجارة بالبيع والشراء؛ لأن فيها اتساع أمور المعاش، وحرم عليهم الربا، فقال تعالى: [illegible] « [illegible] (٢٦٥)وذلك لتنطفئ بالتجارة نار المنازعات، والنهب، والسرقة، والخيانات، والحيل المكروهة، ليبقى نظام المعاش بين الناس؛ لأنَّ المحتاج يميل إلى ما بيد غيره، فبغير التعامل بالبيع والشراء المبني على المراضاة سيفضي إلى التقاتل والتنازع وفناء العالم، واختلال نظام المعاش(٢٦٦).

وقد وعى الصحابة - رضي الله عنهم - أهمية إباحة التجارة والإشادة بها في كتاب الله تعالى وأهمية الأمر بالابتغاء من فضل الله وتلمس أسباب الرزق فكان كثير منهم - رضي الله عنهم - يتجرون ويحترفون في طلب المعاش، (وقد نهى العلماء والحكماء عن أن يكون الرجل لا حرفة له ولا صناعة خشية أن يحتاج إلى الناس فيذل لهم، وقد روي عن لقمان - عليه السلام - أنه قال لابنه: يا بني خذ من الدنيا بلاغك وأنفق من كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض

---

(٢٦٤) تفسير القرطبي (٥٦/١٩).

(٢٦٥) سورة البقرة(٢٧٥).

(٢٦٦) عمدة القاري للعيني (١٥٩/١١) بتصرف.

فتكون عيالاً وعلى أعناق الرجال كلالا)[٢٦٧]. وفسر كثير من المفسرين طيب الكسب الوارد في قول الله تعالى: ¼WHKW@RYYW ŸWÝ KÑSÝ NÝYÝ WHÈÚV† ÿSÑ@W « [٢٦٨] الآية، بأنه كسب التجارة الحلال[٢٦٩]. قال مجاهد في تفسير الآية: ''يعني: التجارة، والمعنى: (أنفقوا) أي أدوا الزكاة (ماكسبتم) بالتجارة والصناعة من الذهب والفضة'' [٢٧٠].

**ومن أسباب تيسير الرزق:** ١٢ - الصلاة بالليل. ١٣ - ذكر الله تعالى، وخاصة بعد صلاة الصبح حتى طلوع الشمس. ١٤ - حسن الخلق وطلاقة الوجه. ١٥- الإكثار من تحية الإسلام للمسلمين. ١٦ - كثرة البر بالوالدين. ١٧ - البكور في الأعمال. ١٨- تخير الأزمنة والأمكنة المناسبة للأعمال. ١٩- رعاية اليتيم وإطعامه. ٢٠ - كثرة الصدقة. ٢١ - إكرام الضيف، والجار، والأصدقاء. ٢٢ - الزواج والتعدد فيه، والإكثار من الذرية. ٢٣ - طلب العلم، وبذله للمسلمين. ٢٤ - السفر طلباً للرزق.

٢٥ - التوسعة على الزوجة والأهل والأرحام. ٢٦ - المتابعة بين الحج والعمرة.

ولا يعني حديثنا عن أسباب الرزق أن يفهم أنه إذا وجدت هذه الأسباب

---

(٢٦٧) عمدة القاري للعيني (١٦١/١١).

(٢٦٨) سورة البقرة: (٢٦٧).

(٢٦٩) الوسيط في التفسير للواحدي النيسابوري (٣٨١/١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣٢٠/١).

(٢٧٠) الوسيط في التفسير (٣٨١/١).

أو بعضها فإنه لابد أن يوجد الرزق، بل إن الذي نريد أن نؤكده ونقرره أنه لا يعني بحال أن يوجد الرزق بوجود تلك الأسباب أو بعضها. بل إن الأمر في ذلك كله لله تعالى، فبيده وحده سبحانه أمر الرزق سعة وتضييقا، ووجوداً وعدماً، فقد توجد الأسباب ولا يوجد الرزق.

وقد يسأل سائل: إذا كان أمر الرزق مقدراً منذ أن كان الإنسان نطفة في رحم أمه فما فائدة هذه الأسباب؟

والجواب عن هذا السؤال قد بيناه في حديثنا عن الأسباب فيما مر من مباحث هذا الكتاب.

ومما تجدر الإشارة إليه والتأكيد عليه في هذا المقام، أن أسباب تيسير الرزق كثيرة ومتنوعة، وحسبنا هنا أننا أشرنا فيما تقدم إلى شيء منها، ويبقى باب الحديث فيها مفتوحاً أمام من يرغب أن يفيض البحث فيها تتبعاً واستقصاءً، وسيكون ذلك بلا شك شيئاً جميلاً.

ويبقى سؤال يتصل بموضوع هذه الأسباب وهو: أنه إذا كان ما تقدم هو بعضاً من أسباب تيسير الرزق، فما هي أسباب ضيقه وعسره؟ ويمكن الجواب على هذا السؤال الهام، بالحديث عن أسباب ضيق الرزق اختصاراً في الإجمال التالي:

١ - عدم إقامة الصلاة، أو التهاون في شأنها كله.

٢ - الشح والبخل.

٣ - القعود عن الجهاد.

٤ - ترك قيام الليل.

٥ - التهاون في ذكر الله.

٦ - النوم بعد صلاة الصبح.

٧ - سوء الخلق.

٨ - البخل بتحية الإسلام.

٩ - عقوق الوالدين أو التهاون في برهما.

١٠ - عدم البكور للأعمال.

١١ - التفريط في اختيار ما يناسب الأعمال زماناً ومكاناً.

١٢ - إهمال اليتيم وعدم رعايته.

١٣ - سوء الأخلاق بعامة، وبخاصة مع الزوجة والذرية والأهل، والجيران، والأصدقاء.

١٤ - البخل بإكرام الضيف، والجار، والأصدقاء.

١٥ - الإعراض عن الزواج لغير ضرورة.

١٦ - كراهية مشروعية التعدد.

١٧ - كراهية الإكثار من الذرية.

١٨ - ترك طلب العلم.

١٩ - البخل بالعلم.

٢٠ - عدم الحركة في طلب الرزق والركون إلى الكسل.

٢١ - التضييق بالإنفاق على الزوجة، والأهل، والأرحام.

٢٢ - المعاصي بجميع أنواعها والذنوب، وهي من الأسباب الجالبة لضيق الرزق.

ذلك أن المعاصي والذنوب هي سبب البلايا والخزايا، والرزايا والمصائب،

والمعائب والحرمان، والضنك والعسر، والذل، والهم، والهوان، فما نزل بلاء إلاَّ بذنب، ولا رُفِعَ إلا بالتوبة وطاعة الله تعالى. فالمعاصي والذنوب (تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل، فإن نعم الله - ومنها: نعمة الرزق - ما حفظ موجودها بمثل طاعته - أي طاعة الله تعالى -، ولا اسْتُجْلِبَ مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته)[٢٧١].

(٢٧١) الجواب الكافي لابن القيم (١١٤).

## حديث القرآن عن الرزق

جاء حديث القرآن الكريم عن الرزق جامعاً مانعاً، شاملاً لأبعاده، متناولاً لدقائقه، مبيناً له غاية البيان، مدللاً بشتى أنواع الأدلة على أن الله تعالى بيده الرزق، وهو سبحانه الذي يبسطه ويقدره، وهو وحده جل في علاه الذي أوجد أسباب الرزق وقدرها، وذلك كله وسواه دليل ساطع وبرهان واضح، على عناية القرآن الكريم بهذا الموضوع الذي له شأنه وخطره وأثره في حياة الناس جميعاً، فكان حديث القرآن عنه متنوعاً وجميلاً، فيه الشفاء والغَناء والتمام والكمال، والبهجة والسرور. جاءت ألفاظ القرآن الكريم، وصيغه، كثيرةً متنوعةً في عرضها، قوية في جرسها، مشتملة على جوامع الألفاظ، بأسلوب سلس متنوع: بأسلوب التأكيد تارة، وأسلوب التمثيل تارة أخرى، فيه البشارة بموعود الله تعالى وفضله؛ وتنوعت الصيغ بين خبرية وإنشائية واستفهامية في عَرْضٍ جميل جليل رقيق أخَّاذ يبعث الأمل في النفوس، وذلك كله في إطار عام تميزه خاصيتان اثنتان: أولاهما: البشارة بموعود الله تعالى لتقوية عقيدة المسلم وتثبيتها في النفس بأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وإدخال السكينة على قلب المسلم حتى لا يغلبه هواه وتضعف نفسه أمام الإغواء الشيطاني والإغراء المادي، فيخرج بذلك عن حدود طاعة الله تعالى ومرضاته في طلب الرزق وتلمس أسبابه، ويدخل في دائرة الغضب والوعيد من ربه سبحانه فتهلك بذلك نفسه، ويهلك غيره.

ثانيتهما: بيان أهمية الهدي الرباني المعصوم في قضية الرزق، وبيان معالمه الواضحة التي من اهتدى بها وُقِيَ من كل الشرور، وبيان أن الناس بغير هذا الهدي

لا يحسنون معرفة الطريق الصحيح، بل إنهم بغيره يتهارشون في حياتهم - تهارش الحيوان الأعجم بلا عقل ولا رحمة - ويتخبطون بلا وعي ولا رؤية، في متاهات مظلمة لا نهاية لها. فخير البشرية وراحتها في موضوع الرزق هو في هدي الإسلام العظيم وحده، وليس في رأسمالية متبجِّحةٍ ظالمةٍ، أو في شيوعيةٍ سمجةٍ ملحدةٍ، أو في علمانية جاهلة متخلفة، ولا يمكن للبشرية أن تجد ما تبحث عنه - وهي تائهة في ظلمات الحيرة والاضطراب - ليخرجها مما هي فيه، إلاَّ في هدي الإسلام العظيم وحده دون سواه.

## تحليل لآية الرزق الواردة في سورة الذاريات

ونقف وقفة يسيرة مع آية الرزق الواردة في سورة الذاريات نتلمس من خلالها الحِكَم الإلهية في قضية الرزق.

قـــال تعـــالى: ﴿ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴾ [272].

فهذه الآيات الكريمة المباركة في هذه السورة المباركة (سورة الذاريات) وثيقة الصلة بِجَوِّ السورة – عموماً – وموضوعِها، وسورة الذاريات من سور القرآن الكريم، سورة شريفة كريمة منيفة مكية الآيات، اشتملت على معان عظيمة كثيرة تدل على عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته وتبين آياته سبحانه في النفس والكون، وفي الخلق والرزق، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وبيان إهلاك المكذبين في كل زمان ومكان.

فجَوُّ السورة هو لَفْت الأنظار إلى التدبر والتفكر في آيات الله في الأنفس والأكوان، وفي ذلك بيان دلائل القدرة الإلهية والوحدانية في الخلق والتدبير والتسخير؛ لفتاً لأنظار العرب ودعوة لهم لإعمال عقولهم وفكرهم، ليكون ذلك طريقهم إلى الإيمان والتسليم بأنه لا إله إلا الله، ومما تجدر الإشارة إليه أن العرب وقت نزول القرآن لم ينكروا الاعتراف بالخالق العظيم سبحانه، وجاء القرآن الكريم تحمل آياته الكريمة أمر المكلفين من بني آدم بأن يفردوا الله تبارك وتعالى بالعبادة، ويَخُصُّوه بالتوحيد الذي من أجله خلقوا، والعرب مع غيرهم، لَفَتَ القرآن الكريم انتباههم إلى ذلك الأمر، وذلك

(٢٧٢) سورة الذاريات: (٢٠ - ٢٢).

أن جميع الأمم على مر العصور واختلاف الأجناس، وتباين الألسنة واللغات، معترفون بالخالق العظيم، قد ورثوا ذلك من عهد آدم، وتتابعت اعترافاتهم به إلى أمة محمد e ؛ ولذلك كثر في القرآن العظيم توجيه الأسئلة للمشركين، بأنهم ماداموا مقرين بأن الله هو وحده خالق السماوات والأرض وما فيها فلماذا يشركون به ويعبدون معه غيره؟ حيث يقول عز وجل:

ÔŜ ãÑŸ ÜéÏéŠWW (84) f û éŠÑÅŽV ỳŞŞ{ ÜXI†ãŴŸ ÝÚèV ñ³ ¤K6@XÙŴ ÔŜ ¼
X« ÉÅŴ@ ũ‡ ŴèV Ã‰ŏÖ@ g .ÉŴŴQö@ ũ‡ Ŵ ÝÚV ÔŜ (85) f û èŠR{ ŴŽV ð„ ÊWK
ẍøŴVQ̂IS{ ñ éÑÛÚV-ãŸŴŸÝÚVÔŜ (87) ÜéŠRŽ ð„ ÊWKÔŜ ãÑŸÜéŠéŠWW (86) ǿ~¥ÅŴ@
øŴKÊVÔŜ ãÑŸ ÜéÏéŠWW (88) ÜéŠÑÅŽV ỳŞR ÜXIăŸ~ŴV Š†WŞ ,ŴèV ŠKñ ÉŠèV
» (89) f û èŠW©Š.(٢٧٣)

وحتى فرعون نفسه كان مُقِراً برب السماوات والأرض في قرارة نفسه - وإن جحد ذلك - كما بيّن الله تبارك وتعالى ذلك في قوله عز وجل: †WŽŴ ŸÚÖèV¼
øŴKŠéŴŴŸ IŠV Ú†ÚÊVøŠŏ†W ¢XÔ,ŏ;Ŵª Xõ ŴVÔŴ ÊVXEŴQŽVŸEŴŏ ÄV©ŽYø ŴéŠ
g .ÉŴŴQö@ũ‡ V,ŴXŏ;ŴŠå ÚŴK†ÚVŒÙÑŴVŸÚÖVÚ†Ŵ (101) _¤éŠ©ÚVø ŴéŠŴÐ ŴK,ŴV
» (102) _¤éŠÚñû éŴÉŸŴÐ ŴK,ŴøQŴŴEŴ Ŵ³ ¤K6@V.(٢٧٤)

وقد بدأت السورة الكريمة بلفت الأنظار والأفكار إلى أربعة أسباب مخلوقة مسخرة بأمر الله تعالى، هي من أسباب الرزق: وهي الرياح، والسحب، والفُلْك تجري في البحر، والملائكة، أقسم الله تبارك وتعالى بهذه المخلوقات في صفة من صفاتها، فأقسم بالرياح – الذاريات - أي في حال ذروها - ، وبالسحب التي تحمل وِقْرَها من

---

(٢٧٣) سورة المؤمنون: (٨٤ - ٨٩).

(٢٧٤) سورة الإسراء: (١٠١ - ١٠٢).

الماء، وبالسفن الجارية بِيُسْرٍ في البحر، وبالملائكة التي تَقْسِم أمر الله في كونه وخلقه بإذنه سبحانه وتعالى.

والرياح الذارية: أي التي تذرو الهواء وتنقله من مكان إلى آخر، وتذرو حبوب اللقاح فتنقلها من شجرة إلى أخرى، وتذرو الأوبئة والأمراض فتطردها بِذَرْوِها بعيداً، وتذرو الحب وقِشْر الحبوب في أيام جَنْيِ الحصاد، فيتخلص الحب - من قمح وشعير - بذلك مما علق به، وذلك كله وغيره مما يحسه الناس - والعرب منهم على وجه الخصوص - من أثر طيب للرياح الذارية، وهي إلى جانب ذلك تذرو السحب وتحركها من مكان لآخر، وهي تسير سير الفُلْك في البحار، وإذا كانت هذه الرياح الذارية بهذا الوصف مما تنعكس فائدته على الناس، فإن العرب لا يخفى عليهم أمر الرياح - وهي تؤدي دورها بإذن ربها- في تدمير وإهلاك قوم عاد، وما قوم عاد منهم ببعيد، لقد سخرت الريح بإذن ربها على قوم عاد فكانت مهلكة مدمرة عاتية قاصفة عقيماً، تنزع الرجل منهم من داخل بيته فترميه خارجه، فيقع مجندلاً [٢٧٥] كأنه عَجُزُ نخلة خاوية، وكانت تدخل عليهم في بيوتهم فتدخل في أفواههم فتُخْرِج من مخارجهم أمعاءَهم. فمن الذي سخر الريح على قوم عاد بهذه الأوصاف، وسخرها لكم أيها العرب ذارية هادئة رقيقة نافعة نسيماً جميلاً يداعب أبدانكم، وينتقل في رفق وانسياب في بيوتكم وبين أحيائكم وزروعكم فتسعدون به وتنتفعون؟ ولاشك أن العربي يدرك أهمية وقيمة الرياح الذارية، خاصة وهو في أيام حرثه حيث يتلمس أسباب رزقه ويباشرها كما يدرك تلك القيمة والأهمية في أيام حصاد هذا الزرع وجني حبوب الحصاد، وهاتان المناسبتان

---

(٢٧٥) الجندل : الحجارة، أو صخرة مثل رأس الإنسان . لسان العرب: ( ١١/ ١٢٨-١٢٩ ) .

حبيبتان إلى قلب العربي ووجدانه فيرق ويجود أثناءهما لأنه في الزرع يطلب أسباب الـــــــــــــــــــرزق، وفي الحصـــــــــــــــــــــاد يجني ويستلم ثمار هذه الأسباب وهو يعلم ما حل بقوم عاد بسبب فعل الريح فيهم، والقرآن يستثير في العرب تفكيرهم ليتدبروا، مَنِ الذي جعل الرياح عندهم ذارية نافعة وجعلها على قوم عاد مُدَمِّرة مُهْلِكة عاتية؟ إن الرياح مسخرة من الله تعالى، ولو كان فعلها من تلقاء نفسها لكان فعلاً واحداً ذا صفة واحدة في كل زمان ومكان، إن التنويع في التسخير دليل القدرة الإلهية والوحدانية، والله تعالى يتلطف بالعرب ويترفق بهم، حيث دَلَّل لهم على قدرته ووحدانيته بأشياء مخلوقة لها أثر يحبونه في حياتهم، وهم مرتبطون بها في حياتهم ارتباطاً وثيقاً.

والسحاب الذي يحمل وقره من الماء سبب من أسباب الرزق ÁŴŴ¼ @Ö©ŴŴ¦ŸŶ¦ŜĪÑ yŴŴ|ŠŴĕŠŴĕŴ » (٢٧٦) قال: سعيد بن جبير وغيره: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلْج يَنبُت به الزرع ويحيا به الخلق(٢٧٧).

والعرب يعرفون قيمة السحب المحملة بالماء، ويفرقون بينها وبين سحب

---

(٢٧٦) سورة الذاريات: (٢٢).

(٢٧٧) انظر: الدر المنثور (١١٤/٦) للسيوطي وقال ابن عطية في تفسيره (١٧/١٤) قال الضحاك وابن جبير: أراد المطر والثلج. وقال واصل الأحدب ومجاهد: أراد القضاء والقدر: أي الرزق عند الله يأتي به كيف يشاء لا ربّ غيره. وقرأ ابن محيصن: "وفي السماء رازقكم".
و(توعدون) يحتمل أن يكون من الوعد، ويحتمل أن يكون من الوعيد والكل في السماء. وقال الضحاك: المراد من الجنة والنّار. وقال مجاهد: المراد: الخير والشر. وقال ابن سيرين: المراد: الساعة) اهـ.

الصيف التي لا تحمل ماءً، إذا رأوا سحب الماء استبشروا وتفاءلوا بنزول المطر الذي تروى به أراضيهم، وتنمو به زروعهم وأنعامهم، وتملأ آبارهم، والله تعالى أقسم بالسحب التي تحمل وقرها ماءً لعظيم فائدتها وعميم نفعها وجليل أثرها؛ وفي نزول المطر خير كثير، حيث تنشأ عنه أرزاق وفيرة وخيرات كثيرة، وكان الحسن البصري - رحمه الله - إذا رأى سحابة في السماء قال: فيه والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (٢٧٨) .

ومن أسباب الرزق تيسير حركة الفُلْك وسيرها، تسير في البحار تنقل الناس وأمتعتهم ودوابهم وتجارتهم من مكان إلى آخر، وينشأ عن ذلك تيسير انتقال أسباب الرزق للناس والحيوان، ولا يمكن للناس أن يستغنوا عن الحاجة إلى ما تنقله الفلك من التجارة والمنافع للإنسان والحيوان. وإنها لنعمة جميلة يبعث منظرها على الانشراح والسرور في النفس: نعمة سير الفُلْك بيسر في البحار تتهادى برفق ودلال فوق أمواج البحر الهادئة الحانية، وما أجمل زُرْقَة البحر وهي تعانق زُرْقَة السماء في رقة ولطافة، والناس في هذه الفُلْك بتجاراتهم وسُبُل أرزاقهم يستمتعون بهذه النعمة العظيمة، وإنها لنعمة لا يقدر على تيسيرها إلا الله تعالى، وذلك كله تذكير للناس والعرب منهم خاصة؛ ليعرفوا قيمة هذه النعمة، وعليهم في المقابل أن يتذكروا أحوال البحر عند اضطرابه وهيجانه حيث يصبح سير السفن عسيراً شاقاً تحيط به الأهوال والمخاوف من كل مكان.

وإن ذلك دليل على قدرة الله تعالى، إذ لو كان فعل السفن في سيرها بيُسْرٍ من نفسها، لكان ذلك فعلاً واحداً في كل حال، فمن الذي نوَّع سيرها، وسخَّر لها الرياح؟ إنه الله تعالى – على أن الآيات مكيةٌ والعرب لا يعرفون البحر - ولعل في ذلك إيماء إلى ما

(٢٧٨) تفسير القرطبي (٤١/١٧) .

ينتظر العرب من دور بالإسلام حيث سيركبون البحر في سبيل الله.

ومن أسباب الرزق أيضاً: تسخير الله تعالى لنوع من الملائكة يقسمون أمر الله في كونه وخلقه، والملائكة - عليهم السلام - خلق عظيم جميل جليل نوراني كريم، أعطاهم الله من الإمكانيات والقوة ما لم يعطه لغيرهم كما وصف رسول الله e جبريل - عليه السلام - بقوله:« رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح »[(٢٧٩)]. وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: « رأى رسول الله e جبريل في حُلَّة من رَفْرف، قد ملأ مابين السماء والأرض »[(٢٨٠)]، وسخرهم لعبادته وطاعته ÜèSY| V©ÏW,WIŠÜT ÝÚèX³ ¤K@Y ÈÙQ@Á ÝÚIŠÜèV¼ « (19) ÜèS©™V©ÏW,Wè-ãZYWT ÝXE (19) ÜèSSÉÏW,WÙTàQ@ÔT`ÈQÜéS°QO§ (20) » [(٢٨١)]، ينفِّذون أمره في كونه وخلقه ¼V,ÏWÅ ÜèS@ÜÚ†ÚKSÚØVè ÏWÉÜÞSèÜÚ† Üè S ÜÚÜè (6) » [(٢٨٢)] منهم المكلف بالأرزاق، ومنهم المكلف بالآجال، ومنهم المكلف بالجبال، ومنهم المكلف بالوحي، وتسخيرهم المتنوع دليل على قدرة الله تعالى ووحدانيته وعظمته، وأنه وحده المتفرد بالتصرف في أمر الكون والخلق.

---

(٢٧٩) أخرجه أحمد في المسند (٤٠٧/١). وحَسَّنَ إسناده الأرناؤوط في تحقيق المسند (٤١٠/٦ رقم ٣٨٦٢).

(٢٨٠) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٤/١، ٤١٨) والترمذي في السنن (٣٦٩/٥ رقم ٣٢٨٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح اهـ. واللفظ لهما .

(٢٨١) سورة الأنبياء : (١٩، ٢٠).

(٢٨٢) سورة التحريم: (٦).

ومما تقدم يتبين أن الله تعالى أقسم بهذه الأشياء الأربعة في صفة من صفاتها، وهي صفة نافعة ذات أثر مرغوب، ولها صفات أخرى غير هذه الصفة، والمتصور من القسم هو بيان أثر وخطر وفائدة هذه المخلوقات في هذه الصفة المقسم بها دون سواها.

قال ابن القيم رحمه الله: (وأقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان العِبْرة والآية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وعظم قدرته)[٢٨٣].

ويلاحظ مدى الترابط بين بداية هذه السورة ونهايتها التي جاء فيها قول الله تعالى: [illegible] (56) [illegible]
[illegible] (57) [illegible] (58) »

[٢٨٤]، فالله تعالى هو الذي سخر لخلقه هذا الكون بما فيه من أرض مفروشة مذلَّلة، وجبال راسية وبحار وأنهار متلاطمة، وسماء بغير عمد مرفوعةٍ، وشموسٍ وأقمارٍ ونجومٍ وكواكب سابحةٍ، وسحب جارية تجري كلها بأمر خالقها، كل ذلك وغيره سخَّرهُ لخلقه ويسَّر لهم سبل أرزاقهم، ولم يجعلها شاقة عليهم ليعرفوه ويعبدوه فلا يشركوا بعبادته أحداً، كما يلاحظ مدى الترابط بين محاور السورة، فكلها تدور حول إظهار قدرة الله ووحدانيته سواء في خلق الجنة والنار، أو في إهلاك الأمم المكذبة، أو في بناء السماء أو في فرش الأرض وتمهيدها، أو في غير ذلك

---

(٢٨٣) التبيان في أقسام القرآن (٢٧٩).

(٢٨٤) سورة الذاريات: (٥٦ - ٥٨).

من الدلائل التي حوتها السورة.

فالسورة تدور محاورها حول بيان آيات ودلائل القدرة الإلهية في الأنفس والأكوان، ومن ذلك تسخير الرزق وتيسير أسبابه.

وجاء قول الله تعالى ¼ W@Á0©WÙ¦Y¦ ÎÑÑ WyÙ¦WÚ¦ŽWŠWeWW « (٢٨٥) قبل ذكر قصة إبراهيم - عليه السلام - وما رزقه الله من الولد، وبعد ذكر إهلاك المكذبين من الأمم السابقة من لدن قوم نوح إلى قوم موسى وما بينهما، وبعد ذكر الأرض وأهمية تبصر الآيات التي خلقها الله فيها، وذكر النفس وما خلق فيها من آيات وما أودع فيها من أسرار ليستقر في حس المؤمن أن قضية الخلق والرزق قضية دقيقة خطرة، فالذي خلق هو الذي رزق قال تعالى: ¼@ ©ÜÜY ÷ ŽWÚÑØ R ÝWÙÑØR ÝS¦ SÙ¦ RØ ÝR ØÑØ « (٢٨٦) فالخلق يرزقهم خالقهم وهو الله تعالى، ولا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى، فهو سبحانه خالق الخلق، ومقدِّر الرزق؛ ولا شك أن حركة الأمم السابقة على الأرض كانت حركة متيسرة الأسباب في الرزق، فقد كانت تلك الأمم — وهي كافرة — تسعى نحو رزقها الذي كانت ميّسرةً أسبابُه بأمر الله تعالى فهو سبحانه الذي رزق ويرزق الكافر والمسلم، لأن الرزق من صفات الربوبية والله رب الخلق أجمعين.

والقرآن الكريم في هذه السورة يعرض صفحة من صفحات الماضي الذي

(٢٨٥) سورة الذاريات : (٢٢).

(٢٨٦) سورة الروم: (٤٠).

كان عامراً بهؤلاء البشر وغيرهم، ويبين أن الله تعالى قد تكفل بأرزاقهم جميعاً، فالله الذي خلق السماوات ورفعها بغير عمد وفرش الأرض وبث في كونه أسباب الرزق لخلقه لا يعجزه أمرهم فأرزاقهم مقدرة معلومة، قال تعالى: ¼ VÙV† ÝVWQTà
Á ÈÒQ †ÌVØ Â x̂ ... [illegible]
ÑQ » [287]، وأين يقع العرب - في العدد والكثرة - من تلك الشعوب التي رزقها الله تعالى على كثرة عددها؟.

والخلق لا يملكون رزقهم وذلك من رحمة الله تعالى بهم، وسبب رزقهم في السماء، ومع اختلاف الأقوال في المراد بالرزق الذي في السماء[288]: إلا أن الأمر — ومن خلال لفظة (السماء) — يدل على أن الخلق لا يصلون إلى رزقهم بقوّتهم فهم عاجزون عن الوصول إلى السماء وإنما مهمتهم الحركة والسعي وتلمس الأسباب في الأرض، وإضافة الرزق إلى ضمير المخاطَبين يدل على أن لكل واحد منهم رزقَه المعلومَ، فلا أحد يستطيع أخذ رزق أحد أو إنقاصه أو الزيادة فيه.

هذا وقد تناول ابن القيم - رحمه الله - مجيء لفظة (السماء) مفردة في الآية، وعلَّل ذلك بأن المقصود من لفظ (السماء) في الآية كل ما علا، فالمراد الوصف لا ذات السماء، (فالرزق المطر وما وعدنا به الجنة، وكلاهما في هذه الجهة لا أنهما في كل واحدة من السماوات، فكان لفظ الإفراد أليق. والمخاطبون المحتج

(٢٨٧) سورة هود: (٦).

(٢٨٨) سبق ذكر هذه الأقوال في (١٢٩) فانظرها.

عليهم بهذه الآية إنما كانوا مقرين بنزول الرزق من قبل هذه السماء التي يشاهدونها بالحس، ولم يكونوا مقرين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى تنتهي إليهم، ولم يصل علمهم إلى هذا، فأفرد لفظ السماء هنا، فإنهم لا يمكنهم إنكار مجيء الرزق منها لا سيما والرزق ههنا إن كان هو المطر فمجيئه من السماء التي هي السحاب فإنه يسمى سماءً لعلوه وقد أخبر سبحانه أن بسط السحاب في السماء بقوله ﴿ IŠñ S‰TVÂV†TŠ†TWTVVSkYŠÊWVH¥ZQ@ÔY£Ş ÷ YWG@ ﴾ ÅQ@0ÖWŸY TÕ ÈÝ£TWVWŽ«ST « [289]، والسحاب إنما هو مبسوط في جهة العلو لا في نفس الفلك، وهذا معلوم بالحس فلا يلتفت إلى غيره، فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم لم يصلح فيه إلا إفراد السماء؛ لأنهم لا يقرون بما ينزل من فوق ذلك من الأرزاق العظيمة للقلوب والأرواح، ولابد من الوحي الذي به الحياة الحقيقية الأبدية وهو أولى باسم الرزق من المطر الذي به الحياة الفانية المنقضية فما ينزل من فوق ذلك من الوحي والرحمة والألطاف والموارد الربانية والتنزلات الإلهية، وما به قوام العالم العلوي والسفلي من أعظم أنواع الرزق ولكن القوم لم يكونوا مقرين به فخوطبوا بما هو أقرب الأشياء إليهم بحيث لا يمكنهم إنكاره[290].

وجاء القَسَمُ من الله تعالى على هذا الأمر بقوله تعالى ¼VÊVWV ±@Ö0©ÙÙ‌WÙ!Y

(٢٨٩) سورة الروم: (٤٨).

(٢٩٠) بدائع الفوائد (١/١١٧ - ١١٨).

ÜWéSY ÞŽWØ ÑWQK ÚWÔ ÝQÒQVWÜ I5KX³ ¤Kó@W « [٢٩١] قطعاً لدابر الشك في هذه القضية ولتكون واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار في حس وأعماق كل مؤمن، فلا تضطرب حركة سيره في الحياة وهو يسعى متلمساً أسباب رزقه مثلما تضطرب حركة سير غيره ممن لم يوقن، ابتدأ القسم بواو القسم، وأقسم الله تعالى بصفة من صفاته العلية الكريمة وهي صفة الربوبية وأضاف هذه الصفة إلى السماء والأرض إضافة ملك واختصاص، إشارةً إلى أن أمر الرزق وتدبيره وتيسير أسبابه للخلق يتصل بصفة الربوبية التي من مقتضياتها الرحمة والعناية والرعاية للمخلوقين، فالأمر في أساسه لطف ورحمة من الله فهو الذي قدر الأرزاق لمخلوقاته كلهم، ويسر لهم أسبابها، وأضيف لفظ - الرب - إلى السماء والأرض دون سواهما من المخلوقات ليعلم الخلق أن الذي قدر على أمر السماء ومن فيها وعلى أمر الأرض ومن فيها- خلقاً وتسخيراً وتسييراً وتدبيراً - لهو أقدرُ على أمركم ورزقكم، قال تعالى: ¼ WÜ@ÌÕWÙ ÉWÈQÜ .gW@Kó¤ ³XK {VWS ÝÝWZX@Ü†S XWWÈ ÑÕKY { VWÝ£

ÜWéSÜÂWV,WXS †Ü@ « [٢٩٢]، ومعلوم أن الله تعالى خلق الإنسان آخِراً بنص قوله تعالى: ¼ KÜÝWÝŽKÜ ûÛ@ÜWÝ ©p SŸ Ü5IVÚÝ Á@ÜQÜÈ .gWÜÚÝ Á@Kó¤ ³X

W@Ü0 -ÚÙ ¨ñ@WÝWUS@W ØS éS@W‹ÜV †ÓW@Ü0 ÜWSW@Ü0 ÜWè :‡ÜV {ÝY ÚQÝÙ@Ü† SX

(٢٩١) سورة الذاريات: (٢٣)

(٢٩٢) سورة غافر: (٥٧).

« [٢٩٣]، فالترتيب في الذكر جرى على مقتضى الترتيب في الوجود، وبنص قوله تعالى: « [٢٩٤] وجواب القسم « [٢٩٥]، والحق هو الثابت الذي لا يقبل النسبة، والضمير في (إنه) يعود على الرزق، قال الطبري –رحمه الله-: يقول تعالى ذكره وجل اسمه مقسما لخلقه بنفسه: فورب السماء والأرض إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحق،كما حق أنكم تنطقون [٢٩٦] .

ونقل الواحدي في تفسيره (الوسيط) عن الزجَّاج أن الضمير يعود على ما ذكر من أمر الرزق والآيات [٢٩٧] .

وقال e : « قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدِّقوا »[٢٩٨]، وشبَّه هذا الحق في ثبوته بمثل نطق المخاطبين، وهنا نلحظ في هذا الجواب أنه تقرر أن أمر الرزق حق ثابت لا مرية ولا شك فيه، ومثل لهذا الحق بوجود النطق في

---

(٢٩٣) سورة الحج: (١٨).

(٢٩٤) سورة السجدة: (٧).

(٢٩٥) سورة الذاريات: (٢٣).

(٢٩٦) تفسير الطبري : (٥٢٣/٢١).

(٢٩٧) الوسيط للواحدي: (١٧٦/٤) .

(٢٩٨) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٤٦١/١١ رقم ٣٢١٩١) وابن أبي حاتم في التفسير (٣٣١٢/١٠ رقم ١٨٦٥٩ ) عن الحسن مرسلاً. وانظر تفسير ابن كثير (٢٣٥/٤).

المخاطبين ولذلك دلالاته وأبعاده، وذلك أن النطق في الإنسان هو أيسر شيء وأسهله وأقربه من فم الإنسان، فكل إنسان له نطق - وإن كان أصم - باعتبار أن النطق صوتٌ، وما سوى النطق من الأكل أو النظر أو الحركة أو السمع أو المشي هي أمور يتكلف لها وليست أمراً عاماً لا يتخلف في بني الإنسان، وذلك أن الإنسان إذا أراد أن يأكل تكلف الحركة ومدَّ يديه إلى المأكول وفتح فمه للأكل، وقَبْل ذلك نظر إليه إن كان مبصراً، وفي كل الأحوال يتوجه إلى الأكل بالرغبة والميل، والحال كذلك في المشي إذ لابد من القيام والحركة حتى السمع لابد فيه من نوع تكلف وهو التوجه إلى مصدر الصوت والإنصات إليه وكذلك البصر.

قال القرطبي: ( وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره ) [٢٩٩] .

وليس كل الناس يسمعون بل يوجد من بينهم طُرْشان، وكذلك فليس كلهم يبصر أو يمشي أو يتكلم فإنه يوجد فيهم من ليس كذلك ولكنهم كلهم ينطقون. وهنا نلحظ دقة التعبير القرآني بالتمثيل بالنطق بدل التمثيل بالكلام، ويلاحظ أن اللفظة التي ذكرها القرآن وهي (النطق) مَكِيْنَةٌ في الدلالة عن المعنى المراد تأكيده وشيوعه وسهولته وقربه، ولسائل أن يسأل قائلاً: ما بال (الكلام) لماذا لم يقل القرآن مثل ما أنكم تتكلمون؟ أو ليس الكلام قدراً مشتركاً بين سائر

---

(٢٩٩) تفسير القرطبي : ( ٤٢/١٧).

بني الإنسان؟ والجواب أن النطق أدق في الدلالة على المراد فهو أشمل وأعم، فكل إنسان ينطق وإن لم يتكلم كأَنْ يكون أبكمَ مثلاً، أما الكلام فليس بذات الخاصية؛ لأنَّ الكلام يتألف من حروف ملفوظة مركبة لإفادة معنىً، وذلك متعذر في الإنسان الأبكم؛ بينما النطق هو مجرد صوت يستطيعه الأبكم. ومن ثم ندرك أن هذا كلام معجزٌ؛ لأنّ الله تعالى الذي قال هذا الكلام يعلم أسرار مخلوقاته ومنها الإنسان ولا يخفى عليه شيء من أمرها قال ابن عطية: (ثمّ أقسم تعالى بنفسه على صحة هذا القول والخبر، وشبهه في اليقين به بالنطق من الإنسان، وهو عنده في غاية الوضوح، ولا يمكن أن يقع فيه من اللبس ما يقع في الرؤية والسمع بل النطق أشد تخلصاً من هذه)[٣٠٠] فالنطق عملية سهلة لا يتكلف لها الإنسان فهو ينطق في المرض والعافية في النوم واليقظة في الظلام والضوء، فالنطق قريب سهل يتأتى في كل الأحوال والهيئات للإنسان.

وذلك كله دليلٌ على تيسير الله تعالى الرزق لبني الإنسان وأنه قريبٌ منهم وسهلٌ قُرْبَ وسُهُولة النطق فيهم، والنطق من خواص الإنسان ولوازمه فالرزق كذلك ملازم له؛ لأنّ حياته لا تقوم إلا بالطعام والشراب اللَّذين لابد لهما من قوة قادرة تدبر تيسير أسبابهما، وتيسير المطعومات والمشروبات عموماً، وذلك لا يكون إلا ممن يملك الكون ويقدر عليه، والذي يملك الكون ويقدر عليه هو الله سبحانه وتعالى. والآية تدل على أن الرزق من صاحبه بمنزلة النطق ملازمة وقرباً

(٣٠٠) المحرر الوجيز (١٤/١٧).

ويسراً وسهولةً، وكأنّ الرزق مع صاحبه ملازمةً له كالروح بالنسبة للإنسان فهو موجودٌ مقدر معلومٌ من الله تعالى مادام في الإنسان حياةٌ أو عِرْقٌ ينبض بالحياة، قال الرسول e : « إنّ روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله وأجْمِلوا في الطلب »(٣٠١) ، وقال e لحبة وسواء ابني خالد :« لا تيأسا من الرزق ما تهزَّزَتْ رءوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قِشْر، ثم يرزقه الله عز وجل»(٣٠٢).

وقال بعض المفسرين: (يعني ما قسمت من الرزق لكائن †ÚWÕ/ÎÕ¼ « ÜWéŠY†ÞÙØ/ÑÏÕK يعني كما تقولون: لا إله إلا الله، أو يعني: كما أن قولكم: " لا إله إلا الله حق" كذلك قولي "سأرزقكم" حق. ويقال: معناه: كما أن الشهادة واجبة عليكم فكذلك رزقكم واجب علي)(٣٠٣).

ولكن لماذا جاءت في هذه الآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها هذه المؤكدات القوية والتي فيها القسم من الله تعالى في أسلوب قوي؟ أو ليس المسلمون يقرون بأن الرزق بيد الله؟ وهل هناك من أنكر أن الله هو الرزاق حتى يقسم الله تعالى؟ ولماذا يقسم الله تعالى وهو مالك الملكِ والخلقِ والرزقِ، والأمرُ أمرُه والخلقُ خلقُه؟ أما كان يكفي أن تقرر القضية على صورة خبر مجرد ليس فيه

---

(٣٠١) رواه البزار في البحر الزخار (٣١٤/٧-٣١٥ رقم ٢٩١٤) من حديث حذيفة، وانظر ص (٢٦).

(٣٠٢) سبق تخريجه في (٢٨).

(٣٠٣) بحر العلوم (٢٧٧/٦).

أي تأكيد، فيؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر والله غني عن العالمين؟.

وجواب ما تقدم أن هذه الآية الكريمة جاءت بهذه المؤكدات؛ لأنّ المقام يستدعي ذلك إذ أنّ النّاس ضعفاء أمام قضية الرزق إلا من رحم ربي. والشيطان اللعين – أخزاه الله – يدق – بالليل والنهار بالسر والجهار – على جدار عقيدة الرزق ليوجد له فيها منفذاً ينشر من خلاله كفره وباطله بالتخويف بالفقر والتيئيس من رحمة الله وسوء الظن به تعالى في أمر الزرق، قال الله تعالى: ¼ @Ö ~Ð ÍdYŠ ÑYŠ {SØ@ÿÆÿWÐ§W ËÖ {SØ@ÿÆÿWÐ™V TÿŸ » [304] كما يُجَنِّدُ الشيطان أناسي كثيرين من ضحاياه ويستعملهم أبواقاً ينشرون كفره وباطله بشتى الوسائل فتراهم يخوفون الناس من المستقبل مع أن المستقبل لا يعلمه ولا يملكه إلا الله تعالى، ويجعلون الأسباب كأنها مالكة لأمر الرزق، قاتلهم الله أنيَّ يؤفكون قال تعالى: ¼ ÒV¶ p {ŸÙÙÀW Q•p£ SÝ ÝÃÊ ÆÆÅàŽÝÜÝŠÓ é‹Šé û ÆÆ, ÒÝY Š†Ÿ (٥) » [305] ومشكله كثير من المسلمين اليوم - وما أكثر مشاكلهم - أنهم أشْقَوا حياتهم بإشْقاء أنفسهم من خلال كثرة سماعهم لتلك الأبواق التي تعرض موضوع الحياة والرزق من منظور إلحادي شيطاني لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

والمسلمون يقر كثير منهم بالقول: بأنّ الرزق بيد الله ولا ينكرون ذلك، ولكنهم في ممارساتهم اليومية لشئون معاشهم وسعيهم لتحصيل أرزاقهم يلاحظ عليهم في سلوكهم

---

(٣٠٤) سورة البقرة (٢٦٨).

(٣٠٥) سورة الكهف (٥).

كأنهم منكرون لذلك، ولذلك تجد أمثال هؤلاء لا يمثلون سلوك المسلم الواثق بموعود الله في أمر الرزق، فإذا قطع مرتَّب أحدهم مثلاً قال على الفور: قطعوا رزقي. وفي سبيل هذا المرتب والوظيفة تجده يخضع ويكذب ويذل ويتصاغر لرئيسه، ونسي هذا المسكين المعذب أن رئيسه هذا ليس إلا فقيراً مثله، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بَلْه أن يملك ذلك لغيره.

وتجد أمثال هؤلاء إن كان عنده مصنع أو متجر أو مزرعة أو عمارة لا يستحي من ربه أن يقول وكأنه يفتخر بذلك: لولا هذا المصنع... أو ... أو ... إلخ، لهلكنا أو لافتقرنا، وينسى هذا وأمثاله أن المصنع والمتجر والمزرعة والعمارة وغيرها ما هي إلا أسباب يسرها الله تعالى سبباً للرزق، والرزق ليس في شيء واحد منها بدليل أن هذه الأشياء قد تزول وتفوت بسبب من الأسباب - بأمر الله - ومع ذلك يظل مَنْ فَقَدَها يأتيه رزقه بسبب آخر يهيئه له ربه الذي خلقه وتكفَّل برزقه، ويشبه هؤلاء من يظن أو يقول: لولا شهادتي العليا ما حصلت على دخل محترم، ونسي هذا المسكين التائه أن دخله هذا الذي أراده الله له زماناً ومكاناً سيأتيه ولو لم تكن لديه شهادة عليا، فالشهادة العليا وسواها لا تأتي برزقه من عندها، ولذلك ترى من الناس من إذا أراد الله أن يغير سبب رزقهم فإنه يهيء نفوسهم للتوجه إلى العمل في ميدان آخر ليس سبيله الشهادة العليا مثلاً؛ وبسبب ذلك كله وغيره أقسم الله تبارك وتعالى؛ لأن القسم وهو من أقوى أنواع التأكيد – خاصة حين يكون من الأعلى أو ممن يملك – يناسب حالة كثير من الناس وهم منغمسون في غمرة الحياة لاهين أو شاردين عن حقيقة أن الرزق بيد الله وحده وأنه سبحانه هو الرزاق لا غيره، ورحم الله ذلك الأعرابي الذي بسط قضية الرزق في نفسه إيمانيا بفطرته النقيّة فأشرقت نفسه بحقيقة أن الله هو الرزاق،

روى الأصمعي قصته بقوله: (أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابيٌ جلفٌ جافٌ على قَعُودٍ له متقلداً سيفَه، وبيده قوسُه، فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت من بني أصمع. قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم. قال: فاتل علي منه شيئاً فقرأت ¼ ÈŒWVÆEHWJKP0@W... « إلى قوله ¼ ÙÑŠ¦Y YªÙWÐ0@ÁW... « (٣٠٦) فقال: يا أصمعي حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعنِّي على توزيعها، ففرَّقْناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرَّحْل وولَّى نحو البادية وهو يقول: ¼ ÙèŠŠ†ÙW ÑŠ¦Y YªÙWÐ0@ÁW... « (٣٠٧)، فمقتُّ نفسي ولُمْتُها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحلٌ مصفرٌ، فسلّم عليّ وأخذ بيدي وقال: اتل علي كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت ¼ ŒEHWJKP0@W... « حتى وصلت إلى قوله تعالى ¼ ÙèŠŠ†ÙW ÑŠ¦Y YªÙWÐ0@ÁW... « فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقاً، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله تبارك وتعالى: ¼

(٣٠٦) سورة الذاريات: (١ - ٢٢).

(٣٠٧) سورة الذاريات: (٢٢).

ÜéŠŸÞŽØÑŒKtÚWÔTÝóþÚTWÖ IâŠKK³ ¤Kô@ÜØÚtÜŠ©Ö@ãtWÊWV » (٣٠٨)، قـــــال

فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله مَنِ الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدِّقوه في قوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثا، وخرجت بها نفسه)(٣٠٩) .

فقد عَمَرَ الإيمان قلب هذا الأعرابي فعبر بعفوية عما تجيشُ به فطرته الإيمانية تجاه قضية الرزق التي سقط في دائرة الشك فيها كثيرون اليوم صرعى الضلال الشيطاني ¼@Ö0-ð`ÍÏŠÝÅŸ[ SÓ@ÚÏÝXËVŠSÅŸ[ SÓŠÙÐ@ÚŸÞÙ™Vºt Ÿ » (٣١٠)

فقالوا على الله مالا يعلمون، وفرق كبير بين من عمرت فطرته بالإيمان — وإن لم يكن ذا حظ من علم أو مادة — وبين من انحرفت فطرته الإيمانية فلم تنفعه إمكانياته التي أتيحت له من علمٍ وسواه، وصدق الله القائل: ¼ÙV ÝÚYVÝ ÐD

KŠKÉVWÙtÜÚ~1DÐŠéšŠ†ÚÝÓÚKÚXÝKWÚ† ÐÞŒÉŠÏŠTŸ×ŸÚ÷ VÚ@ëÏÑÍÚIMî VWÙV@ÒXÚ,ÛÙŠ

.(٣١١) » ÙÏÑÍÝŸÝVWÕVŠŠ‡é¤_ÏVÈäŸ÷ŸŠÝŸÚVŠWÝÚŸ ŸÝŸÊV‡WŸ†

قال لقمان لابنه وهو يوصيه فيما جاء خبره في القرآن الكريم: ¼ÙŠÙÝÚVÝð

IÙXŠÝXÝÚŸ ÐDŸ Ý†óŸVŠÑÝàÙÝŸŠÝŸŠÚÝÙÑŸÝ Á VW •ÙÑÏŠÉè Á@ÖÙÏÙÝŸÙ. ŸKéè Á

(٣٠٨) سورة الذاريات: (٢٣).

(٣٠٩) تفسير القرطبي (٤٢/١٧).

(٣١٠) سورة البقرة: (٢٦٨).

(٣١١) سورة الشوري: (٥٢).

@ÌÏ¤ Ï³ÂVÍKY ÝÂÆ@ÐÂQÆÍ@ÕÍVÏVÏY~ÈeVÎYÏk¢ «[٣١٢].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (المعنى: وقال لقمان لابنه: "يابني" وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدرة الله تعالى، وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه؛ لأن الخردلة يقال إن الحس لا يدرك لها ثقلاً إذ لا ترجح ميزاناً — أي لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، أي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض وعن اتباع سبيل من أناب إلي)[٣١٣].

ويلاحظ أن آية الرزق في سورة الذاريات جاءت بعد قوله تعالى ¼ÀÁ

@ÌÏ¤ Ï³ÂEÍtPÎÙéÎÝÏÛ (٢٠) ÎûÏÜÍÕÎÑ ÝÏÂÍÍ ÎÔÍ ÕÍÑÇÍ ÏÔÎ (٢١) «[٣١٤] وهمـــــا آيتان تتحدثان عن الدعوة إلى التبصر والتفكر في آيات الله تعالى ودلائل قدرته وعظمته في خلق الأرض والأنفس وذلك أمر له صلة بهذا المخلوق الإنسان الذي خلقه ربه سبحانه وتعالى وخلق له كوناً يصلح لحياته ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وإن ذلك ليستدعي الحديث - في إيجاز - حول هاتين الآيتين لتظهر المناسبة بينهما وبين آية الرزق التي هي موضع الحديث.

فمن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى في خلق الأرض أن جعلها مهاداً

---

(٣١٢) سورة لقمان: (١٦).

(٣١٣) تفسير القرطبي (٦٦/١٤).

(٣١٤) سورة الذاريات: (٢٠ - ٢١).

ليستقر عليها الإنسان والحيوان، فإنه لابد لهما من مستقر، ولا غنى لهما عن قوت فجعل الأرض محلاً لقوتهما وسكنا يكنفهما من الحر والبرد، وجعل ظهرها بيوتاً للأحياء، وبطنها بيوتاً للأموات ولدفن ما يستقذر رائحته من الجيف والأقذار من أجسام بني آدم، فهي كِفَاتٌ لهم أحياء وأمواتاً. ومنها أن جعلها مذللة لتسهل حركة الخلق فوقها لطلب مآربهم فهي موضوعة لبقاء النسل من جميع أصناف الحيوان والحرث والنبات.

ولكي تتيسر مصالح الخلق فوق الأرض جعلها الله تعالى مستقرة ولو كانت رجراجة لما أمكن الهناء بعيش فوقها، ومن عرف الزلزال عرف قيمة نعمة استقرار الأرض بأمر الله تعالى. قال تعالى: @¼ ŸÜ@Ø ÷ ŸÛÚÅW ¨S@ØÍŽ¤ ³ð

» ŸÚ_¤ V@Ö0ö ÙŽ†Ï†ŽÖ_Ö¥ÀŸW¨ {SÙÛÅÚ šŸÖŸŸ ŸW¨ {SÙŸÚŸÚÑÙØÏÚ@0ö ÜÏŸÐ Ð «

(٣١٥)، هيَّأ الأرض والسماء للإنسان، فأخبر عن خلقه ورزقه. ومن الآيات في خلق الأرض أن الله خلق فيها من المعادن وما يخرج من أنواع الجواهر المختلفة في منافعها وألوانها مثل: الذهب والفضة والياقوت والزمرد، والحديد والنحاس والقِزْدِير والرصاص والكبريت والزرنيخ والرخام والجبس والبترول، وهذه الآيات - وغيرها كثير يطول ذكرها - كلُّها تأتي في دائرة رحمة الله تعالى وعنايته بخلقه بتيسير سبل حياتهم فوق هذه الأرض وتسهيل أمر رزقهم، ونجد في قول الله تعالى ¼ ŸÜŸ

@ŸÜ ÷ ŸÛÚÅÑ@ØÍŽ¤ ³ð ŸÛé•‚ŸÚ†ÛŠ ÅÙŸ†ÒÛŸW¨ {SÛÝŸÚÚÏ{ŸÜ-ŸÜŸÜ~Ÿ

(٣١٥) سورة غافر: (٦٤).

@R§Sé§ »[٣١٦]، ما يدل على أن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً، ودعا خلْقه بناء على هذا التذليل إلى الاستفادة منه كنعمة عظيمة من الله، وذلك بأن أمرهم بشيئين: المشي في أطرافها والاستفادة مما فيها من الخيرات، والأكل من رزق الله الذي يسر سبله برحمته وإحسانه، والله تعالى الذي خلق الأرض هو خالق السماء، ولكن أين خلق الإنسان والناس من خلق الأرض والسماء؟ إن القرآن يقرر أن خلقهما أكبر من خلق الناس، قال الله تعالى: ¼ V@Ã@ô@À@Q@N@W@Y@. g

@V@o@K@¤ ³@X@{ @V@S@Y@Y@V@V@X@@@R@† @S@V@V@R@Ñ@Õ@Q@X@{ @V@V@@@R@† @S@V@V@Y@Ä@S@Ú@S@ä@Ù »[٣١٧] وإذا كان الأمر حقاً وصدقاً كما قرر القرآن الكريم فهل يعجز الله تعالى الذي خلق السماوات والأرضين وخلق ما فيهن وما بينهن، وقدَّر أرزاق مخلوقاته وأقرَّها فيهنَّ عن تدبير رزق هذا الإنسان في هذه المساحة الصغيرة من اليابسة فوق الكرة الأرضية؟

إنه لا يعجزه سبحانه شئ في السماوات ولا في الأرض، فهو العليم القدير بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، وماذا تشكل الأرض ككوكب صغير بالنسبة إلى باقي الكواكب والمجرات الهائلة العظيمة الخلق؟ إنها لا تشكل شيئاً إلا كما تشكل نقطة الماء بالنسبة إلى محيط متلاطم الأمواج. وهل يشكل هذا الإنسان وهو يعيش فوق تلك المساحة اليسيرة اليابسة فوق الكرة أية

(٣١٦) سورة الملك: (١٥).

(٣١٧) سورة غافر: (٥٧).

مشكلة بالنسبة لقدرة الله، حتى تصبح قضية تدبير أمر رزقه قضية يشك فيها، حتى ينزل وحي الله تعالى يحمل قَسَمَ الله الخلاق الرازق لِحَسْم هذه القضية، وأنها بيد الله تعالى؟ وأين يقع بنو الإنسان في عددهم فوق هذه (الكويرة) الأرضية، في هذا الحيز الصغير من اليابسة الذي يشكل ثلث هذه (الكويرة) فقط من عدد الملائكة ذوي الخلق العظيم الذين تفوق أعدادهم عدد الإنس بنسبة لا يمكن تقديرها ¼ [illegible] «[٣١٨] وجاء عن النبي e قوله: « أَطّت السماء وحق لها أن تئط [٣١٩] ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله »[٣٢٠].

والله تعالى لفت أنظار الخلق في آياته الكثيرة في خلق الأرض وفي تدبير أمر الخلق والرزق فيها؛ لأنَّ الأرض قريبة من الناس يرون فيها شيئاً من هذه الآيات، وهم ليسوا سواء في التدبر والتفكر، وليسوا كلهم مؤهلين لإدراك هذه الآيات، بل الموقنون فقط هم المرشحون لذلك.

والتفكر والتدبر في آيات الله في كونه الفسيح أمر مطلوب إيمانياً، ولكي

---

(٣١٨) سورة المدثر: (٣١).

(٣١٩) الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلتها حتى أطت، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة. لسان العرب : (٧/ ٢٥٦ ).

(٣٢٠) أخرجه أحمد في المسند (١٧٣/٥) والترمذي في السنن (٤٨١/٤ رقم ٢٣١٢) واللفظ له، وابن ماجة في السنن (٤٦٤/٤ رقم ٤١٩٠) من حديث أبي ذر. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب". وحسن إسناده محقق جامع الأصول (١٣/٤).

لا يكون هناك تباعد بين الإنسان المؤمن وبين التفكر في الكون فقد أقام الله تعالى لهذا الإنسان عالماً صغيراً يحكي قصة العالم الكبير ويعكس ما فيه، ذلك العالم الصغير هو نفس الإنسان [illegible] «[٣٢١]؛ (لأن نفس الإنسان مجمع الموجودات، فمن عرفها فقد عرف الموجودات، ولذلك قال الله تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible] «[٣٢٢] ، تنبيهاً على أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها عرفوا لمعرفتها حقائق الموجودات فانيها وباقيها، وعرفوا بها حقيقة السماوات والأرض، ولما أنكروا البعث الذي هو لقاء ربهم)[٣٢٣].

والصلة بين آية الرزق وبين الآيتين اللتين قبلها تتبدى في مظاهر كثيرة منها: أن خلق الإنسان بهذا الإبداع في الخلق والعناية بالمخلوق لهو دليل الإكرام، فمثلاً لم يجعل الإنسان يسعى لطعامه كما تسعى الحيوانات، وإنما ميزه بعقل

---

(٣٢١) سورة الذاريات: (٢١).

(٣٢٢) الروم: (٨).

(٣٢٣) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب (٦٢).

ونحن في بحثنا عن موضوع الرزق في القرآن لا نتكثر بالحديث عن أسرار خلق الإنسان وأهمية معرفة هذا الإنسان نفسه فقد أوسعنا الحديث عنه في بحثنا (دلائل الوحدانية والقدرة في سورة الذاريات) ونكتفي هنا بالربط بين آية الرزق [illegible] « وبين ما قبلها وما بعدها من آيات لها بها صلة.

وقلب، وجعل له قواماً وجوارح يباشر بها حركته في سعيه لطعامه، وإذا كان الذي خلق الأرض ومهدها وجعلها صالحة للحياة هو الذي خلق الإنسان وصوره فأحسن صُورته فهو بلا شك الذي يملك رزقه ولا يملكه سواه، فهو وحده الحقيق بالعبادة والشكر، ولذلك نعى القرآن على الذين يعبدون الأوثان؛ لأن أوثانهم لا تملك لهم رزقاً. قال تعالى: ÙéŠÕ`• ÏÅ†_Þ‡ËÊÕ @ÕèS ÝÝ f û èŠŠÅÌ†ÙÌÎ¼

ŴÞ ÑéÅÞ@†_Þ¦×ØÑÕÙéÑÕÙ@ÕèS ÝÝ ÙéŠŠÅÌÝÝ@Ù û ÐÞÕ×ÐÞ

@ÕÕ@ÛÕ@ÙŠŠ@ÑéÑ®@Ù×ÕÞÅ f û éÅÅ « [٣٢٤].

والدعوة إلى التفكر في آيات الله تعالى في الأكوان والأنفس منهج قرآني، وقد جاءت آيات كثيرة تدل على هذا المنهج ومنها قول الله تعالى: ØÑÕÙ ØÑÕÝÝ ÝÝÝ@ØÑÕ ÷ ÝÝ@ØÑÕ ÑéŠ@Ş †Ù@ÕÙÅ¼

ÕÙ@Ò÷ÝÝ@ÝÝ ÕÙÙ@†ÕÙÕ@Ù®.ÙÕ ¤Õ@ØÑÕÙÕ ÷ ÝÙ@(١) ÙéŠÕ

ØŠÕ _ ÙÕ ÕÕÝ ÑéÙ ð ÕÙ ØÑÕ †Îþ g .ÙÕ@ÝÝ -ÕŠÝ ÙÕÙ ò†Ù

ÕÙÅÙ f û éÅ (٢) » [٣٢٥].

وملك الرزق دليل القوة والعظمة والقدرة والألوهية والوحدانية، ولذلك جاء قوله تعالى ÕÙÕ@Á ÕÙ¼ ÕÙ Ñ¦ ÙéŠÙéŠ†ÙÙ (٢) ÕÙ@Ù ÕÙ

(٣٢٤) سورة العنكبوت: (١٧).

(٣٢٥) سورة البقرة: (٢١ - ٢٢).

ÁŴ¼ بعد قوله تعالى ‎(٣٢٦)‎ « (23) ÜŴÉSY ÞŽØ ÑQK ÚÛ ÝÒQÜ ISKX³ ¤K.@W

إيماء إلى ‎(٣٢٧)‎ « (21) ÜŴÉSY ‰ŠŠǫ ÊKÝ ÑY©ÉSKõ ÊŴ (20) ÜWYéÒSPtEHjM X³ ¤K.@

أن قضية الخلق والرزق متلازمتان، فمن خلق فهو يرزق، والله وحده خالق الخلق

ورازقهم ¼@.SW÷ YW¥ ÝÛ ÔåVØÑg-Ēm ǰRØS| SÙŠ ǰRØÑÛ‰W ǰRØÑÚŴ ÷

†ÒŴ øÕHÅŽÒV ISÂWöTS àø®V ÝQ ØÑÜ.V ÝÛ ÔÅéÉjW ÝQ ØÑKW{ £WS

على الأرض تقديم أسرار إلى تفسيره في الرازي ألمح وقد .‎(٣٢٨)‎ « ÜŴÉRÞ-Š

الأنفس، وتقديم الأنفس على الرزق فقال: " وفي الآيات الثلاث ترتيبٌ حسن،

وذلك لأن الإنسان له أمور يحتاج إليها لابد من سبقها حتى يوجد هو في نفسه،

وأمور تقارنه في الوجود، وأمور تلحقه وتوجد بعده ليبقى بها، فالأرض هي المكان

وإليه يحتاج الإنسان ،ولابد من سبقها فقال: ¼ÁŴ@.K¤ ³X MjHEt « ثم في نفس

الإنسان أمور من الأجسام والأعراض، فقال: ¼ŴÊõKS©YÑ ỳ « ثم بقاؤه

بالرزق فقال: ¼ÁŴ@.ÖÛŴ ÝY¤¦SÑ ỳ « ولولا السماء لما كان للناس البقاء‎(٣٢٩)‎.

وخَلْقُ النفس وما فيها من آيات كثيرة دليل على قدرة الله تعالى وألوهيته

---

(٣٢٦) سورة الذاريات: (٢٢ - ٢٣).

(٣٢٧) سورة الذاريات: (٢٠-٢١).

(٣٢٨) سورة الروم: (٤٠).

(٣٢٩) تفسير الرازي (١٤/٢٠٨).

ووحدانيته، وقد خلق الله الإنسان بصورة تدل على كرامة هذا الإنسان عند الله ومكانته، ودل خلق الإنسان وحاله على أنه لا يبقى ولا يعيش إلا بالطعام والشراب، والكساء والإيواء، فهيَّأ له الأرض ليجد فيها ما يقيم به حياته، ودعاه إلى السعي وبذل الأسباب مع التوكل عليه، وضمن له رزقه وجعله معلوماً عنده سبحانه، يأتيه بأمره تعالى وتقديره في الزمان والمكان اللذين شاءهما سبحانه وتعالى، وقد أوجد الله تعالى كل ما في العالم للإنسان كما نبَّه بقوله: [illegible] »[330]، وقال: [illegible] »[331] وقال: [illegible] »[332] وقال: [illegible] »[333].

(٣٣٠) سورة البقرة: (٢٢).

(٣٣١) سورة النحل: (٥).

(٣٣٢) سورة الجاثية: (١٣).

(٣٣٣) سورة النحل: (١٠، ١١، ١٢).

وأباح جميعها لهم كما نبَّه بقوله: ¼ $ÔÚÙÚÓÔVŴ¥ ŴŖ¥ÑÚ@ YÓÔŴ@ ŴÔŴ• ÔÓ ŴÕÎŴ¥ ŴŴÙ

ŴŴÍŴŸŸ-@ŴÓ ŴÔ@ ŴÔ£ Ŵ ÑÓ@ ŴŴ ¦ ¦Ŵ » [٣٣٤] فللإنسان أن ينتفع بكل ما في العالم على وجهه، إما في غذائه أو في دوائه أو في ملبوساته ومشموماته، ومركوباته وزينته والالتذاذ بصورته ورؤيته والاعتبار به واستفادة علم منه، والاقتداء بفعله فيما يستحسن منه، والاجتناب عنه فيما يستقبح منه.

وجاء بعد آية الرزق قوله تعالى ¼ ŴÔŴÓŴÔŴ Ŵ ŴŴŴ ŴŴ ÕŴ ŴŴ ŴŴ ŴŴ ŴŴŴŴŴŴ ŴŴ

@ŴŠŴŴŴŴ f û » [٣٣٥] والمناسبة لمجيء هذه الآيات بعد آية الرزق واضحة، فالله تعالى قد بَشَّر في هذه الآيات نبيه إبراهيم على لسان الملائكة بغلام عليم حليم، ولا شك أن الذرية رزق من الله تعالى، ولكن هذا الغلام رُزِقَه إبراهيمُ - عليه السلام - وزوجُه هاجرُ بعد بلوغهما سن العجز والشيخوخة، ومعنى ذلك أن أسباب رزقِهما الولدَ قد انتفت في حقهما، ولكنهما مع ذلك رُزِقا من الله تعالى غلاماً عليماً حليماً ليوقن المؤمنون ويعلم غيرهم أن الناس وإن كانوا مأمورين بالأخذ بالأسباب في تحصيل رزقهم إلا أن هذه الأسباب ليست كل شيء، فهي لا تعدو كونها أسباباً خلقها الله ولم تخلق نفسها، فإن شاء أوجدها كلها أو بعضها، وإن شاء أعدمها كلها أو بعضها، وإن شاء أوجدها وأوجد ما يضادها

---

(٣٣٤) سورة الأعراف: (٣٢).

(٣٣٥) سورة الذاريات: (٢٤).

أو يبطلها، وإن شاء أوجد ما يترتب عليها بدون وجودها كما في قصة رزق إبراهيم هذا الغلامَ العليمَ الحليمَ، فإن أسباب حصول الذرية قد انتفت في حق إبراهيم وزوجه ولكن الله تعالى إذا أراد الشيء فإنما يقول له: (كن فيكون) وقد أراد الله أن يرزق إبراهيم وزوجه الولد فكان ما أراد، ولذلك كان عجب الزوجة من الأمر ما قد سجله القرآن: ¼ ø ÕÅŠ WW¨ WŠ þé S ŸE ƒ W ŠðÑ Ý ø W Ŵ ó W ŒE Ö ƒ Ŵ ‰ «  t ˆ ~ ¥ ŸE è ø W W ¨ W ‰ Ü ŸK [ • ˜ ŸW » (٣٣٦) والملائكة الكرام - عليهم السلام - أجابوها بأن الأمر تم على مستوى طلاقة القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء ¼ Ÿ @ Ú K ó Ý Ŵ W Å Ž K Ÿ ® Ŵ » (٣٣٧) وفي سورة الذاريات جاءت القصة مختصرة انسجاما مع خصائص الوحي المكي في الإيجاز، قال تعالى: ¼ Ô ŸW ŸK Ô Ð

ã Û ŸE ŸK ® ŸW ¢ K (٢٤) f û ŸK ÑŸK @ W ŸK ç ˜ Ÿ ñ ÿ Ÿ

Ŵ ` • ÅŠ Ÿ ð † W Ÿ - ã ŸK ø ŸK ŸE (٢٥) Ü è E Ñ Ç ö Ÿ Ø Ú † Ù Ÿ ® Ÿ

à ŸE Ž Ø Š ð W è ŸE (٢٧) f û é Ÿ ŸK W , W Ú Ŵ Ø ŸK ŸE (٢٦) Ÿk Ü Ÿ

Œ Ê Ÿ Ÿ Á I Š ŸE @ ŸE Ÿ (٢٨) ¥ ~ Ÿ ØŸ Ÿ Š E Ÿ W Ÿ W ŸK ®

(٣٣٦) سورة هود: (٧٢).

(٣٣٧) سورة هود: (٧٣). وقد سبقت الإشارة على أن الآيات تسع باعتبار مجيء لفظي (البسط، والقدْر) فيها، وليس ذلك في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة، وهي عامة تشمل الرزق وسواه وليست مشتملة على لفظ المشيئة، والآيات التسع النص فيها على بسط الرزق وقدْره.

ÑÖVWöÄ@ÇÝŠ I5ŠRKÞ ŘÒ ÚÏWÎVÞ ÜÞÏÓ NéÕRÎV (29) Ø~ÝVVÇéS ÌVpÇÉÙ'ÎVV'ÌÆV–ÙV

@ÜÃÖ~Ñ (30) « ويلاحظ أن إجابة الملائكة هنا فصلت شيئاً عما جاء في إجابتهم في سورة هود مما سبقت الإشارة إليه قبل قليل.

فبينوا هنا إجابةً على استغراب زوجة إبراهيم لما أحست بالنفاس يسري في جسمها وصكّت - لطمت- وجهها وقالت: عجوز عقيم! أي كيف تلد عجوز عقيم ؟! وهي غير مخطئة في استغرابها لأنها لم تعلم أنهم ملائكة الله أرسلوا ليبشروها وزوجها بأمر الله بهذا الغلام الحليم العليم، فكانت إجابة الملائكة – عليهم السلام – بأن الأمر قد تقرر بحكمة الله وعلمه فهو سبحانه الذي يقول للأمر كن فيكون، وأنتما على حالكما تلك، وأن هذا الأمر ليس عبثاً أنْ يتم لكما في هذه السن المتقدمة؛ لأن ذلك هو ما اقتضاه علم الله وحكمته، وذلك هو ما يصلحُ به حالكما وحالُ الغلام المبشَّر به وليس قبل ذلك ولا بعده. فالله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً يعلم ما فيه صلاح حالكما في هذا الأمر، وأن الذي يصلح لكما وينصلح به حالكما وحال الغلام المبشر به هو أن ترزقا به في هذا الوقت وليس قبله أو بعده. قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى NéÕRÎV¼ ÜÞÏÓ ÚÏWÎVÞ ŘÒ I5ŠRKÞ ÇÝŠ@ÑÖVWö~Ñ@ÜÃÖ~Ñ »[٣٣٨] أي عليم بما تستحقون من الكرامة، حكيم في أقواله وأفعاله[٣٣٩].

---

(٣٣٨) سورة الذاريات: (٣٠).

(٣٣٩) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٦).

إن المؤمن حين يتبصر هذه القصة تسكن نفسه إلى واحة الإيمان، فيشعر بفيض هذا الإيمان ينسكب في أعماق وجدانه، فتمتلئ جوانحه طمأنينة وسكينة ويتطامن إلى علم الله وحكمته الشاملين، فيفزع إلى الله ويلوذ به طالباً منه العون والثبات على طريق الإيمان به والثقة في موعوده، فسبحان من وَسِعَ كلَّ شيء حكمة وعلماً.

ويجيء قول الله تعالى في آخر السورة ¼WèV†ÚVWZ†Î‚0E@¤ÝÒÖ@Ø,ß ´XM,

WÜSÅ©SXeÙ (56) ÙÛV†TÚ ×óÜ†XÜÞ Ø©ß ÜØ@ÝÖ ©ÙÚVêÅ ×TÚ †TÚ ×óÜ†XÜÞ ÜSÖ ÝÙ†ÝÜ@ÝÖ ÙÝÙÖ@Ù (57) KØQ@VÜ ÜÖ@Ò¦WÆ

@ÖÝÖ@Ý Ò Ö@Ò@Ù@ÖÝÖ@ÖÝÝÜ (58) « [٣٤٠] متصــلاً بمــا ســبق غايــة الاتصــال ليُشــعِرَ المؤمنين بمسئوليتهم تجاه ما تستوجبه هذه المسئولية من أداء الحقوق الواجبة لله تعالى والتي منها - كما بينت هذه الآية - عبادة الله تعالى (والعبادة أبلغ من العبودية؛ لأن العبودية إظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال)[٣٤١].

و(العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنــون مــن الفــريقين، دليلــه الســياق ¼WèV ×Ó@ÜÖÖÜ ÜÚ{ ÙÜ{ ÜÖÜÙÛ

(٣٤٠) سورة الذاريات: (٥٦ - ٥٨).

(٣٤١) تنوير الأذهان للبروسي (١٥٤/٤).

@ÕèÙŸÝk û f « [٣٤٢]، وقراءة ابن عباس - رضي الله عنهما - وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين)[٣٤٣]، وقد يكون معنى الآية ( إلا لآمرهم بالعبادة ) وهو منقول عن علي - رضي الله عنه - [٣٤٤]. والأمر يقتضي الإرداة الشرعية وليس الإرادة القدرية.

ومعنى الآية: (أي وما خلقت هذين الفريقين إلا لأجل العبادة وهي قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الأوامر والنواهي، أو: إلا لأطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة في كتبه المنزلة على أنبيائه، وقد ذهب أهل السنة إلى حمل هذه الآية على الأمر التكليفي الطلبي دون الأمر الإرادي وإلا لم يتخلف المراد عن الإرادة)[٣٤٥].

وقال صاحب أضواء البيان: (التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة ¼ÐÙ,ÏÙÅÙŠÙeÙ « أي إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم، أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية؛ لأنّه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه

---

(٣٤٢) سورة الذاريات: (٥٥).

(٣٤٣) تفسير النسفي (١٨٨/٤).

(٣٤٤) نفس المصدر (١٨٨/٤).

(٣٤٥) تنوير الأذهان للبروسي (١٥٤/٤).

خلقهم ليجزيهم بأعمالهم)[٣٤٦].

وقال رحمه الله: (والحاصل أن الله دعا جميع الناس على ألسنة رسله إلى الإيمان به وعبادته وحده وأمرهم بذلك، وأمره بذلك مستلزم للإرادة الدينية الشرعية، ثم إن الله جل وعلا يهدي من يشاء منهم، ويُضِلُّ من يشاء بإرادته الكونية القدرية، فيصيرون إلى ما سبق به العلم من شقاوة وسعادة، وبهذا تعلم وجه الجمع بين قوله: ¼ VÚÜVÝ VWÙ†ÝVÆV ŶÝ ÛV ¤k_ Ü @Û@Õ ÛÛÝ@Õ ß,X «[٣٤٧] وقوله: ¼ VÜV†ÜVŽ ÎÍ@ÕÛ ÜV «[٣٤٨] وبين قوله ¼ VÚÜV†ÛVŽ ÎÍ@Õ@ ÛV «[٣٤٩]، وإنما ذكرنا أن الإرادة قد تكون دينية شرعية وهي ملازمة للأمر والرضا وقد تكون كونية قدرية وليست ملازمة لهما؛ لأن الله يأمر الجميع بالأفعال المرادة منهم ديناً ويريد ذلك كوناً وقدراً من بعضهم دون بعض كما قال تعالى: ¼ VÚÜVÝ VÙ†ÝVÆV ŶÝ SÛ ¹ Ý†ÃÝ ÛÜ@Õ ß «[٣٥٠]

فقوله: ¼ ÛÜ SÛ ¹ Ý†ÃÝ « أي فيما جاء به من عندنا؛ لأنه مطلوب مراد من المكلفين شرعاً وديناً وقوله: ¼ ÛÜ@Õ ß « يدل على أنه لا يقع من ذلك إلا ما

---

(٣٤٦) أضواء البيان للشنقيطي (٦٧٣/٧).

(٣٤٧) سورة الأعراف: (١٧٩).

(٣٤٨) سورة هود: (١١٩).

(٣٤٩) سورة الذاريات: (٥٦).

(٣٥٠) سورة النساء: (٦٤).

أراده الله كونـاً وقـدراً والله جـل وعـلا يقـول: ¼ @W ÿÿÿÿ ÿÿÿÿÿ gy  
WYÿÿ ÿÿÿÿ ÿÿÿÿ ÿÿÿ » [٣٥١]، والنبي e يقول: «كل ميسر لما خلق له»[٣٥٢] والعلم عند الله تعالى)[٣٥٣].

"وقيل: العبادة بمعنى التوحيد، بناء على ما روي عن ابن عباس أن كل عبادة في القرآن فهي توحيد، فالكل يوحدونه تعالى في الآخرة، أما توحيد المؤمن في الـدنيا هنـاك فظـاهر، وأمـا توحيـد المشـرك فيـدل عليـه قولـه تعـالى: ¼ R ÿÿÿ  
ÿÿÿÿ ÿÿÿÿ ÿÿÿÿ ÿÿÿÿ » [٣٥٤] "[٣٥٥].

( وقـال ابـن عبـاس - رضـي الله عنهمـا - أيضـاً: معـنى ¼ ÿÿÿÿ » ليتـذللوا لي ولقـدرتي وإن لم يكـن ذلـك علـى قـوانين الشـرع، وعلـى هـذا التأويـل، فجميـع الجـن والإنـس عابـد متـذلل والكفـار كـذلك ألا تـراهم عنـد القحـوط والأمراض وغير ذلك. وتحتمل الآية أن يكون المعنى: وما خلقت الجن والإنس إلا معدين ليعبدوني وكأن الآية تعديد نعمه أي خلقت لهم حواساً وعقولاً وأجساماً منقادة نحو العبادة، وهذا كما نقول: البقرة مخلوقة للحرث، والخيل للحرب، وقد

---

(٣٥١) سورة يونس: (٢٥).

(٣٥٢) سبق تخريجه في (٤٦).

(٣٥٣) أضواء البيان (٦٧٧/٧).

(٣٥٤) سورة الأنعام: (٢٣).

(٣٥٥) روح المعاني للألوسي (٢١/٢٧).

يكون منها ما لا يحرث وما لا يحارب به أصلاً، فالمعنى أن الإعداد في خلق هؤلاء إنما هو للعبادة لكن بعضهم تكسَّب صرف نفسه عن ذلك، ويؤيد هذا المنزع قول النبي e :« اعملوا فكل ميسر لما خلق »[٣٥٦] وقوله «كل مولود يولد على الفطرة» [٣٥٧] ) [٣٥٨].

وسواء كان معنى ¼Ŵ**ÅŠŠ**èŸ « ليعرفوني، أو يوحِّدوني، أولآمرهم بعبادتي، أو ليعبدني المؤمنون، فإن الخلاصة من ذلك بيان أن الله تعالى خلق خلقه ويسر لهم كونه وسبل رزقه لغاية مطلوبة منهم وهي عبادته وعدم الإشراك به فيوفَّق إلى هذه الغاية السعداء ويخذل عنها الأشقياء، والعبادة معنى واسع شامل يشمل حركة الخلق في حياتهم عبادة وسياسة، واجتماعاً واقتصاداً، ومعرفة وثقافة وأدباً، وسلماً وحرباً، فمعنى العبادة الخضوع وكمال الذل مع كمال الحب والانقياد، ويقال: طريق معبد، أي مذلل أي أن الحياة كلها يجب أن تكون معبدة لله تعالى في شتى مظاهرها، وبغير ذلك لا يتحقق معنى عبادة الله.

والقرآن يلفت الأنظار إلى أن ولاء الخلق بعضهم لبعض ناشئ على أن مصالح الموالين فيمن يوالونهم هي من الأسباب المباشرة في ذلك الولاء، وأخص المصالح وأقربها إلى نفس الخلق وأشدها تأثيراً فيهم هي مصلحة الرزق، والتي

---

(٣٥٦) سبق تخريجه في ( ٤٦ ) .

(٣٥٧) أخرجه البخاري في الصحيح ( ٤٦٥/١ رقم ١٣١٩)، ومسلم في الصحيح (٢٠٤٧/٤ رقم ٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

(٣٥٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٠/١٤ - ٤١).

أخصها الإطعام، فالخلق جد ضعيفين أمامها، وكذلك وجد ويوجد وسيوجد في الدنيا من الظلمة والجبابرة والطغاة من يتسلط على رقاب الناس ويذلهم بسب ذلك فيوالونه ويذلون له ويخضعون، واليوم يرى ويشاهد تسلط دول الكفر والإلحاد على رقاب كثير من المسلمين ودولهم وإذلالها لهم بسبب اقتصادي يتمثل في توفير القمح والطعام.

والله تبارك وتعالى في هذه الآيات يأمر خلقه بعبادته - وهو المستحق لذلك - ويبين لهم أنه قد تكفل برزقهم وإطعامهم، ولم يكلفهم أن يرزقوا أنفسهم أو يطعموها أو أن يرزقوا غيرهم أو يطعموهم، فهو سبحانه وتعالى الرزاق ذو القوة المتين، فقد استدل سبحانه وتعالى لخلقه على ألوهيته بأنه الرزّاق لهم حتى لا يشغلوا أنفسهم بكثرة التفكير في قضية الرزق فيعطوها أكثر مما تستحق، وهو أمر سيكون بلا شك على حساب الإيمان والعمل للآخرة. ولا شك أن في عبادة الله تعالى وكمال الذل له، والخضوع لعظمته والاتباع لأمره، تحريراً لإرادة العبد المؤمن من التبعية والانقياد لغير الله تعالى، ليرتفع بإرادته عبداً لله عن حضيض الدنيا وسفاسف المصالح الهابطة، فتسمو بذلك نفسه وتشرق بالخير والفضيلة إنسانيته، فيحسن السير على مدارج العبودية ليقف بين يدي ربه في الدنيا والآخرة لا يتجاوز أقدار العبيد أمام سيدهم وجبارهم وخالقهم ورازقهم، لينضم إلى السائرين في طريق العبودية من أنبياء الله ورسله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - ومن الصالحين الذين هم على هذا الدرب يسيرون.

وإذا ألقينا نظرة على أسلوب هذه الآية فإننا سنلاحظ الآتي:

قوة العبارة وجزالتها. وقوة الألفاظ في أداء المعنى المباشر المراد. وكثرة

المؤكدات. جوامع الألفاظ الدالة على جوامع المعنى المراد. الإظهار في مقام الإضمار، وتوالي الصفات، وأسلوب الحصر، وأسلوب التعريف، وأسلوب التعليل، والألفاظ التي تدل على القوة في الفعل، ففي قول الله تعالى: ¼ŴŴŴ†ŴŴŴÍ1Œ @ŴŴŴŴŴ ß,ŴŴ˙ ŴŴ,ŴŴÅŴŠŴèŴ « [٣٥٩]، نجد أسلوب الحصر واضحاً جلياً وهو (خبر مستعمل في التعريض بالمشركين الذين انحرفوا عن الفطرة التي خلقوا عليها فخالفوا سنتها اتباعاً لتضليل المضلين... والاستثناء مفرغ من علل محذوفة عامة على طريقة الاستثناء المفرغ)[٣٦٠]. وجملة ¼ŴŴ†ŴŴŴŸŴŴŴŠŴŴØŴŴÝŴŴ¦ŴŴŴ† ŴŴ×ŸŴŠŴŴ¸ŴpŴŴŴéŴ « [٣٦١] يتضح فيها جلياً نفي احتياج الله تبارك وتعالى لما يطلق عليه جنس الرزق قليلاً، كان أو كثيراً، فالنفي قد استغرق جميع أجزاء المنفي وآحاده على جميع الوجوه وفي كل زمان ومكان، وذلك دل عليه بمجيء حرف الجر (مِنْ) التي جاءت في سياق النفي بـ (ما) ولما كان المقصود نفي مطلق الرزق جاء بالاسم (فلم يقل بلفظ الفعل والمقصود في الإطعام الفعل نفسه، فذكر بلفظ الفعل ولم يقل: وما أريد منهم من طعام)[٣٦٢].

والجملة بذلك هي تقرير لمعنى ¼ إلاŴŴÅŴŠŴèŴ « بإبطال بعض العلل

---

(٣٥٩) سورة الذاريات: (٥٦).

(٣٦٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥/٢٧).

(٣٦١) سورة الذاريات: (٥٧).

(٣٦٢) تفسير الرازي (٢٣٥/١٤).

والغايات التي يقصدها الصانعون شيئاً يصنعونه أو يتخذونه، فإن المعروف في العرف أن من يتخذ شيئاً إنما يتخذه لنفع نفسه.

وقال ابن عطية: ( يكون الإطعام هنا بمعنى النفع على العموم، كما تقول أعطيت فلاناً كذا وكذا طعمة، وأنت قد أعطيته عرضاً أو بلداً يجبيه ونحو هذا، فكأنه تعالى قال: ولا أريد أن ينفعوني. فذكر جزءاً من المنافع وجعله دالاً على الجميع)[٣٦٣]، فقوله: ÜéÕÀþ ÿÕÜ ÍÕÿÕ×Ð ÚÙöË ¦ ÕÝÖØõÐÝ ÕÿÕ×Ð ÚÙ¼ « كناية عن عدم الاحتياج إليهم ؛ لأن أشد الحاجات في العرف حاجة الناس إلى الطعام واللباس والسكن وإنما تحصل بالرزق وهو المال، فلذلك ابتدئ به ثم عطف عليه الإطعام، أي إعطاء الطعام؛ لأنه أشد ما يحتاج إليه البشر، وقد لا يجده صاحب المال إذا قحط الناس، فيحتاج إلى من يسلفه الطعام أو يطعمه إياه، وفي هذا تعريض بأهل الشرك إذ يُهْدون إلى الأصنام الأموال والطعام تتلقاه منهم سدنة الأصنام)[٣٦٤].

ولعل تفسير الرزق في الآية بما يشمل المال وسواه، يعطي مساحة واسعة وبعداً لمعنى الرزق: فتفسير الرزق بأنه المال - كما ذهب إلى ذلك العلامة الشيخ ابن عاشور - فيه تضييق لدائرة معنى الرزق الواسعة.

وجاء في هذه الآية نفي الإرادة مرتين بنفيين مرتبين وذلك يدل على (أن ترتيب النفيين كما تضمنه النظم الجليل من باب الترقي في بيان غناه عز

(٣٦٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤١/١٤).

(٣٦٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨/٢٧) وروح المعاني للألوسي (٢٢/٢٧، ٢٣).

وجل)[٣٦٥].

ولعل في ذلك جواباً لمن سأل عن تقديم الرزق في طلب الإطعام.

وقد أثار الرازي في تفسيره - على عادته رحمه الله - سؤالاً فقال: ما الفائدة من تكرار الإرادتين، خاصة وأن من لا يريد من أحد رزقاً فهو لا يريد منه أن يطعمه في ذات الوقت؟ فأجاب عن ذلك قائلاً (إن السيد قد يطلب من العبد الكسب له –وهو طلب الرزق منه – وقد يكون للسيد مال وافر يستغني عن الكسب لكنه يطلب منه – أي من العبد – قضاء حوائجه بما له من المال وإحضار الطعام بين يديه من ماله، فالسيد قال: لا أريد ذلك ولا هذا)[٣٦٦].

وفي قوله تعالى [illegible] «[٣٦٧]، من القوة والتأكيد ما لا يخفى، فقد استهل بحرف - إنَّ - المؤكدة، ولفظ الجلالة (الله) إظهار في مقام الإضمار، و(الرزّاق) فَعَّال من الكثرة، أي كثير الرزق، و (ذو) تضاف إلى ما يراد تعظيمه و (ذو القوة) أظهر من قوي، و (المتين) أي شديد القوة و (هو) ضمير فصل للتأكيد والاختصاص.

وهذه الآية الكريمة كافية لوحدها في ترسيخ عقيدة: أنه لا رازق إلا الله لمن كان عنده عقل إيماني وله قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، فهي آية عظيمة

---

(٣٦٥) روح المعاني للألوسي (٢٣/٢٧)، وتفسير الرازي (٢٣٤/١٤).

(٣٦٦) تفسير الرازي (٢٣٤/١٤).

(٣٦٧) سورة الذاريات: (٥٨).

جليلة فيها صفات أربع للعظيم القوي سبحانه وتعالى، ولكن أين تلك العقول الإيمانية والقلوب المنشرحة بنور الإسلام لله، لتشرق بأنوار وأسرار ومعارف وعلوم هذه الآية الكريمة؟ فتهزم بذلك جنود القنوط والجمود والبخل وسوء الظن بالرزاق العظيم، فلا تمنع حين يمسها خير ربها، ولا تجزع حين يمسها القلُّ والتضييق في الرزق، فهي ليست قلوباً هلوعة ولكنها قلوب مطمئنة مستبشرة في الحالين، وذلك في وقت تحاطم الناس فيه على فتات هذه الدنيا، وتهارشوا تهارُش الدواب فقطَّعوا أرحامَهم لذلك وكلَّ ما أمر الله به أن يوصل، وهم سكارى بفتنة المال وما هم بسكارى حقيقة ولكن حب الشيءِ يعمي عن مساوئه.

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أنه جاء فيها اسم الجلالة (الله) وهو اسم ظاهر بدل الضمير - ضمير المتكلم - مع أنه قرئ بالضمير(إني أنا الرزاق ذو القوة المتين) [٣٦٨] (لأن اسم الله يفيد كونه رزاقا)[٣٦٩].

وإظهار اسم الجلالة في (إن الله هو الرزاق) إخراج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن مقتضاه: إني أنا الرزاق، فعدل عن الإضمار إلى الاسم الظاهر لتكون هذه الجملة مستقلة بالدلالة؛ لأنها سيرت مسير الكلام الجامع

---

(٣٦٨ ) روى هذه القراءة ابن مسعود عن النبي r ، انظر: مسند الإمام أحمد (٣٩٤/١)، وسنن أبي داود (٣٥/٤ برقم ٣٩٩٣)، وسنن الترمذي ( ٥/ ١٩١ برقم ٢٩٤٠) وقال: حديث حسن صحيح .
والقراءة شاذة، وليست من القراءات السبع أو ا لعشر المتواترة.

(٣٦٩) تفسير الرازي (١٤/ ٢٣٦).

والأمثال)[٣٧٠].

وأفاد ضمير الفصل (هو) قصراً إضافياً أي لا رزَّاقَ، ولا ذا قوةٍ، ولا متينَ إلا الله[٣٧١].

واسم (الرزاق) يدل على كثرة الرزق واستمراره فالله تعالى رزاق لخلقه، وجاء اسم الرزاق دالاً على الكثرة بكثرة المرزوقين وتعددهم وتنوعهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، في كل الأوقات والأمكنة، منذ خلق الله خلقه وإلى أن يوفيهم آجالهم.

(والرزاق هو الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وأوصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتع بها، والرزق رزقان: ظاهر: وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظاهر وهي الأبدان، وباطن: وهي المعارف والعلوم وكل ما تشرق به القلوب ويوصل إلى الله تعالى، وهذا أشرفُ الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد، والله تعالى هو المتولي لخلق الرزقين، والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين، ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقْدر، وغاية حظ العبد من هذا الوصف أمران: أحدهما: أن يعرف حقيقة هذا الوصف وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى، فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه، كما روي عن حاتم الأصم أنه قال له رجل: من أين تأكل؟ فقال: من خزائنه، فقال الرجل: أنتم تقولون

---

(٣٧٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٢٧) ، وروح المعاني للألوسي (٢٣/٢٧).

(٣٧١) المصدر السابق.

الكلام، فقال: لم ينزل من السماء إلا الكلام، فقال الرجل: أنا لا أقوى لمجادلتك، فقال: لأن الباطل لا يقوم مع الحق.

والثاني: أن يرزقه علماً هادياً ولساناً مرشداً ويداً منفقة متصدقة ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله)[٣٧٢].

ولم يُكتف بوصف القوي المتين، وإنما جيء بلفظ (ذو) مضافاً إلى اسم (القوة)؛ (لأن في "ذو" - كما قال ابن حجر الهيتمي وغيره – تعظيم ما أضيفت إليه، والموصوف بها والمقام يقتضيه، ولذا جيء بالمتين بعد، ولم يكتف به عن الوصف بالقوة)[٣٧٣].

فقول الله تعالى ¼ هُوَ الرَّزَّاقُ « (تعليل لعدم طلب الرزق، وقوله تعالى ¼ ذُو القُوَّةِ « تعليل لعدم طلب العمل؛ لأن من يطلب رزقاً يكون فقيراً محتاجاً، ومن يطلب عملاً من غيره يكون عاجزاً لا قوة له، فصار كأنه يقول: ما أريد منهم من رزق؛ فإني أنا الرزاق، ولا عمل؛ فإني قوي)[٣٧٤].

(قال الغزالي في شرح الاسمين: القوي، المتين: القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة، والله تعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامّها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين، وذلك يرجع إلى معنى القوة)[٣٧٥].

---

(٣٧٢) تنوير الأذهان للبروسي (١٥٦/٤).

(٣٧٣) روح المعاني للألوسي (٢٤/٢٧).

(٣٧٤) تفسير الرازي (٢٣٥/٢٨).

(٣٧٥) تنوير الأذهان للبروسي (١٥٦/٤ - ١٥٧).

## إجمال لحديث القرآن عن الرزق

هذا ويمكن إجمال حديث القرآن الكريم عن الرزق في النقاط التالية:

١ - أن الرزق بيد الله تعالى فهو مالكه، ومقدره، ومُيَسِّر أسبابه، والخلق لا يملكون من ذلك شيئاً إلاَّ بأمر الله تعالى، على أن مِلْكَهم للرزق مؤقت يزول بزوال أسبابه، فرزق الدنيا مهما طال زمانه، وامتد مكانه فهو إلى زوال، ورزق الآخرة خير وأبقى، فعلى المسلم النابه أن يشتغل بما هو خير وأبقى، ويعطي لما هو أفنى اهتماماً يناسبه على قدر فنائه وزواله، قال تعالى: ¼ WÁ@Ö0©ÙW¦Y¦ÎÂ yVWÚ †ÖSŠ¦ÐY¦VÙ « [٣٧٦]، وقال سبحانه: ¼ ÚVÜ †R×ƒy¦ÝY¦ØÙÝ¦ ÝVÚVÜ †R×ƒy¦SKÜS pÅSèÜ (57) ÑK@ÖQV@ÜV@ÅÚ@PÐ ÊÈ ÙS@ÖKƒÜ (58) «.

٢ - الله تعالى هو الذي بيده وحده توسعة الرزق وتضييقه وفق مشيئته وليس ذلك لأحد من الخلق، وما يتردد في عالم اليوم من تعليل لأسباب ضيق الرزق إلى ظواهر بعينها ليس صحيحاً، بل هو مغالطة لحقائق الأشياء ونواميس الفطرة. والربط في كلام الله تعالى بين التقوى وبين الحياة الهنيئة دليل قاطع على أثر القيم الإيمانية في مظاهر الحياة، ودليل على العلاقة التي لا تنفصم بين هذه القيم وبين حياة الإنسان، ولخطر شأن قضية توسعة الرزق وتضييقه في حياة الناس، فكثير منهم قد يُرجِعون أسباب

(٣٧٦) سورة الذاريات: (٢٢).

ذلك لغير قدرة الله تعالى ومشيئته، فقد جاء البيان القرآني في الموضوع حاسماً من خلال آيات تسع(٣٧٧) بينت بكل جلاء أن بسط الرزق وقدْره بيد الله تعالى، وجاءت في هذه الآيات صيغة الفعل بالمضارع (يبسط) و (يَقْدِر) إشارة إلى تجدد الأمر واستمراره، وأُوثرت كلمة (البسط) دون سواها لدلالتها على معنى السعة التي تشمل ما يمكن أن يدركه الإنسان وما لا يدركه حاضراً ومستقبلاً، ظاهراً وباطناً، والكلمة تدل على جلال وعظمة وقوة وكمال من بيده البسط وهو الله جل جلاله وتعاظم كماله، وجاء بسط الرزق وقدْره في القرآن متوسطاً بينهما لفظ المشيئة(٣٧٨) (لمن يشاء) دليلاً على أنهما ليس لأحد من الناس فيهما أدنى سبب، وأنهما بيد الله تعالى. وجاء لفظ البسط مقدماً على القدْر في القرآن دليلاً على مدى رحمة الله تعالى بالمرزوقين. وحقيقة أن بسط الرزق وقدْره يجهلها كثير من الناس ويعلمها قليل منهم، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ÖWKÔŜ¼

ÜéŠÙŴÅŷV,ŴX§ †R@ŮVV{ KÓQÑÍHŮVSÝþ ŷVSt WŷVÝÙŴÉ¦RQ@ĵ S%ŸVøŸQŴV

» (٣٧٩).

---

(٣٧٧) هي الآيات: (٢٤٥) سورة البقرة، (٢٦) سورة الرعد، (٣٠) سورة الإسراء، (٨٢) سورة القصص، (٦٢) سورة العنكبوت، (٣٧) سورة الروم، (٣٦) سورة سبأ، (٣٩) سورة سبأ، (٥٢) سورة الزمر، (١٢) سورة الشورى.

(٣٧٨) يستثنى من ذلك الآية (٢٤٥) من سورة البقرة فلم يرد فيها لفظ المشيئة.

(٣٧٩) سورة سبأ: (٣٦).

٣ - اقتضت حكمة الله تعالى ألا يكون الناس سواسية في أرزاقهم، فقد فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض في الرزق، ورفع بعضهم فوق بعض درجات في معاشهم حكمة منه وتقديراً. قال تعالى: ¼ @ŴÊ ŴÊ ÅµÕÔŴ ÅµðÑ ÿ ŴŴ ÅŴ@ ÅŴ ŵ Á@ÐÖ¦ ĝ » [٣٨٠] وقال سبحانه: ¼ ŴŴ™ŚŴÎÑŴÙŴ† ŴŴŴŴ Ø ŴÐ ÅŴ ÅŴ Á@ÆŴ-ŴŴ Ø Ŵ@ŴÖŴŴ† ŴŴŴ ÅµðÑ ÅŴ ŴÊŴĕĚŴ ÅŴ ŵŴŴŴŴ Œ ŴŴŴ ÅµÑŴ Ø ÅŴ µ_† S •ÐÒÖ† » [٣٨١].

٤ - أحل الله الطيبات من الرزق سواء منها ما نزل من السماء، أو ما خرج من الأرض، والأصل في الأشياء الحل والإباحة إلاَّ ما ورد الدليل فيه بخلاف ذلك، قال تعالى: ¼ @ŴŴ ÷ ŴŴÔŴÑØ@Ŵ¤ ð³ Ŵ®†Ŵ@ÖŴ ÙÎ††ð ŴŴ_†ôŴŴ ÚŴŴŴ@ÖÑ ÙÎ††ŴŴ_ôŴ ŴŴŴ ŴŴŴ- ŴŴ@ÖŴŴ. g ŴÏÎ_†ŴÑØŴŴ ð, » (٢٢) f û éŴŴ ŴŴ ŴŴ_ŴŴ ŴŴ ŴŴÑŴ [٣٨٢]، وقال سبحانه: ¼ ŴŴŴŴŴŴ† @ŴŴ† ŠŴ ŴŴ ŴŴ@Á ¤ŴŴ ³X ŴŴŴ¾ Ŵ_ŴŴŴ ŴŴ ŴŴ S ŴŴ. @Ö -Ŵ~ŴŴŴŴŴI ŴŴ ÑØŴŴŴŴŴŴ » (١٦٨) [٣٨٣]، وقال: ¼ ŴŴŴŴ@ŴŴ ŵÿ Û f ŴŴ ŴŴ [ŠŴ ŴŴ ÝŴ

(٣٨٠) سورة النحل: (٧١).
(٣٨١) سورة الزخرف: (٣٢).
(٣٨٢) سورة البقرة: (٢٢).
(٣٨٣) السورة نفسها: (١٦٨).

ÜÑÇ ÑÑ ÑÏ Ñ ÑÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ( ) f û è (١٧٢) »[٣٨٤].

والناس بغير هدى من الله يهديهم، يحللون لأنفسهم ويحرمون عليها، افتراء على الله، قال تعالى: ¼ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ Ù Û ÑÑ Ë

ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ¾ Ô Ó ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ f û è »

.[٣٨٥]

٥ - طلب الرزق وابتغاؤه لا يكون إلاَّ عند الله تعالى؛ لأنه وحده القادر عليه وهو بيده سبحانه، فهو المستوجِب للعبادة والشكر وإليه المرجع والمصير. قال تعالى: ¼ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ ÑÑ

ÑÑ f û è » [٣٨٦].

٦ - كل مخلوق قد قُدِّرَ رزقه وعُلِمَ عند الله تعالى، وهو سبحانه يهيء لخلقه أسباب حصولهم على رزقهم ووصوله إليهم وفق تلك الأسباب التي جعل أمر تلمسها والبحث عنها والأخذ بها من العبادة له جل جلاله، وقد تلغى هذه الأسباب كلها أو بعضها بمشيئته سبحانه في حق بعض خلقه لحكمة يريدها، ولكن ذلك ليس هو القاعدة، بل هو استثناء منها فالقاعدة هي الأخذ بالأسباب.

---

(٣٨٤) سورة البقرة : (١٧٢).

(٣٨٥) سورة يونس: (٥٩).

(٣٨٦) سورة العنكبوت: (١٧).

٧ - بين الله تعالى لخلقه أمر الرزق بياناً شافياً، ولم يمكنهم من معرفة زمانه ومكانه قبل ظهور ما يدل عليهما، تربية لهم ولكي يميز الله سبحانه الواثق في موعوده تعالى المطمئن إليه من سواه.

٨ - الرزق يشمل كل ما يحتاجه الإنسان ظاهراً وباطناً، مادة ومعنى، وأخص ذلك الطعام والشراب اللذان بهما استمرار بقائه.

٩ - من كتب الله تعالى عليه قدْر الرزق فلا ينبغي له أن يتوقف في حركته، بل عليه القيام بمسئولياته في حدود إمكانياته، فالله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهو موعود من الله تعالى بتيسير رزقه. قال تعالى: ¼ WŸŜ ÝÚŴ

†ŴŴŽV† ÚV,ŖXÎ[©ÉŴŜ @ĚŇŇŞ ,VŜ @ŊŽV† ŮŴ þÝÞŞŴŜŜ¦ YăŽV

WW ŴŴŸŸ @ÔŴŴŜ ŶÅŴŜ £þ©Ş£þ©Ş »[٣٨٧].

١٠ - جمع الله تعالى في كلامه العزيز للناس بين أمره بالمشي في مناكب الأرض وأمره بالأكل من رزقه، دليلاً على أن العمل والحركة في الحياة من المعالم التي ينبغي الحرص عليها حتى يحس الناس في نفوسهم بقيمة ما يَحْصلون عليه، ويصلون إليه بعد ذلك. قال تعالى: ¼ ŜŴ@ŴY ÷ ŴŴÔŴŴÑØ

» ŜéSŖ@Ÿ~ŴŴ-ăþ¦ŖÝÝŇŜŜ{ ŴŴŴÒ†ŴŴÁ ŇSÛ@Ŵ,•éŜŴð³ ¤Ŕ@

---

(٣٨٧) سورة الطلاق: (٧).

.[٣٨٨]

١١ - لا أحد يستطيع أن يأتي بالرزق للناس إن أمسكه الله تعالى عنهم، وهذه حقيقة يجب أن يعيها كل مسلم؛ لأن مصادمتها أو الإعراض عنها حمق ونفـور عـن الحـق المبـين، قـال تعـالى: ¼ ÚÙÎ ÷ ŸWŠ$ŠÏÑ yXÙ ŏ
K ÚÛ ... » [٣٨٩].

١٢ - لـيس بسـط الـرزق لمـن شـاء الله تعـالى دلـيلاً علـى كرامتـه عنـده تعـالى، وبالمقابل فليس قدْر الرزق دليلاً على الإهانة، فقد يُبسط في الرزق للكفار والمفسدين، ويُقْدَرُ على المسلمين والصالحين منهم، ولكن الأمر مرده إلى حكمة الله تعالى وعلمه، ومشيئته في خلقه.

١٣ - لا يوجد مخلوق حي من البشر بغير رزق، فالرزق من لوازم الخلق والحياة فلكـل مخلـوق مـن البشـر رزقـه، قـال تعـالى: ¼ @.... ÷ ŸWÑÕØR ǿ
WŸÙÑØR ǿ $ŠÙŠ |ŠØR ǿ ŏõÑØ » [٣٩٠] الآية.

١٤ - جـاء لفـظ (الـرزق) مفـرداً في القـرآن الكـريم، ولم يـرد جمعـاً (أرزاق) حـتى عندما أضيف إلى الجمع، دليلاً على خصوصية كل مخلوق برزقه حتى وإن كـان في مجمـوعٍ. قـال تعـالى ¼ ŴÁ@Ö ... ŪÑ yŴÙ ... ŴŠ » 

(٣٨٨) سورة الملك: (١٥).

(٣٨٩) سورة الملك: (٢١).

(٣٩٠) سورة الروم: (٤٠).

[٣٩١] وقال سبحانه: ¼ÝÜÖ@ÜÛÈÜÉeY ÜŠ I þÛR§ÝÖ «[٣٩٢].

١٥ - قضية الرزق خطيرة، ودقيقة، في حياة الإنسان. وأحداث الماضي والحاضر توضح أن لقمة العيش قد يستعبد الإنسان بسببها لغيره من بني الإنسان، ولـذلك جـاء القـرآن في هـذه القضـية بالبيـان الشـافي تحريـراً للإنسـان مـن العبوديـة لسـواه مـن بـني الإنسـان، فهـو لـيس عبـداً إلاّ لله تعـالى خالقـه ورازقه؛ فبين القرآن أن الله تعالى هو الحقيق بأن يعبد دون سواه لأنه خالق الخلق، ومالك الرزق، فلا يُبْتَغَى الرزق إلاَّ عنده، ولا يُعبد بحق ولا يشكر بحق إلاّ هـو جـل جلالـه، فمنـه البدايـة وإليـه النهايـة، قـال تعـالى: ¼ÙÜÈÚ†

ÙZÜÎ ÕE@Ü¿ÔÝÕ@ÜÙ×ÝJ ß ,ÙÜ¿ŠÛ ,ÜÅSÝÜÛe ÙÜ (٥٦) ÙÜÚ†ÜR×ÜÞÛ ÙÜÚ†ÜR×ÜÞÛ ÚÜÓŠÛØÜQÜÚ ÜÞÚ ÜÇÜÓ¦ ÜÈÜÙÚ†ÜR×ÜÞÛ (٥٧) ÙÜÞÝÜÝ ÜÓÝÜÛÜÜ@ÜÖ@ÜÙ@ÜÈ@ÜÙÌ ÜÌ ÝÝÞÛ ÜÓÜÖ@ÜŠÛ@ÜÙÜÄÜÚ (٥٨) «[٣٩٣]، وقـــــال سـبحانه: ¼ÜÊÜÔÜÙ@ÜÜÓÛÜÛÜÞ ÜÖ@ÜÙ@ÜÈ@ÜÙ ÜÓÜÖ@ÜŠÛ¦ÜÈ@ÜÙÖ@ÜŠÛÝ@ÜÙpÜÝÞÛÜÞ ÜŠÛÜÜÝ ÜÜÝÜØÝ ÙÞÜÜ ÜŠÛ ÜÞ ÜÚÜÙ ÜÚ ÜØ ÜŠ ÜÚ ÜŠ ÜØ ÜŠ ÜÚ ÜŠ ÜØ ÜŠÛÝ

ŠÜÙÜÄÜÙÝé û f «[٣٩٤]. وقد قرن القرآن الكريم بين الرزق وبين العبادة دليلاً على خطر الرزق وأثره في حياة الإنسان، وبيان أن من مَلَكَ رِزْقَ الخلقِ من الجن والإنس فهو الجدير بأن يُعبد، وقد نص القرآن على من يعبدون

---

(٣٩١) سورة الذاريات: (٢٢).
(٣٩٢) سورة البقرة: (٢٣٣).
(٣٩٣) سورة الذاريات: ٥٦ - ٥٨.
(٣٩٤) سورة العنكبوت: (١٧).

من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً، قال تعالى: ¼WV\ŠÂŠŠèÜŸÝSèÛ@ Ÿ

ŴÜŴ,ŴŴ ÛÜ ĐÑ ŠŸ yÌX ¦ÎÏÎ ŲÛ¿ÝÕ@ ŪÙÔ. ¸Ú@ÖŲ¤ ×ÜÏÖ `ÍÌ ŴŴ,ŴŴ ÕÜ@ŲŸŽèÜ

» (٣٩٥).

١٦ - علَّم الله تعالى عباده أن يُثْنُوا عليه بما هو أهله حين يدعونه لطلب الرزق بأنه خير الرازقين، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، وذلك (لأن رزق غيره ينتهي إليه، وغيره لا يقدر على مثل رزقه، ولأن رزقه لا يختلط بالمن والأذى، ولا بغرض من الأغراض الفاسدة، ولأنه يرزق ويعطى ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس)[٣٩٦]. و(بأن الرزق الذي رزقهم الله هو خير الأرزاق لصدوره من خير الرازقين)[٣٩٧]، فهو جل جلاله وتقدست أسماؤه وتعالى كماله (المخترع للخلق بلا مثال، المتكفلِ للرزق بلا ملال)[٣٩٨]، قال تعالى: ¼ŜÔÖŴ† ŸŴ@ Ÿ ŸŴ ŤŸÛŴ@ÛÂŴŤŴŸ

@ŴŴŴÂŴ@ Ÿ ŸŴ@ÛŠŸŴŸÂŴ « [٣٩٩]، وقال سبحانه: ¼ŴŸŴ†ŸŴŸ ŸŴŸŴÝÏ ŸŷÝ

(٣٩٥) سورة النحل: (٧٣).

(٣٩٦) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (٥/٩٤).

(٣٩٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/٣١١).

(٣٩٨) تفسير النسفي (٣/١٠٨).

(٣٩٩) سورة الجمعة: (١١).

وقـال عـز مـن قائـل: ¼ ÜkÎY.LQ@ÞK Z ¼V¼ ËSÏm ¼SÂ¼þ ¼V « (٤٠٠) ÜkÎY.LQ@ÞK

@V ûÅ@ Ë ÊÆÞ@ÕÊ@ Ë ÈÊ@ ÞÂQV@ ÛV Ê@Ê « (٤٠١).

١٧ - نعمـة الـرزق يجـب أن تقابـل بالشـكر لله تعـالى واهـب الـرزق ومسـخره، وذلك يستلزم الإقرار له بالعبادة وحده لا شريك له. وشأن العاقل أن يديم التأمل في هـذه النعمـة ليعرف شـأنها، وعظمـة وقـدرة مـن وهبهـا ويسَّرهـا، وإن الإعراض عن ذلك قد يجر الإنسان إلى الغفلة، فينتهي به المطاف إلى الكفـر بـدل الشـكر، وإلى التكـذيب بـدل التصـديق. قـال الله تعـالى: ¼

ÜVÉ ÛØÅÎYÃ ØÑÃÎÃØÑ ÛV Y ÜVÉÛØ ÈV « (٤٠٢).

١٨ - الله تعالى يعلم ما فطر عليه البشر من حبٍ لمتاع الدنيا المزين، ومن بخل وشح يلازمان النفس البشرية إلاَّ ما رحم الله سبحانه؛ ولذلك فإنه جل وعز لم يسأل الناس أموالهم، وهو الذي وهبها لهم ابتداءً؛ لأنه سبحانه يعلـم مـا سـيكون عليـه أمـرهم لـو سـألهم. قـال تعـالى: ¼ ÚØÑÊ ÛV ¼

ÚØÑÎÉÛK (٣٦) ÜVÉ ÚØÑÊ ÝV ... ÙÑÏ (٣٧) « (٤٠٣)

وحين دعاهم إلى الإنفاق في سبيله وعدهم بأنه سيخلف عليهم أكثر مما

(٤٠٠) سورة سبأ: (٣٩).

(٤٠١) سورة الذاريات: (٥٨).

(٤٠٢) سورة الواقعة: (٨٢).

(٤٠٣) سورة محمد e: (٣٦ - ٣٧).

أنفقـوا حـتى لا يبخلـوا بالإنفـاق. قـال تعـالى: ¼ ÙÚÛ ÜÝÞßàá âãäåæ çèé

êëìíî ïðñò ó ôõö÷ø ùú ûüý » ⁽⁴⁰⁴⁾ وذلك وسواه كله دليل على مدى رحمة الله تعالى ورفقه بالإنسان.

١٩ - إن من أسباب تيسير الرزق وتسهيله المداومة على عبادة الله تعالى، قال تعـــــــالى: ¼ ÊËÌÍÎÏÐÑÒÓÔÕÖ×ØÙÚÛÜÝÞßàáâãäå æçè

éêëìíîïðñòó ôõö÷øùúûüýþÿ

ĀāĂăĄąĆćĈĉĊċČčĎďĐđĒēĔĕĖėĘęĚěĜĝĞğ

ĠġĢģĤĥĦħ » ⁽⁴⁰⁵⁾.

٢٠ - تسـهيل الـرزق واسـتمرار تيسـيره يسـتلزم الأدب مـع الله تعـالى والاسـتقامة على أمـره، وذلـك بالبعـد عـن اتبـاع سبـل الشيطـان، وعـن الفسـاد واتبـاع سـبيل المفســدين. قــال تعــالى: ¼ [ ... » ⁽⁴⁰⁶⁾ وقــال ســبحانه: ¼ [ ... » ⁽⁴⁰⁷⁾.

---

(٤٠٤) سورة سبأ: (٣٩).

(٤٠٥) سورة آل عمران: (٣٧).

(٤٠٦) سورة الأنعام: (١٤٢).

(٤٠٧) سورة البقرة: (٦٠).

٢١ - إن الإعراض عن شكر الله تعالى على نعمه سبب لمحق الأرزاق وذهابها، وإحلال ما يضادها محلَّها جزاءً نكالاً للجاحدين المعرضين عن شكر رب العالمين. ولعل ذلك تُشْعِر به قصة أهل (سبأ) وما آل إليه أمرهم حين أعرضوا عن شكر الله تعالى فأبدلهم بالنعم التي كانت عندهم نقماً. قال تعالى: [illegible] (15) [illegible] (16) [illegible] (17) »[408].

٢٢ - حث القرآن الكريم علىتحري الحلال في كسب الرزق، وجاءت آيات كثيرة في ذلك. قال تعالى: [illegible] »[409] وقال سبحانه: [illegible] »[410] ومجيء حرف الجرف (من) عقب الأمر بالأكل مشعر بأهمية الاقتصاد والاعتدال في

(٤٠٨) سورة سبأ: (١٥ - ١٧).

(٤٠٩) سورة المائدة: (٨٨).

(٤١٠) سورة النحل: (١١٤).

ذلك وإبقاء شيء يعان به أهل الحاجة من محاويج المسلمين[٤١١].

٢٣ - جاء حديث القرآن الكريم عن عقيدة (الخلق) وعقيدة (الرزق) وعقيدة (الموت) وعقيدة (البعث) مرتباً لها في الذكر بناء على ترتيبها في الوجود، وذلك من شأنه أن يضع المسلم أمام مسئوليته العقدية، ويبين في ذات الوقت خطر وشأن عقيدة الرزق. فالله تعالى هو الذي خلق خلقه فأحصاهم عدداً، وهو سبحانه الذي قدر أرزاقهم فلم يَنْسَ منهم أحدا، وهو جل جلاله الذي يميتهم فلا يبقى منهم على قيد الحياة أحداً، وهو جلَّتْ قدرته الذي يبعثهم في وقت علمه لهم موعدا. قال تعالى: 8 @

ÝÝÔåØÑg-ã mJRØS| SÙÏ$JRØÑÎûÿWJRØÑÍÙZ ÷ Y@

†ÙÆoÎHÅŽèM ãÑWiTS ßp ÏÐVÝÖØÑÜ.VÝÝÔåÉyVÝÖØÑKM{ ¥ÙS

ÙéRÞp-Š» [٤١٢]، وجاء التعبير الكريم عن الخلق والرزق بصيغة الفعل الماضي (خلقكم ثم رزقكم) للدلالة على أن الخلق يستلزم الرزق، فمن قَدَرَ على الخلق فهو على الرزق أقدر، وأنَّ أمرَ الخلق والرزق قد فُرِغ منهما. روى الشيخان في صحيحيهما قول النبي e : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه

---

(٤١١) غرائب القرآن للنيسابوري: (٨/٣).

(٤١٢) سورة الروم: (٤٠).

على الماء)[٤١٣]، وفي هذا توجيه للمسلمين بألاَّ ينشغلوا بالمهم عن الأهم. فالمهم هو المعاش، والأهم هو عبادة الله تعالى ومعرفته، فالموازنة مهمة.

٢٤ - النهي عن الطغيان في الرزق جاء صريحاً في القرآن الكريم حتى يعي المسلمون ذلك فلا يقعوا في هذا الطغيان الذي يقود صاحبه إلى غضب الله تعالى، قال تعالى: ¼ ÑŠÕ‰ÉŒ ÝÝ ŸÖŒ ¤ÊŸÖ—ÉŸ ËŸ÷Õ‰ÆŸ ‚Ÿ‘Ø•ŸÅ Ÿ⁄Ÿ Ÿ∆‹ŸÂ Ÿ ãÅ

Ÿ Ÿ ‰ŸÖ ‚Ÿ Å Ÿ%‹Ÿ  ‚ŸÏ Ÿ Ÿ‹Ÿ øŸÊŸ ‰ŸÖ Ÿ%‹Ÿ ‚ŸÏ Ÿ Ÿ Ÿ‹ŸÂ ŸÚŸå uü »[٤١٤].

٢٥ - مسئولية الرزق ومنه المال مسئولية خطيرة، فالمسئولية في طريقة كسبه بالطرق المشروعة، وفي طريقة المحافظة عليه بتنميته واستثماره بما أحل الله تعالى، والمسئولية في أداء حق الله فيه فرضاً وتطوعاً، والمسلم يعيش اليوم في عصر كثرت فيه منافذ الكسب الحرام، بينما قلَّتْ منافذ الكسب الحلال. والمسلم من حيث هو إنسان لا يمكنه أن يعيش لنفسه، فهو جزء من نسيج متشابك مع الآخرين من بني الإنسان، فلابد له من الأخذ والعطاء وتبادل المنافع مع الآخرين، فوضع له الإسلام الإطار الصحيح المستمد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله e ليسير على ضوئه في الحياة كسباً للرزق، وتلمساً لأسبابه، ومحافظة عليه، وأداءً لحق الله والعباد فيه. فالإنسان في نهاية الأمر وبدايته هو مستخلف في الرزق ومنه المال بنص

---

(٤١٣) سبق تخريجه في ( ١١ ) . وانظر: تفسير ابن كثير (٣١٤/٤).

(٤١٤) سورة طه: (٨١).

قولـه تعـالى: ¼ NèSÉÏ¨ÏùŠ tûüÎÏ=øÿ‚tGó¡•B ΟÎ6n=yèy_ $£ϑÏΒ (#θà)Ï)Ρr&uρ » [٤١٥] الآيـة. وهـذا يدلنا على أمرٍ هو في غاية الأهمية، وذلك هو الفرق بين المسلم الذي يعي وظيفته فيما وهبه الله من نعم، ومنها نعمة الرزق بالمال، وبين غيره من النـاس ممـن يعيش في هـذه الحيـاة على هامشـها لا يعـرف إلاَّ مـا يتصـل بمصالحه وملذاته ومثل هذا كثير في عالم اليوم.

فاللهم اشرح صدورنا ونوِّر قلوبنا بمعرفتك ومحبتك، واتباع هديك القويم الذي جاء به نبيك ورسولك سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وفي الختام فإن البحث في مثل موضوع الرزق في القرآن الكريم بحث أبوابه واسعة متعددة، ويمكن أن تتعدد فيه وجهات النظر بناء على الفهم، والاستنباط والاستدلال الذي يفتح الله به على كل واحد، وعلى ذلك فإن ما ورد في هذا

(٤١٥) سورة الحديد: (٧).

البحث لا يعدو أن يكون مجرد محاولة يعتريها من السهو والنقص ما يعتري غيرها من المحاولات. وكتاب الله تعالى محيط واسع لا نهاية لعجائبه، وكل واحد من المسلمين يأخذ من هذا الكتاب العزيز على قدر ما يفتح الله به عليه من الفهم، والاستدلال، والاستنباط [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] » ⁽⁴¹⁶⁾.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(٤١٦) سورة البقرة: (٢٨٦).

## فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**
٢ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة،** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد بن علي البجاوي ، تصوير دار المعرفة ، بيروت.
٣ ـ **أحكام القرآن،** للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٤ ـ **إحياء علوم الدين،** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة ، بيروت.
٥ ـ **إصلاح الوجوه والنظائر** في القرآن الكريم، للدامغاني، ط ٢، بيروت ١٩٧٧م.
٦ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** للشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
٧ ـ **بدائع الفوائد،** للحافظ ابن قيم، دار الكتاب العربي.
٨ ـ **بر الوالدين وما يجب على الوالد لولده،** وما يجب على الولد لوالده، للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، طبع ونشر وتوزيع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
٩ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** للفيروز آبادي، المكتبة العلمية، بيروت، توزيع: دار الباز بمكة المكرمة، (بدون

تاريخ).
١٠ ـ **بهجة المجالس وأنس المجالس**، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١ ـ **تاريخ بغداد**، للإمام أحمد بن علي الخطيب البغدادي. الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ـ مكتبة الخانجي ، القاهرة.
١٢ ـ **التبيان في أقسام القرآن**، للإمام ابن قيم، تعليق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت.
١٣ ـ **تفسير الألوسي** (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
١٤ ـ **تفسير التحرير والتنوير**، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ١٩٨٤م.
١٥ ـ **تفسير ابن أبي حاتم**، لابن أبي حاتم، تحقيق: أحمد الزهراني، حكمت بشير، دار طيبة، الرياض.
١٦ ـ **تفسير السمرقندي** (بحر العلوم) لأبي الليث السمرقندي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧ ـ **تفسير الشوكاني** (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) للإمام محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
١٨ ـ **تفسير الطبري** (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري، مكتبة عباس الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٩ ـ **تفسير ابن عطية** (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، مجموعة من المحققين، طبعة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

٢٠ ـ **تفسير ابن كثير** (تفسير القرآن العظيم) للإمام إسماعيل بن كثير، المكتبة الشعبية، بدون تاريخ.

٢١ ـ**تفسير القرآن،** لأبي المظفر السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، دار الوطن.

٢٢ ـ **تفسير القرطبي** (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة مصورة عن دار الكتب، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، طبع وزارة الثقافة ١٣٨٧هـ ، القاهرة.

٢٣ ـ **تفسير النسفي،** للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، طبعة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٤ ـ **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين،** للراغب الأصبهاني، تحقيق:
د/ عبدالمجيد النجار، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٥ ـ **تنوير الأذهان من تفسير روح البيان،** للشيخ إسماعيل حقي البروسي، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني. الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، بيروت.

٢٦ ـ **التوكل على الله،** لابن أبي الدنيا، تحقيق جاسم الدوسري، الطبعة

الأولى ١٤٠٧هـ – دار البشائر ، بيروت.
٢٧ ـ **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، للإمام الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، الناشر دار الحديث، القاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٨ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، لابن الأثير تحقيق الأرناؤوط، طبعة دار الفكر ١٣٩٠هـ.
٢٩ ـ **جلاء الأفهام**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، ط الأولى ١٤١٧هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
٣٠ ـ **الجواب الكافي**، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الندوة الجديدة ، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣١ ـ **الحث على التجارة والصناعة والعمل**، للخلال، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٢ ـ **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة دار أم القرى ، القاهرة.
٣٣ ـ **خاتم النبيين**، لمحمد أبي زهرة، دار التراث، بيروت، لبنان.
٣٤ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للجلال السيوطي، مطبعة دار المعرفة، بيروت.
٣٥ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق علي معوض وغيره. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣٦ ـ **الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة**، تأليف محمد عزة دروزة، المكتب الإسلامي ، دمشق، بيروت ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٣٧ ـ **رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصُّفَّة**، للسخاوي، تحقيق: مشهور سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار السلف.
٣٨ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
٣٩ ـ **سنن ابن ماجه**، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، طباعة شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض.
٤٠ ـ **سنن أبي داود**، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث في حمص - سوريا.
٤١ ـ **سنن الترمذي** لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢ ـ **سنن سعيد بن منصور**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٤٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٥٥هـ، القاهرة.
٤٤ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة.
٤٥ ـ **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ–

١٩٩٨م.
٤٦ ـ **صحيح البخاري**، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤٠٧، الناشر دار ابن كثير، واليمامة.
٤٧ ـ **صحيح سنن ابن ماجة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مكتب التربية العربي.
٤٨ ـ **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، (بدون تاريخ).
٤٩ ـ **الطبقات الكبرى** لابن سعد، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٥٠ ـ **العيال**، لابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم خلف، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيم، الدمام.
٥١ ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، لأبي بكر ابن العربي، الناشر: دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ.
٥٢ ـ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، لابن قيم الجوزية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م دار ابن كثير - دمشق.
٥٣ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. للإمام أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، دار الفكر.
٥٤ ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، للنيسابوري، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٥ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٥٦ ـ **فضائل القرآن**، للحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: وهبي سليمان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٧ ـ **الفوائد**، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ ، بيروت.
٥٨ ـ **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ، دار الشروق، بيروت.
٥٩ ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، للهيثمي، تحقيق: عبدالرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة.
٦٠ ـ **لسان العرب، لابن منظور**، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).
٦١ ـ **المجالسة وجواهر العلم**، لأحمد الدينوري، تحقيق: مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار ابن حزم، بيروت.
٦٢ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، مطبعة العلوم، بيروت، نشر: دار الكتاب العربي.
٦٣ ـ **مجموع الفتاوى** لابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن النجدي، طبع إدارة المساحة العسكرية، ١٤٠٤هـ، القاهرة.
٦٤ ـ **مدارج السالكين**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة ١٩٧٢م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٥ ـ المستدرك للحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٦ ـ **المسند** للإمام أحمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي.
٦٧ ـ **المسند** للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، مؤسسة الرسالة.
٦٨ ـ **مسند البزار** (البحر الزخار) تحقيق محفوظ الرحمن زين الله. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٦٩ ـ **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، للبوصيري، تحقيق: محمد

المنتقى الكشناوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار العربية للطباعة والنشر.

٧٠ -**المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرمين، ١٤١٥هـ.**

٧١ - **المعجم الكبير**، للطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، بغداد.

٧٢ - **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الجيل، بيروت.

٧٣ - **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار** (بهامش الإحياء) للعراقي، طبعة ١٣٧٧هـ، دار المعرفة، بيروت.

٧٤ - **المفردات للراغب الأصفهاني**، تحقيق: صفوان الداوودي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، دار القلم، بيروت.

٧٥ - **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، لابن الجوزي، تحقيق محمد الراضي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٦ - **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٧٧ - **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لأبي الحسن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

# فهرس الموضوعات

| الموضـــــــــــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|

المقدمة ........................................................ ١
تعريف الرزق ........................................................ ٥
الرزق عند أهل السنة ........................................................ ٨
أهمية الرزق ........................................................ ١٠
حاجة الإنسان إلى الرزق ........................................................ ١١
رحمة الله للإنسان في رزقه ........................................................ ١٢
الإنسان لا يملك رزقه ........................................................ ١٣
الرزق بيد الله وحده ........................................................ ١٤
الرزق نصيب محفوظ ........................................................ ٢٢
الرزق يلازم صاحبه ويطلبه ........................................................ ٢٨
العلاقة بين الخلق والرزق ........................................................ ٣٤
الرزق والأسباب ........................................................ ٣٨
المؤمنون والأسباب ........................................................ ٤٥
الرزق ليس على قدر الأسباب ........................................................ ٤٩
التعلق بالأسباب ........................................................ ٥١
أهمية الأخذ بالأسباب ........................................................ ٥٤
أهل الصفة والأخذ بالأسباب ........................................................ ٦١

الأسباب والتوكل..... ٦٥
الرزق بين الزمان والمكان ..... ٧٠
الرزق بين التوسعة والتضييق ..... ٨٣
**أسباب الرزق**..... ٩٢
١ - عبادة الله تعالى..... ٩٢
٢ - إقامة الصلاة ..... ٩٥
٣ - تقوى الله عز وجل ..... ٩٩
٤ - الاستغفار ..... ١٠٠
٥ – الشكر لله تعالى ..... ١٠٣
٦ - الصلاة على رسول الله ..... ١٠٦
٧ - صلة الرحم ..... ١٠٧
٨ - مباشرة الأسباب..... ١١٠
٩ - الإنفاق في سبيل الله تعالى ..... ١١١
١٠ - الجهاد في سبيل الله تعالى ..... ١١٤
١١ – ومن أسباب الرزق: التجارة، والزراعة والصناعة، والاحتراف..... ١١٧
حديث القرآن عن الرزق..... ١٢٤
تحليل لآية الرزق الواردة في سورة الذاريات ..... ١٢٦
إجمال لحديث القرآن عن الرزق ..... ١٦٧
الخاتمة..... ١٨٠

فهرس المصادر والمراجع..... ١٨١
فهرس الموضوعات ..... ١٨٩